بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللُّغة العربية

قسم الدراسات النحوية واللُّغوية

دراسة خصائص البنيوية

بين القدماء والمحدثين من علماء اللُّغة

دراسة مقارنة

بحث مُقدَّم لنيل درجة الدُّكتُوراه في علم اللُّغة

إعداد الطالب

عبد الرسول أحمد عايد عليان

إشراف البروفيسور

محمد أحمد علي الشامي

١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد ﷺ، أمَّا بعد.

لقد مضى زمن طويل، والنفوس تتطلَّع إلى معرفة المزيد من إرث علماء العربية؛ فالعربية حافلة بالقيم اللُّغوية، وبين طيَّاتها ظواهر لغوية مختلفة.

لا شك أنَّ علم اللُّغة -مع حداثة عهده- قد أحرز نجاحاً في دراسة اللُّغة، مِمَّا بوَّأه مكانة متميِّزة بين العلوم الإنسانية عامة واللُّغوية خاصة. ويعود هذا النجاح إلى أنَّ اللُّغويين المحدثين جعلوا من دراسة اللُّغة عملاً علمياً دقيقاً أشبه ما يكون بما هو مُتَّبع في دراسة العلوم.

وكان من أهمِّ ما اقترحه اللُّغويون من أساليب: أن تُدرَّس وِفقاً لبُعدين تحليليين متكاملين هما: **البعد الأفقي**: والمقصود به علاقة عنصر لغوي بعناصر لغوية أخرى في السياق الموجود في النص.

أمَّا البعد الآخر فهو: **الرأسي**، باستخدام هذا الأسلوب في معرفة الظواهر اللُّغوية، وتكشف لهم أسرارها الخفية، وفي صور البعد الأفقي والرأسي تكمن الدراسة البنيوية.

فدراستها للأنظمة اللُّغوية -صوتية أو صرفية أو نحوية- أكبر من اهتمامها بالمعاجم، وقوائم المفردات، كما أنَّ في هذه الدراسة نجد ما يماثله من دراسة القدماء. فالبنيوية تهتم بدراسة النص كاملاً شاملاً دون النظر إلى معاني المفردات.

أهمية الموضوع:

ليس معنى هذا، أننا نهدم آراء القدماء، أو ننكر فضلهم، ولكننا نستعين بالمنهج الوصفي؛ لإكمال ما بدأوه، والتنسيق بين ما رأوه وما نراه في ضوء المناهج اللُّغوية خاصة منهج (البنيوية) لندعم آراءهم بما جدَّ من دراسات أقرب إلى طبيعة اللُّغة.

وقمة البحث –في نظري– تكمن في فصل الوصفية عن البنيوية، لا في ما يحيل عليه من نظريات قديمة أو حديثة، وتزداد قناعتي بأنَّ اللُّغة العربية تدرس مسيرة العقل الإنساني عبر العصور؛ وأنها تكوّن في أساسها البنيوي منطقاً طبيعياً يقوم بدراسة اللُّغة وثقافتها.

دوافع وأسباب اختيار الموضوع:

- النشأة، والتعلُّق منذ الدراسة المبكرة بمادة علم اللُّغة.
- القارئ العربي أصبح يأخذ في طرق المعرفة المتطورة، ولا يكتفي بما كان يفسح المجال الذي يُعتبر إدراكه، وفقاً لمتطلبات العصر وتقدمه من معارف، خاصةً في مجال (الإنترنت).
- المكتبة العربية في حاجة إلى بحوث تفي بجانب التحليل البنيوي، علماً بأنَّ البنيوية توجد في كُتب القدماء وتحتاج إلى كشف.

أهداف البحث:

- تهدف الدراسة إلى تأصيل الكشف في الصلات اللُّغوية قديماً وربطها بالحاضر والمستقبل.
- تهدف الدراسة إلى استقراء أفكار علماء العربية القدماء وآرائهم ومصطلحاتهم، التي توافق آراء المحدثين من علماء العربية.

❖ جمع الآراء والأفكار في بحث واحد، حتَّى يسهل تتبعها ومناقشتها وإعادة تقويمها بما يواكب التطور العلمي.

❖ تقويم تلك الجهود والآراء في ضوء ما توصلت إليه الدراسات الحديثة وخاصة الصوتية والتركيبية التي كانت نتائجها مترتبة على أبحاث ميدانية تعيش الواقع والحياة.

❖ تهدف الدراسة لتأكيد أنَّ البنيوية عمل يقوم على أساس التحليل التركيبي، وأنَّ تحليل أي عنصر من عناصر اللُّغة لا يُمكن أن يتم بمعزل عن البعض الآخر.

❖ تهدف الدراسة إلى أنَّ الظواهر اللُّغوية، تختلف عن القواعد النحوية؛ وأنَّ التقعيدية هي عملية وضع القواعد واستخراجها، واستخلاصها من الظواهر اللُّغوية، وجعلها أحكاماً كلية في الدرس اللُّغوي.

منهج البحث:

الأهداف تمثل المرآة التي تنعكس عليها فلسفة المنهج، ومن الطبيعي أنَّ المنهج الوصفي الاستقرائي أقرب المناهج لدراسة الظواهر اللُّغوية، والبنيوية تدرس تلك الظاهرة.

كما أنَّ المنهج الوصفي يقدم الموضوعية التي تعتمد على الاستقراء الناقص، بحسب أنها ضبط النتائج، وهو فهم دراسة علم اللُّغة.

الدراسات السابقة:

١/ **البنيوية ومشكلة البنية**: د. زكريا إبراهيم.

٢/ **البنيوية**: د. عبد السلام المسدى.

٣/ **العربية وعلم اللُّغة البنيوي**: د. حلمي خليل.

٤/ **البنيوية بين العلم والفلسفة**: د. عبد الوهاب جعفر.

وكل هذه المصنفات تدرس البنيوية من خلال مستويات:

أولـــها- المستوى التصوري: من حيث تقدم النظرة الكلية المعرفية، التي تقوم عليها البنيوية.

ثانيها- المستوى الاجتماعي: الذي يدرس البنيوية باعتبارها حركة تعبر عن جماعة ثقافية، وربطت بين أعضائها علاقات وظيفيـــة وصـــلات مكانيـــة وزمانية.

ثالثها- المستوى التعليمي: الذي يتمثل في حرص المؤلفين على تســـيير الأفكار الأساسية. وفي تقديري أنها تبحث عن العلاقات الفكرية الخفية، وتركز على العلاقات التي تجعل من البنيوية نوعاً من (الفكر العقديّ) لهم وهي بمثابـــة وعي تبريري أتاح أنصاره تجنب مواجهة المشكلات السياسية الحاسمة، بمعـــنى أنَّ البنيوية كانت جزءاً من مناخ العصر الثقافي الذي تعيش فيه.

أمَّا هذه الدراسة فهي محاولة لكشف البنيوية في الـــدرس اللُّغـــوي بـــين القدماء والمحدثين من علماء العربية.

خـطـة الـبـحـث:

يحتوي هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، تتبعها خاتمة.

الفصل الأول: التيارات المكونة للبنيوية، وفيه أنَّ البنيوية تدرس الأجزاء المكوِّنة للتركيب جزءاً جزءاً، لتكون في النهاية بناءها وهو عمل تكوين للعناصر اللُّغوية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **البنيوية**، والثاني: **المدارس اللُّغوية**، والثالث: **الوصفية**، وهي تعتمد على الوصف، وعلى الملاحظة الحية المتسمة بالدقة التي يميزها الحس المرهف، وإبداع الفن الرائع فيها والفارق بينها وبين البنيوية.

تناولت دراسة **الفصل الثاني: القدماء**، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آراء ابن سينا في دراسة الصوت اللُّغوي، وقد حققها في وصفه للمخارج وصِفاتها عن طريق الدراسة الاستقرائية الفيزيائية في مجال علم التشريح، وقد وضع قانوناً أشبه بقوانين الألفاظ المجردة، وهو يذهب إلى الشمول، والاستيعاب في محاولة تعمق فكرة الصوت.

المبحث الثاني: الدراسة الصرفية (المورفيمية) عند ابن جِنِّي، وهي الأصوات وعلاقتها بعلم الصرف (المورفيم)، وتشمل المقاطع الصوتية المورفيمية.

المبحث الثالث: دراسة آراء إمام النحاة سيبويه في مجال الجملة والتراكيب، تبحث في دراسة المفردات، نظم الكلام، وتركيب أجزائه، وفي طريقة ربط الكلام، والأدوات، ووظائف الكلمة في التركيب، وأحوالها وإعرابها وتحليلها وكذلك وضعها في الجملة والسياق. دراسة بنيوية على المستوى الصوتي عند ابن سينا والصرفي عند ابن جِنِّي والتركيبي عند سيبويه.

ثم **الفصل الثالث: المحدثون**، وبه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آراء إبراهيم أنيس، وهو أول المعاصرين العرب الذين كتبوا في الأصوات. فدراسة الأصوات تسير على مرحلتين: مرحلة تختص بالمادة ذاتها، والثانية بتحديد هذه المادة والانتهاء إلى صورة قواعد وقوانين عامة.

و**المبحث الثاني: آراء تمام حسان**، وهو صاحب مدرسة في الدرس

اللُّغوي العربي المعاصر. فدراسة التراكيب عنده دراسة شمولية تشمل القــرائن، والصيغ، والمعاني، والنظم. وخاصة العلاقات اللُّغوية المتداخلة دراسة إجماعية عن طريق جمع المعلومات (الدراسة السمولوجية) فتلك سمة مـــن سمـــات الـــدرس البنيوي.

ثم تناولت الدراسة **المبحث الثالث: آراء حسن عون**، وهو أستاذ مختص في الدراسات السامية ودراستنا لآرائه دراسة بنيوية من خلال مفهـــوم التطـــور اللُّغوي وأسبابه. وكيف يرى أنَّ هناك تطوراً في الدرس اللُّغوي القديم.

وأخيراً **الخاتمة**: وتشمل النتائج، والتوصيات، ثم فهارس البحث.

تمهيد

الدرس القديم:

يقرر الواقع التاريخي أن الدرس اللُّغوي في المرحلة المبكرة كان درس تعليمي في معرفة أصول اللُّغة.

وفي اللُّغة العربية بوجه خاص، نعرف أنه قد كان هناك اتصال لغوي قديم بين العربية ولغات الشعوب التي تعربت بعد الإسلام.

ولسنا نوغل بهذا القديم إلى الأصول البعيدة لِما يعرف باللغات السامية والحامية والآرية، وإنما حسبنا أن نشير إلى المعروف من صلات العربية باللغات التي خالطتها في الجاهلية.

وهدف هذه المعرفة، معرفة الملكة اللسانية، وعلاقاتها بالنطق الصحيح والدراسة المفيدة. ويكمن لهذه الملكة شيئان:

١/ جانب الألفاظ المفردة والمركبة.

٢/ وجانب آخر يكمن في أن تمام الملكة اللسانية يتم بالنظر إلى التراكيب اللغوية لا بالنظر إلى المفردات، وهذه التراكيب اللغوية تعبر عن المعاني المقصود للمتكلم، فيتحقق بها الإفهام الصحيح، فتكون اللُّغة مفهمة.

والمقصود باللغة المفهمة أن تكون أداة للإفهام في أدنى درجاته، حيث لا يراعى فيها غالباً عرف اللُّغة المستعملة وما يقرره من نظام في الأصوات والصيغ والجمل.

أمَّا اللُّغة الصحيحة فهي أعلى من كونها للإفهام، فلا يتحقق لها هذا الوصف- الصحة إلاَّ بمراعاة ما يحققها من نظام في الأصوات والبنية والإعراب.

أمَّا اللُّغة البليغة فهي التي تحقق مستوى الجمـــال في التعـــبير "اســـتعمال الكلمات استعمالاً صحيحاً تصور به الظلال الدقيقة للمعاني التي يرغب المتكلم في إثارتها". ولقد بلغ من شعور القدماء بضرورة الضبط، أنهـــم لَـــمْ يكونـــوا يقتصرون على وضع العلامات المقررة، بل لقد كانوا يلجئـــون إلى التعـــبير في المواضع المهمة للكلمات التي يخشون عليها الالتباس. فيكتبون مثلاً أن الكلمـــة بفتح الحرف الأول وسكون الثاني وضم الثالث وكسر الرابع.

وما بعثهم على ذلك إلاَّ خوف التصحيف والتحريف، بل لعلهم خشـــوا أن تذهب علامات الضبط وأن يستقل النُّسَّاخ نقلها، فأرادوا تسجيلها بالتعبير. وليس أبلغ من هذا دليلاً على رهافة شعورهم في حفظ اللسان مـــن الخطـــأ. كقوله: "والنون تكون بدلاً من الهمزة في (فَعْلان) (فعلى)، وقد بُـــيِّن ذلك فيما ينصرف وما لا ينصرف؛ كما أن الهمزة بدل من ألف (حَمْرَى). وقد أبـــدلوا اللام من النون، وذلك قليل جداً، قالوا: (أصيلال) وإنما هو (أُصيلان)"[1].

ولعل هذا الأمر يرجع إلى المخالطة اللغوية في الألسن التي تأخذ طريقهـــا من حيث يريد أهلها أو لا يريدون، نرى أثرها فما دخل معجم العربية القـــديم من ألفاظ دخيلة أو معربة، حاول بعض علماء العربية استقصـــاءها وردهـــا إلى أصولها من لغات غير العرب، كأبي منصور الجواليقي في (**المعـرب**) والشـــهاب الخفاجي في (**شفاء الغليل فيما في ألفاظ العربية من الدخيل**) وجـــلال السيوطي في كتابه (المزهر) لما أخذت العربية من اللغات الفارسية والســـريانية والعبرية والرومية والحبشية.

١/ سيبويه: الكتاب، ط١، تحقيق إميل بديع يعقوب، منشور دار الكتب، بـــيروت، ١٩٩٩م، ج٤، ص٣٦٢.

إن الأمر لا يقصر على ألفاظ بعينها يمكن تحديدها وحصرها. إنما كانت مناطق اتصال العرب بالأمم المجاورة، مجالاً لتأثير لغوي عام.

كما حاول علماء اللُّغة في عصر التدوين أن يتجنبوا بعض القبائل "بني حنيفة، سكان اليمامة، لخم، غسان، تغلب، بكر"[١]. لمجاورتهم أهل مصر، والشام، والروم، والفرس، والهند، والحبشة، ظناً بأن الذين خالطوا تلك القبائل قد فسدت ألسنتهم.

فالسؤال الذي يطرح نفسه هل نستطيع أن نحكم الحصار على الحياة اللغوية بعد الذي كان من قديم مجاورة ومخالطة؟

الإجابة: الحياة اللغوية لَمْ تكن محكومة بهؤلاء اللغويين فحسب، إنما كانت تحكمها -قبل كل شيء- عوامل اجتماعية واقتصادية ودينية.

لَمْ يفلت فصحاء العرب في المناطق المعتمدة من اللغويين، إن لَمْ يكن بطريق مباشر فعن طريق الاتصال بالقبائل العربية التي خالطت الأمم المجاورة.

ولقد حددت العربية من قديم موقفها من الدخيل، لَمْ ترفضه رفضاً باتاً حاسماً في جمود وعناد، ولَمْ تطلقه دون قيد يغزوها ويمسخ أصالتها.

فبعدما توسعت في الاشتقاق والمجاز، ضيَّقت باب الأخذ من الدخيل، صوناً للسانها، فاستعنت إلى أقصى المدى، بتطويع الألفاظ الفصحى لكي تؤدي المعاني الجديدة على وجه التجوز، ولَمْ تلجأ إلى استعارة الدخيل إلاَّ عند الضرورة القصوى، مع إخضاعه للصيغ العربية إما بالإلحاق، أو بتغيير لفظه إشعاراً بأنه قد صار ملكاً لها.

١/ يُنظر، محمود فهمي حجازي: علم اللُّغة العربية في ضوء التراث واللغات السامية- مدخل تاريخي مقارن، ط نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٩٦.

وقد استطاع علماء العربية من عصر التدوين أن يستخلصوا قواعد المعرب؛ يبدون بأن الأمر لَمْ يترك دون تقنين، بل خضع لقواعد كانت العربية تجرى عليها فيما تأخذه من اللغات الأخرى[١].

من هنا جاز لبعض اللغويين أن يرفضوا القول بأن في القرآن ألفاظاً غير عربية. لا يعنون بذلك أن هذه الألفاظ لَمْ تكون في أصولها من لغات رومية أو سريانية أو حبشية أو فارسية، ولكن يعنون أن العرب عربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن الكريم بها، وقد دخلت هذه المفردات في كلام العرب[٢].

"إن الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس، وإذا كان كذلك وجب أن نتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب ولَمْ يكن مستكره المطلع على الأذن، لا مستنكر المورد على النفس حتَّى يتأتى بغرابته في اللفظ عن الإفهام، أن يمتنع بتعويض معناه عن الإبانة"[٣].

ونفهم من هذا النص أن الألفاظ قد مارست حرية التطويع والتصرف، ولَمْ تترك لفوضى عشوائية، بل كانت هذه الألفاظ من حيث تدري أو لا تدري، حريصة بقدر الإمكان على ألا تخرج عن العربية الأم، فوجدت فرصتها

١/ يُنظر، أبي منصور الجواليقي: في التعريب والمعرب، ط١، تحقيق إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ص٢٢.

٢/ يُنظر، د. محمد حسن عبد العزيز: التعريب في القديم والحديث، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٣٣-١٣٤.

٣/ أبو العباس: كتاب الفصيح، ط١، تحقيق عاطف مدكور، ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٧١.

في اختلاف لهجات القبائل العربية الوافدة إليها ومارست نوعاً من الاختبار التلقائي لِما يناسبها من تلك اللهجات.

وقد عرف الدرس العربي القديم ظاهرة دراسة اللهجات منذ قدمها حين كانت في مهدها بالجزيرة العربية لَمْ تخرج منه، وظلت اللهجات المحلية تعيش إلى جانب الفصحى في العصر الإسلامي الأول. ومهما يكن من اقتدار العربية على تطويع ألسنة الشعوب الوافدة، فإن اللهجات المحلية اتصلت بلغات القبائل التي خالطتها وخضعت لمؤثرات صوتية وعوامل إقليمية وميراث لغوي وعرفت في الدرس النحوي بأنها (لغة) مثال إعراب المثنى على الألف مطلقاً[(١)].

وعلى نحو ذلك بدأ التفكير اللُّغوي عند العرب بمعناه العلمي من حيث جمع المادة وتصنيفها واستنباط القواعد وتحكيمها.

وكان أبو عبد الله بن إسحق الحضرمي من أوائل العلماء الذين تصدوا لهذه الدراسة وشاركه في ذلك تلميذه أو عمرو بن العلاء (ت١٥٤).

"غير أن التلميذ سرعان ما خالف أستاذه بحكم معرفته الواسعة بالمادة اللغوية، وطبيعة كلام العرب، ففي الوقت الذي كان الحضرمي يتشدد فيه إجراء القياس على كل استعمال، ويهمل أو يخطئ كل ما عداه، كان أبو عمرو يقيس على الأشيع والأكثر في كلام العرب، وما خالف ذلك يهدره ولا يخطئ قائله، وإنما كان يعترف به استعمال من استعمالات أبناء اللُّغة ينبغي احترامه"[(٢)].

١/ يُنظر، ابن هشام، شرح شذور الذهب: تحقيق محمد محي الدين، م البابي الحلبي، د.ت، ص٤٧.

٢/ د. حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص٢١.

وظاهر القياس يقودنا إلى قضية الدلالة وجود المجهول من المعلوم وهي أوثق القضايا صلة بظاهرة التركيب البنيوي من حيث إيجاد المفردة اللفظية ومعرفة بنيتها الصوتية والصرفية، فتلك قاعدة تعلمية (معيارية).

فإن النص المخالف للمعيار النحوي التعليمي، ينتمي إلى حدود زمانية أو مكانية أو لهجية فإن القدماء لا يعتدون بذلك في التعقيد، وعذرهم في ذلك واضح؛ لأنهم يلزمون أنفسهم بشروط محدودة لِمن يستشهد بلغتهم، فإنهم يجدون مندوحه في رده، بوصفه لغة (لهجة) ضعيفة ولذلك يقولون (شاذ).

وهم في هذا كله يعمدون إلى انتقاء المشهور الذي يتعد عن خصوصيته المستوى اللهجي الذي يميز قبيلة عن أخرى.

حتَّى ولو كانت هذه القبائل التي يُعتد بكلامها في التعقيد مثال لغة (أكلوني البراغيث) وإعمال (ما) وإهمالها (حجازية أم تميمية)(1).

وعليه فإن التركيز على إرساء المعايير والقواعد كان همة القدماء، أمَّا جوانب التطور في هذه القواعد فلم يكن يشغلهم كثيراً(2).

ولو درسنا كتب القدماء التي كانت على معيارها نجدها إنها أقرب إلى الوصفية في بعض الجوانب، ولوجدنا كتاب سيبويه أنه يختص بكثير من التفعيلات التي تعكس بعض الواقع اللُّغوي في رحاب أفقه الواسع، وفي تعدد أنواع الاستعمال التي كانت تجري على الألسنة ولذلك نجد الوصف الاستقرائي

١/ (ما) الحجازية تجعل الاسم الثاني بعدها خبراً منصوباً، أمَّا (ما) التميمية فتستخدم الاسم الثاني مرفوعاً.

٢/ يُنظر، محمود فهمي حجازي، علم اللُّغة العربية مدخل مقارن دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م، ص٩٦.

للأصوات في أسباب حدوث الحروف عند ابن سيناء والدراسة الصرفية التركيبية للمفردة اللفظية عند ابن جنِّي علماً بأن الوصفية والتركيبية هما خصائص الدرس البنيوي الحديث.

الدراسة اللغوية قبل البنيوية:

إن التعريف على أصل اللغات الإنسانية أمرٌ صعب، وذلك يرجع إلى اختلاط اللغات فيما بينها على صلات قربى للغوية بين اللُّغة الهندية القديمة (السنكريتية) واللغات الأوربية والحديثة تحقق بزمان غير يسير قبل أن تقوم الدراسة اللغوية. وكانت الكنيسة قد ألمحت إلى التشابه بين صلات اللغات حوالي القرن السابع عشر[1].

وكانت لهذه الفكرة أصداء واسعة في نفوس اللغويين ومفكري أوربا عشية إعلان وجود ملامح القرابة اللسانية بين السنكريتية واللغات الأوربية الكلاسيكية.

"وفي أواخر القرن الثامن عشر حدث بهذا الصدد نهضة كبيرة يرجع معظم الفضل فيها إلى اللُّغة (السنكريتية) وحل رموزها فقد أزاح هذا الكشف الستار عمَّا بين اللغات الهندية والإيرانية من جهة، واللغات الإغريقية واللاتينية والجرمانية من جهة أخرى من تشابه وصلات قرابة وروابط وثيقة، ومهَّد السبيل لإنشاء علوم القواعد التاريخية والمقارنة، ووسع بذلك نطاق الدراسات اللغوية"[2].

١/ يُنظر، محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللُّغة: ط٤، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ص٣٥.

٢/ علي عبد الواحد وافي، علم اللُّغة: ط٩، دار النشر، نهضة مصر، ٢٠٠٤م، ص٥٣-٥٤.

ويفهم من هذا النص أهمية اللغات الشرقية، وندرك أنها فعلاً تعد الوعاء الحافظ لحضارة الإنسان وثقافته ومعتقده، وأن اللُّغة ليست إلاَّ مرآة ينعكس عليها الفكر، أو أداة عاكسة للفكر، أو مستوعباً للفكر المنعكس.

فالشرق منبع الأديان السماوية (الإسلام، المسيحية، اليهودية) والديانات الوضعية (البوذية، الزرداتسية) علماً بأن السنكريتية لغة دينية مقدسة إلى يومنا هذا في الهند.

"... لَمْ يهتم الهنود بالدراسة المعجمية، والظاهر أن الخوف على نطق السنكريتية كان أكثر وأقوى درجة من الخوف على عدم فهمها، ولكنها لغة فئة معيَّنة، وليست لغة عامة الشعب مِمَّا يكون بين الاستعمال اليومي واضحاً لشروح غوامض لغةٍ ما"(١).

ونفهم من ذلك النص أن اللُّغة الهندية القديمة (السنكريتية) ذات صبغة دينية كانت حافزاً للمستشرقين لدراستها ومعرفتها وإجراء المقارنات بينها. فالمستشرق مرتبط ارتباطاً وثيقاً بما يدور حوله من حركات علمية ونبض حضاري ينتمي إليه، ولعل هذا يفسر الدهشة والاستغراب في تطور الدراسات اللغوية. فالفلاسفة والمناطقة يسألون أنفسهم عن علاقة الفكر باللغة، وعن أيهما كان له السبق في الوجود، وذلك في الدرس اليوناني. لَمْ يكن اليونانيون رواد للأوربيين في (الدرس اللُّغوي) وحده، فآثارهم في جميع مناحي التفكير الحضاري واضحة المعالم وانعكاسات جهودهم بادية في الفكر الأوربي الوسيط والمعاصر على حد سواء.

ويبدو أن اليونانيين (الإغريق) وهم ينتبهون للظاهرة اللسانية بوصفها

١/ د. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة: ط١، مكتبة الآداب، ٢٠٠٣م، ص٣٨.

جانباً من جوانب الحياة الإنسانية، كانوا يقفون موقف المندهش الذي يلح في طرح الأسئلة عن القضايا التي يراها غيرهم بدهية تأخذ بالتسليم والتصديق، لذا اصطنع الدرس اللساني عندهم بصفة جدلية، في شكل محاورات فلسفية بين أعلام الفكر الإغريقي القديم(١).

ومن جانب آخر استشعر اللغويون، اختلاف الشعوب في التحدث بلغات مختلفة، كما أدركوا الفوارق اللهجية بين أبناء المجتمع الواحد فظهرت الدراسات المقارنة(٢).

"ولا تظل اللهجات الاجتماعية جامدة على حالة واحدة، بل تسير في السبيل الارتقائي نفسه الذي تسير فيه اللهجات المحلية، فيتسع نظامها باتساع شئون الناطقين بها، ومبلغ نشاطهم، واحتكاكهم، بالأجانب، وبأهل الطبقات الأخرى من مواطنهم، وما يخترعونه من مصطلحات ويتواضعون عليه من عباراته ويقبسون من اللغات الأجنبية من مفردات وأفكار، وتختلف أساليبهم وطرق تراكيبها باختلاف العصور وتطور الظروف الاجتماعية المحيطة بها... وتختلف في القرن العشرين اختلافاً كبيراً عمَّا كانت عليه مثلاً في القرنين الرابع عشر والخامس عشر"(٣).

ويفهم من هذا النص كيفية دراسة اللُّغة من حيث مفرداتها ومعرفة أصولها وتصرفاتها وربطها بالجمل وكيفية إمكانية التوقع المتبادل والمناسبة الدلالية والتجاوز في الزمان. ثم بدأت الدراسة بالمنهج التاريخي.

١/ يُنظر، عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللُّغة والأدب: نهضة مصر، ١٩٩٥م، ص١٨.

٢/ يُنظر، المرجع السابق: ص٤١.

٣/ علي عبد الواحد وافي، علم اللُّغة: ط٩، دار النشر نهضة مصر، ٢٠٠٤م، ص١٨٩-١٩٠.

المنهج التاريخي:

"يبحث تطور اللُّغة الواحدة عبر القرون"[1].

لا شك أن أعمال المستشرقين عكست نوعين ممايزين:

١/ الالتزام بمنهج بعينه في الدرس اللُّغوي.

٢/ انتفع في الوصول إلى سبر أعماق الظاهرة اللغوية بطرق شتى عن طريق التحليل.

ولعل المنهج التاريخي يوفر لنفسه أقدم المصادر التي استعملت هذه الظاهرة اللغوية. فقد بدأ بالنقوش المكتوبة، ثم الدواوين الشعرية والدراسة التحقيقية (تحقيق وتصحيف النصوص) (فسيولوجي *Philology*) يعني هذا المصطلح في أيسر تعريفاته العلم أو الدراسة العلمية لكلمات اللُّغة، وقوانينها.

فالمنهج التاريخي يراقب تطور الظاهرة ويرسم خطها البياني من حيث الاستعمال.

وعلى هذا فإن المنهج التاريخي يعد نفسه مسئولاً عن الإجابة عن تاريخ الظاهرة اللغوية: ما أصلها؟ وماذا أصبحت؟ ومن وإلى أين تتجه؟.

هذه الأسئلة هي التي أدت إلى وجود الجدل والمناقشة والقضايا اللغوية مثل القول بأصل اللُّغة والنشأة وفصائلها[2].

أمَّا الدراسة قبل المنهج التاريخي فهي دراسة نصية ترمي إلى فهم النص من

١/ يُنظر، محمود فهمي حجازي، علم اللُّغة مدخل تاريخي مقارن: دار النهضة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣٩.

٢/ يُنظر، علي عبد الواحد وافي، علم اللُّغة: ط٩، نهضة مصر، ٢٠٠٤م، ص١٩٥.

خلال المعايير المستقاة منه نعرض الوقوف على معناه أمَّا تتبع الظواهر من حيث تطورها التاريخي فلم يكن المطلب الأساسي في تلك الفترة.

ويقوم المنهج التاريخي على رغبة في إعادة هيكله الظاهرة اللغوية عبر العصور من خلال ما تبقى من آثارها.

ويختص المنهج التاريخي بدراسة التطور اللُّغوي عبر الزمان من خلال الوقوف على التطور الاجتماعي والثقافي والعلمي وكل المعطيات المؤثرة في اللُّغة.

وينطوي تطور باب نحوي أو أسلوب نحوي كالاستفهام أو الجملة الفعلية أو تطور بناء أو صيغة صرفية من عصر إلى عصر أو دراسة معاني تطور الكلمات من أقدم النصوص إلى أحدثها.

ولاشك في أن عملاً كهذا يتجاوز في أهميته مجرد الرصد والحفظ إلى الأهمية التربوية التعليمية، فإيراد القواعد على ترتيب في زمن ما لا يعني إصلاح ذلك الترتيب لزمن آخر، وهو بالتالي يعطينا القدرة على مراقبة حركة اللُّغة وتطوره.

وعليه تعد قواعد النَّحو والصَّرف من أكثر المعايير اللغوية ميلاً إلى الثبوت. أمَّا المعاني والأساليب فتتطور تطوراً بيناً، ولذلك تقصد الدراسة بثوابت القواعد النحوية وبالمتغيرات المفردات في المعجم.

وكذلك بعض من القوانين الوضعية ومخارجها بتطور (المماثلة والمخالفة) ولئن كانت الألفاظ تتطور فتشكل بتطورها مظهراً من مظاهر (التغير) الذي ربما لا يثبت على معنى واحد.

المنهج المقارن:

يعد المنهج المقارن متطوراً من المنهج التاريخي، في دراسة اللُّغة وهو يميز عن المنهج التاريخي بعنايته يبحث الظاهرة اللغوية في أكثر من لغة، ويركز بشكل خاص، على بحث الظاهرة في اللغات التي تنمي إلى أصل واحد كاللغات السامية أو الحامية أو الهند أوربية ويكون هدفه في ذلك التأصيل التاريخي.

يختلف المنهج المقارن عن المنهج التقابلي الذي يعنى بالموازنة بين اللغات، ولكن الفارق بين المنهجين أن الأول المقارن يوازن بين اللغات يقصد التأصيل والوقوف على جوانب التطور.

أمَّا الثاني فيقصد به التعليم ومعرفة المشكلات التي يعاني منها الدارس الذي يرغب في اكتساب لغة جديدة بأيسر السبل[1].

"والواقع أن فرصة المقارنة بين اللغات كانت مهيأة منذ زمن مبكر فقد استطاع الإغريق أن يلاحظ وجوه التوافق في لهجاتهم المختلفة، كما أن القرابة بين اللسان اللاتيني واللسان الإغريقي كانت أمراً معروفاً؛ لكن القوم الأقوام المتبربرة فلم يهتم بها أحد"[2].

ويفهم من هذا النص أن أدلة المنهج المقارن لا تكون قاطعة، ولكنها تسمح ببناء تصور شكلي في كثير من الأحيان عن الأصل التاريخي لكثير من الظواهر اللغوية. إذن لا بد من وجود منهج قادرٌ لكشف تلك الظواهر وتحليلها.

١/ يُنظر، أحمد سليمان ياقوت، في علم اللُّغة التقابلي: ط الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص٥٤.

٢/ محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللُّغة: ط٤، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ص٣٥.

"ومع أن المنهج المقارن، يولي وجهه شطر الماضي السحيق، فإنه في الواقع لا يؤتي ثمرته، إلاَّ في اتجاه عكسي، لأنه يوضح تفاضل اللغات الثابتة بالوثائق. وأظهر نتيجة لنحو اللغات الهندوأوربية المقارن، تنحصر في تحديد صلات القرابة بين هذه اللغات؛ فكل اللغات الفارسية، واللغات السلافية، والجرمانية، والرومانية، والكلتية، إذا اعتبرت من الوجهة الزمنية، تبدو للعالم اللُّغوي، نتيجة لسلسلة متتابعة من التباين لحالة لغوية واحدة، سابقة عليها جميعاً، وتسمى باللغة (الهندية الأوربية)"(١).

ونفهم من هذا النص أن المقارنات كانت هدفاً للمستشرقين، ومِمَّا أزكى الرغبة في المقارنة بين اللغات وجود كثير من الأوربيين خارج أوطانهم منذ زمن بعيد إذ أثارت الكشف الجغرافية فضول العلماء إلى المقارنة بين اللغات ووصولاً إلى عصر الاستعمار الأوربي؛ حيث يتطلب الموقف تعلم لغات البلدان المستعمرة.

وهذا ما حدث للسير (وليم جونز) أثناء إقامته في البنغال أعلن ١٧٨٦م ما لاحظه من صلة بين السنكريتية واليونانية واللاتينية(٢). بعد سنوات توالت الدراسات المقارنة بين اللغات فقد نشر بوب (*F. Bop. P*) أفكاره فيها.

"وإذا كان (بوب) قد أخفق في اكتشاف أن اللُّغة السنكريتية هي أصل لبعض اللهجات الأوربية والآسيوية، إلاَّ أن الفضل يعود إليه في إدراك أن العلاقة بين اللغات ذات القرابة أو الأصل الواحد يمكن أن تصبح موضوعاً لعلم مستقل إذ لَمْ يسبقه أحدٌ في إلقاء الضوء على لغة بدارسة لغة أخرى، ولا شك أنه لولا

١/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللُّغوي: ط٣، م الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٩٨.

٢/ توفيق محمد شاهين، علم اللُّغة العام: ط١، دار التضامن، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٤٥.

اكتشاف اللُّغة السنكريتية لَما استطاع (بوب) أن يضع مبادئ وأصول العلم إذ قدمت له هذه اللُّغة سنداً قوياً بجوار اللغتين اليونانية واللاتينية"[1].

ونفهم من هذا النص أنه لا يعد التقاء في كثير من المفردات دليلاً قاطعاً على أنها تنتمي إلى أصل واحد. فاللغات وبخاصة في مجال المفردات، قد تكثر من الاستعارة ولكنها تبقى مسدودة الجذور إلى أسرها، مثال الاشتقاق.

لعل الدراسات المقارنة من أظهر ما تميز الدراسات الاستشراقية لغوياً. وقد صاحب دراساتهم المقارنة للغة العربية، واللغات السامية دراسات مقارنة على صعيد الهندية الأوربية وغيرها.

"أمَّا المستشرقون، فقد بدأت دراساتهم الأولى في أحضان كليات اللاهوت، فأدركوا العلاقة بين العبرية والعربية والسريانية. وبدأت هولاندة في القرن الثامن عشر على يد (شولتنس *Schultens*) بمقارنة العبرية بالعربية"[2].

فالعربية لغة من اللغات السامية وهي لغة حية من بين أخواتها وبها يمكن أن يحل كثيراً من المشكلات النصية المتعلقة في النقوش القديمة. هكذا كانت الدراسة قبل البنيوية تعتمد على المناهج الآتية:

١/ المنهج المعياري التعليمي.

٢/ المنهج التاريخي.

٣/ المنهج المقارن.

١/ حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللُّغة: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص٤٣.

٢/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللُّغوي: ص٢٠٢.

"ولكن علم اللُّغة المقارنة استطاع أن يحتل مكانه الصحيح حينما بدأ (دير *Diez*) في دراسة اللغات الرومانية الجرمانية، ونشر كتابه عن قواعد هذه اللغات بين عامي ١٨٣٦-١٨٣٨م، فبدأ علم اللُّغة يقترب من موضوعه الصحيح، لأنَّ كل ما كان غير واضح أو محدد في اللغات الهندية الأوربية اتضح واستكمل من خلال دراسة (دير) للغة اللاتينية... كما مكنت كثرة الوثائق من تتبع تطور اللهجات المحلية لهذه اللغات، وكل ذلك أدى إلى انزواء الافتراضات العقلية لتحل محلها ملامح واضحة ومحددة لموضوع علم اللُّغة"(١).

ونفهم من هذا النص أن الأمر في حاجة إلى دراسة أعمق، وتلك هي إرهاصات المنهج الوصفي.

لا يفي ظهور المنهج الوصفي أن البحث اللُّغوي كان لا يعمد إلى الوصف قبل ذلك؛ بل ظهور اتجاه وصفي متميز عن الاتجاهات السابقة، أخذ يطبق خطواته على اللُّغة، متجاوزاً في ذلك المبادئ الوصفية التي لا يستغني عنها أي منهج لغوي يمكن أن يتصدى لبحث الظاهرة اللغوية (أصل المفردات) وذلك هو المنهج الوصفي.

"فالمنهج الوصفي يقوم على أساس وصف اللُّغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة، أي في نواحي أصواتها، ومقاطعها، وأبنيتها، ودلالاتها، وتراكيبها، وألفاظها، أو في بعض هذه النواحي، ولا يتخطى مرحلة الوصف"(٢).

ولقد عمدت البنيوية المنهج الوصفي في دراسة اللُّغة والاعتماد على جانب النطق قبل الكتابة، ولذا نراها تهتم بمختبرات تعلم اللُّغة، واستخدام

١/ حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللُّغة: ص٤٥.

٢/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث: ص١٨٢.

الأشرطة والسماعات أكثر من اهتمامها بدراسة اللُّغة المكتوبة من خلال النصوص.

"وقد حقق علم اللُّغة الوصفي في القرن العشرين نهضة كبرى أدت إلى كثير من التطورات المهمة في علم اللُّغة المعاصر... وكان من أكبر الباحثين الذين أثروا في مجال الفصل بين الدراسات الوصفية والتاريخية العالم السويسري (فرديناند دي سوسير ١٨٥٧-١٩١٣م) الذي وضع حجر الأساس في الدراسات اللغوية البنيوية أو الوصفية في كتابه (محاضرات في علم اللُّغة)"[(١)].

ويرى الباحث إن دراسة البنيوية في إطار اللسانيات العربية إنما هو محاولة إعادة الدرس اللُّغوي العربي وكشف مرجعيات اللسانيات العربية القديمة.

كما أن ارتباط النظرية اللسانية الغربية الظاهرة اللغوية العربية يؤدي إلى كشف الدور الوظيفي للإعراب، ومدى التطور الذي حدث فيه من علاقات متداخلة.

وقد بينت اللسانيات العربية الحديثة -في محاولتها إعادة وصف اللُّغة العربية- ما اقترحته البنيوية من تقسيم إجرائي ومنهجي للغة على ثلاثة مستويات:

١/ المستوى الصوتي.

٢/ المستوى الصرفي.

٣/ المستوى النحوي

إذن لا بد من دراستها دراسة وصفية.

١/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث: ص١٨٢-١٨٣.

"أمَّا الدراسة التاريخية، فإنها توفر المادة الآنية التي وصلتها اللُّغة؛ حيث تصبح قيمة في ذاتها لذا فإن الدراسة الوصفية ضرورية للباحث قبل القيام بالدراسة التاريخية، وإنها -أي الوصفية- بعد ذلك تقدم على الدراسة المعيارية؛ لأنَّ مهمتها التحري عن الحقائق، بينما مهمة المعيارية وضع الصور التنظيمية ومقاييس النظام القواعدي"[١].

١/ عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ط١، الصفاء، عمان، ٢٠٠٢م، ص٢٢٧.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

تيارات مكونات البنيوية

المبحث الأول
البنيوية

المبحث الثاني
المدارس اللُّغوية

المبحث الثالث
الوصفية

المبحث الأول
البنيوية

تعريف البنيوية:

إنَّ كلمة (البنية) في لغتنا العربية تجري على الفعل الثلاثي[١]: (بني، يبني، بناء، بناية، وبنية). وبنية الشيء في العربية: (تكوينه) وتعني الكيفية والهيئة.

كلمة "بناء أصلها بناي، قُلبت الياء همزة قياساً لها، بسماء، وإلى سماء تقلب الياء والواو همزة إن تطرفا بعد ألف زائد-بناي-بناء"[٢].

ومن هنا نتحدث عن بنية اللُّغة، حين كان أهل اللسان العربي يفرقون بين المعنى والمبنى، فإنهم يعنون بكلمة (مبنى): بنية -أي بنيية- بنون ساكنة وثلاث ياءات (بنيّى)، مثل: قرية: قريّى، عند النسب، وتُقلب إحدى الياءات وهي الثانية واواً، بنيوي: قياساً على قروي. وعليه تحديد المصطلح بنيوي: بنيوية.

أمَّا الكلمة الإنجليزية (*Structure*)[٣]. مشتقة من الفعل اللاتيني (*Struere*) بمعنى (يبني) أو يشيد بنياناً؛ هيكل البناء.

ويُفهم من المصطلحين العربي والإنجليزي أنَّ معنى البنية هو الشكل أو الهيئة، ومعنى البنيوية تعني البنية المركبة المنظمة.

وهناك مصطلح بنيوي آخر لبعض المعاصرين[٤]، يقولون: بنيوية خشية أن

١/ يُنظر، الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين: دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص.٩٠

٢/ يُنظر، الحملاوي، شذا العرف في فن الصَّرف: دار النشر البابي الحلبي، د.ت، مواضع قلب الياء، ص٢٧.

٣/ *English Dictionary Ashornby, Oxford, Pp 791*.

٤/ كمال بشر، صلاح فضل، يُنظر، البنائية في النقد الأدبي: ط١، دار الشروق، القاهرة،

تقع الواو بين اليائين، وتلك قاعدة صرفية.

ويرى الباحث أنَّ البنيوية هي المصطلح العلمي في منهج اللُّغة هو المنــهج الوصفي التركيبـــي الذي يدرس اللُّغة في ذاتها، ولِذاتها، وذلــك بــالرجوع إلى أصلها بناء أصلها بناي، كما أن يتفق مع المفهوم الغربي في المعنى. وهـــي تعـــني التركيب، والعلاقات الثابتة القائمة بين حدود متنوعة.

البنيوية تبحث في التركيب الصوتي -الصرفي- النحوي (فونيم، مـــورفيم نحوي *Syntax*) وتبحث عن العلاقات بينها، فتلك هي الظـــواهر التجريبيـــة للدرس اللُّغوي. "التنظيم الذاتي لا بدَّ من أن تتجلى علـــى شـــكل إيقاعـــات وتنظيمات وعمليات، وهذه كلها عبارة عن (آليات بنيوية) تضـــمن للبنيـــات ضرباً من الاستمرار أو المحافظة على الذات"[1]. ويعني ذلك أنَّ البنية (الصفة) لا يمكن أن تظل في حالة سكون مطلق، بل هي تصل دائماً من (التغيرات) ما يتفق مع الحاجات المحدودة من قبل علاقات النسق اللُّغوي.

بما أنَّ البنيوية من جهتها منهج لساني نموذجي؛ فلا بدَّ أن يتم اللقاء على الأرجح في ميدان الدراسة الصوتية والتركيب.

تؤلف الأصوات والكلمات والجمل القاسم المشترك عند اللساني والفقيه اللُّغوي.

"البنيوية ليست بأي حال من الأحوال (فلسفة) إنما هي مجـــرد منـــهج

١٩٩٨م.

١/ يُنظر، زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيويـــة: مصـــر للطباعـــة، القـــاهرة، ١٩٧٦م، ص٣٥.

للبحث العلمي"[١].

إن كانت اللُّغة عند (دي سوسير)[٢] نظاماً من الرموز لا يعرف سوى قوانينه الخاصة المميزة بأنه يقارنها أكثر من مرة بلعبة الشطرنج لتوضيح خصائصها، فيدعو إلى التمييز في دراسة اللُّغة بين العناصر الداخلية والعناصر الخارجية منها، ونحدد الآتي:

أولاً: وضع رقعة الشطرنج في حالة تطابق، ما يطابق تماماً وضعاً مُعيَّناً لِلُّغة، لذلك فإننا نجد أنه إذا كانت قمة في كل قطعة تتوقف على موقعها في الرقعة فكذلك الأمر في اللُّغة إذ تتوقف كل كلمة على مقابلتها نظيرها من الكلمات.

ثانياً: لا بدَّ أن يكون النظام القائم في حالةٍ ما مؤقتاً، حيث لا يلبث أن يتغير إلى وضع آخر إلا أنَّ جميع القيم تتوقف على عُرف ثابت (علامات قواعد الإعراب مثلاً).

ثالثاً: لكي يتم الانتقال من حالة توازن إلى أخرى. -أي من حالة وضعية إلى أخرى- يكفي تحريك قطعة واحدة، فلا يحدث تحرك شامل دفعة واحدة، وهنا نعثر على ما يوازي عمليات التطور التاريخي[٣].

ويُفهم من ذلك أنَّ اللُّغة تقوم على نظام متوازٍ. فالناحية التاريخية يقصد بها المفردات في صورتها الذهنية (معاني الكلمات)، ومعنى كل كلمة، يتوقف على موقعها في الرقعة: يُقصد بها وضع الكلمة في النظم أو السياق. فلا بدَّ

١/ زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص٢٣

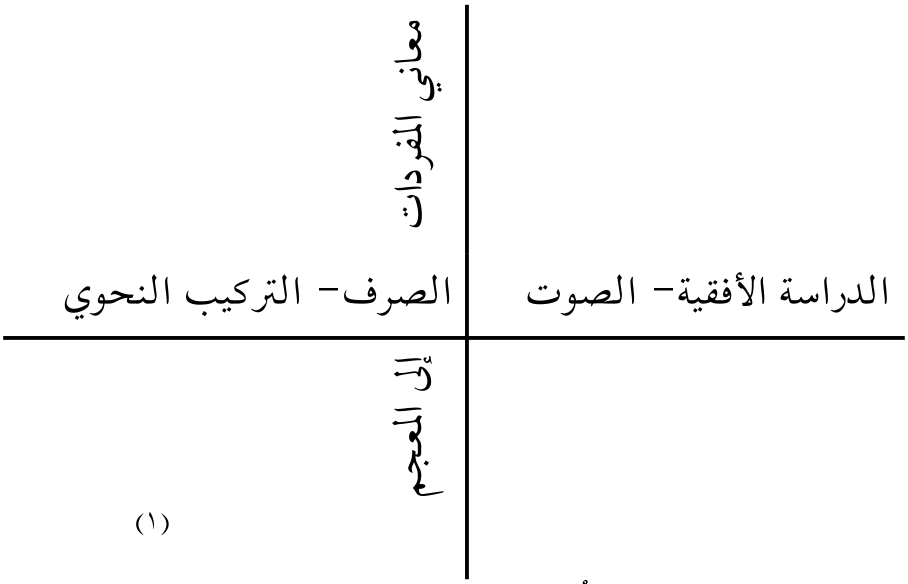
٢/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص٢٤.

٣/ المرجع السابق: ص٢٦.

للكلمة أن تُفحص بهذا المفهوم.

وذلك يتفق مع التقسيم الذي قام به (دي سوسير)، فما كان يسمى عنده لغةً يُسمى: نظاماً في الدرس البنيوي. وما كان يسمى كلامـــاً يُطلـــق عليـــه: (عملية) تطبيقية. ويكمن الكلام في درس النظام.

فظهرت الدراسة الآنية الأفقية، والدراسة الرأسية التاريخية تسمى التعاقبية.



(١)

يرى (دي سوسير) أنَّ اللُّغة ذات وجهين أحدهما نظام ذهني اجتماعي ذو وجود مستقل، في أذهان أبناء الجماعة اللُّغوية الواحدة، وقد سمى هـــذه اللُّغـــة *Language*. الآخر هو الصورة التي يتحقق بها الوجود الذهني على لسان الفرد، ولذلك سماه الكلام *Parole*[٢].

ينطبق هذا التقسيم على جوانب اللُّغة كلها ابتداءً من الأصوات وانتـــهاءً بالدلالة. وهنا ينشأ النحو بصورة خاصة. وهو قاسم مشترك بين اللُّغة والكلام. ويعبر عن الثوابت، المفردات هي المتغيرات التي تكون في النظام اللُّغوي.

١/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص١٩.

٢/ يُنظر، حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللُّغة: ص٧٥.

ومن هذا النظام تقوم العلاقات بين الكلمات، والنظام هو الذي يفرض موقع الكلمة. وهو الذي يفرض المعنى المناسب، لهذه اللفظة أو تلك، من المعاني التي تحملها.

هذا النظام هو الوجه الأول من وجهَي اللُّغة في تقسيم (دي سوسير). وما ينبثق عن هذا النظام التصوري هو الكلام، وهو الوجه الثاني في التقسيم المذكور. والنحو كسائر فروع اللُّغة؛ نسق عضوي منظم من العلاقات مِمَّا كان منها منطوقاً فهو (دال) وما كان تمثيلاً ذهنياً، أو تصوراً فهو (مدلول) ومن هنا ظهرت ثنائية النظم اللُّغوي في الظاهرة اللُّغوية:

١/ "ثنائية اللُّغة والكلام.

٢/ ثنائية التوقيت الثابت والمتغيرات (الدراسة الأفقية، الرأسية التاريخية).

٣/ ثنائية القياس والاشتقاق.

٤/ ثنائية اللفظ والمعنى"[١].

ومن هذه الثنائية نشأت بنيوية التحليل والتركيب الثنائي وبيان العلاقات الرابطة بينها.

"... غير أنَّ القول بأن للبنيوية رسالة علمية؛ لأنَّ النشاط الذي تقوم به يندرج تحت باب (النظر أو الأسمولوجيا[٢]) أكثر مِمَّا يندرج تحت باب الفلسفة"[٣]. ففيه المعنى شيء مرتبط بالذهن، وفي الذهن مدلولات الألفاظ،

١/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص٢٠.

٢/ علم جمع المعلومات هو قسم بين علم اللُّغة الاجتماعي وعلم اللُّغة النفسي.

٣/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية– أضواء على البنيوية: ص٢٥.

وهذا ما يذهب إليه الواقع اللُّغوي في تركيز المعرفة العلمية الحقيقيـــة للأشـــياء. علماً بأن البنيوية بهذا المفهوم: منهج، وليست فكرة (تجريدية).

"وإذا انتقلنا إلى المفهوم الاصطلاحي لكلمة البنية، وجدنا أنهـــا تتميـــز بثلاث خصائص هي: تعدد المعنى، التوقف على السياق، المرونة"[١]. ونفهم من ذلك أنَّ البنيوية تقوم على أساس نظري مؤداه أنَّ البنية تتـــألف مـــن عناصـــر ومكوِّنات جزئية، وأنَّ أي تغير يطرأ على أي واحد من هذه المكونات لا بدَّ أن يؤثر في سائر المكوِّنات والعناصر الأخرى.

وعلى هذا الأساس فالبنيوية مبدأ عام، أو منهج يصلح أن يثبت في اللُّغـــة والاجتماع، والحفريات الجيولوجية في أعمق أعماق التربة وكل العلوم التطبيقية وعلم الأجناس، علم الآثار (الأنثروبولوجية).

فإذا أخذنا البعد البنيوي للمجتمع الذي تدور فيه اللُّغة وجعلنا هذا البعد أساساً لتفسير الظواهر الاجتماعية يبيِّن لنا بما لا يقبل الشك أنَّ ثقافة المجتمـــع: عاداته، قيمه، ومعتقداته، يربطها جميعاً شيءٌ واحد هو بنية المجتمع وأنَّ ما يـــؤثر في أي واحد من مكوِّنات هذه البنية، يؤثر في سائرها بالضرورة.

وبما أنَّ هذا المبدأ يصلح لتفسير الظواهر الاجتماعية، فإنه يصلح لتفســـير الظواهر اللُّغوية.

ومن هنا كانت البنيوية منهجاً لغوياً، ثم انتقلت إلى الظـــواهر الكونيـــة الأخرى.

يُعدُّ العالِم السويسري (دي سوسير) المؤسِّس الأول للتوجه البنيـــوي في دراسة اللُّغة؛ وعلى الرغم من أنه لَمْ يستعمل كلمة البنيوية بل ظهرت من خلال

١/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص٣٥.

التقسيم. كما أنَّ مضمون البنيوية يفصح عن نفسه بما أودعه (دي سوسير) من نظرات في تفسير الظواهر اللُّغوية.

دي سوسير لَمْ يستعمل هذا المصطلح، ولكنه تحدث عن مضمونه، وانتقل هذا المضمون إلى الرياضيات وعلم النفس(١).

"فالبنيوية الرياضية -مثلاً- قد قامت في الأصل لمعارضة تلك النزعة التقسيمية التي كانت تجزئ الموضوعات الرياضية إلى أبواب مستقلة وفصول غير متجانسة، من أجل العمل على الاهتداء إلى الوحدة من خلال بعض ضروب (التشاكل).

والبنيوية السيكولوجية قد استهدفت أولاً بالذات نقد النزعة أو النزعات الذرية التي كانت تحاول رد المجامع الكلية إلى ارتباطات بين عناصر سابقة"(٢).

على ضوء هذه الثنائية التحليلية نجد أنَّ البنيوية تعوِّض نقصاً مُعيَّناً في الإنتاج التحليلي بمهارة فائقة في توزيع التحليل في دراسته للعناصر المختلفة.

وبالتالي يستطيع القارئ أو الباحث الكشف عن عناصر متماسكة متداخلة في الجملة.

"والبنيوية اللغوية وعلى الأقل في صورتها الأصلية لدى العالم السويسري (فرديناند دي سوسير) قد جاءت معارضة للنزعات التطورية التاريخية التي كانت تفسر الظاهرة اللغوية بالاستناد إلى المراحل الزمنية المتعاقبة التي مر بها تطورها"(٣).

١/ يُنظر، حبيب جاتا، العلوم التطبيقية والدراسة البنيوية، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص٧٥.

٢/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص٣٠.

٣/ المرجع السابق: ص٣٠.

فاللُّغة نسق أو نظام من مجموعة وحدات يتقابل بعضها مع البعض الآخر. وليست فكرة (النظام) أو النسق عند (دي سوسير) سوى مجرد تأكيد لضرورة إحلال المنهج البنيوي محل المنهج التاريخي في دراسة الظواهر اللُّغوية، خصوصاً وأنَّ الدراسات التاريخية المقارنة للغات لَمْ تود بالفعل كشف طبيعة اللُّغة بوصفها صورة لا جوهراً.

"تعريف الشيء بنظائره وأشباهه، والكل معقول بجزئياته وأشخاصه ومحسوساته"[1].

هذا هو مفهوم الدرس البنيوي الذي يعتمد على المعلومات اللُّغوية؛ لأنَّ اللُّغة بين سائر أنظمة أنسجة العلاقات هي بطبيعة الحال أكثرها شمولاً وأشد تحليلاً.

ولو أننا توقفنا الآن عند تشبيه (دي سوسير) لِلُّغة بلعبة الشطرنج؛ لوجدنا أنَّ هذا التشبيه يؤكد أنَّ اللُّغة نظام له قواعده الخاصة وأنَّ مكونات هذا النسق مترابطة فيما بينها بشكل متماسك، فضلاً على أنه يعطي الأولوية أو الصدارة للغويات الداخلية على اللغويات الخارجية تعنى بها قواعدها الداخلية لا تاريخها أو نشأتها أو مراحل تطورها. (دراسة العبارة في صورتها التي هي عليها).

مفهوم الدراسة التاريخية (التزامنية- الرأسية):

هنا لا بدَّ لنا من وقفة للتفرقة التي أقامها (دي سوسير) بين التزامن أو التوقيت الزماني من جهة وبين التطور أو التعاقب من جهة أخرى. وذلك تمثله الدراسة الأفقية (الآنية) وهي التي تقوم فيها العلاقات بين الأشياء على أساس

١/ أبو البركات البغدادي، المعتبر في الحكمة: دائرة المعارف العمانية، حيدرأباد، ١٣٥٧هـ، ج١، ص٤٨.

ثابت في الدرس الصوتي -الصرفي- النحوي ليس للزمان مدخل فيه، وتخصص هذه الدراسة الأفقية بالتركيب من حيث الموقعية، التطابق، التقديم، والتأخير. وتكون الدراسة التاريخية وصفاً لتلك الظواهر.

وقد شبه (دي سوسير) ذلك بـ"العالِم اللُّغوي الذي يدرس (حالة) من (حالات) اللُّغة، دون أن يستبعد (العامل التاريخي) بالشيء الذي ينظر إلى مشهد ثابت، وهو في حالة حركة ودوران، دون أن يفطن إلى أن الواجب يفرض عليه أن يثبت في مكانه وأن يتوقف عن الحركة، لكن ينظر إلى المشهد من زاوية واحدة. وأمَّا إذا تحرك فلن يجد نفسه إلا بإزاء حالات مختلفة للمشهد الأول الذي يريد رؤيته، في حين أنَّ هذا التعاقب الزمني لن يفيده في معرفة طبيعة المشهد نفسه"(١).

إنَّ التاريخ هو الموضوع المحدد لوجود الأشياء في زمن مُعيَّن، ويحاول التاريخ التقاط حركة الأحداث، وتصورها في الزمن الحاضر.

وإنه من المستحيل إحصاء جميع الدراسات اللُّغوية تاريخياً بصورة وصفية وذلك لتعاقب الدراسات اللُّغوية في الأزمنة المختلفة. ثم تحاول الوصفية وصف الكلمات والجمل والأشياء في صور رموز تدل على معان.

تلك هي قواعد الرمز اللُّغوية. "فما توحيه ربة الإلهام إلى الكاتب أو الأديب ليس هذه الصورة، أو تلك الفكرة، أو ذلك البيت من الشعر، ولكن ما يوجد بالفعل هو المنطق العظيم للرموز"(٢).

١/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص٥٣.

٢/ يُنظر، *Fr. C. Northron, The Stubborn Structure: essay on criticism and society, 1971, Pp. 45.*

الرمز هو شكل لمنطوق اللُّغة ودراسته في التفرقة. ليس على مستوى من مستويات اللُّغة، إنما تكون تفرقة بين هيئتين: هيئة ذهنية (داخلية)، وهيئة خارجية (لفظ)، وذلك يدرس في مفهوم الكلام التلقائي التعليمي ويندرج حتَّى مدرج المعيارية التعليمية. ترتبط أسس القواعد التي تدرس القاعدة وليس الظاهرة في معرفة الصواب والخطأ بقدر معرفة النطق.

وهذا مِمَّا جعل (دي سوسير) "يتفادى كلمة الرمز عند تحديده للأنظمة اللُّغوية، ويقول: إنَّ الكلمات إنما هي مجرد علامات أو إشارات للأشياء، ويعني بهذا العلامات الكل المزدوج الذي يفيد الدال والمدلول معاً، وذلك لأنَّ العلاقة بين العلامة ومعناها اعتباطية. أمَّا الرمز فيفترض علامة طبيعية مسببة بين الدال والمدلول. كأن نقول: إنَّ الماء رمز الصفاء والتجدد والحياة، وفيما ينطبق الدال على المدلول تماماً في حالة العلامة اللُّغوية، فإنَّ الأمر يختلف عن ذلك الأمر؛ عندما نطلق كلمة الرمز على العلامة اللُّغوية فإنَّ هذا من قبيل تبسيط الأشياء قبل أن نعمد إلى التصنيفات والتفريقات"(١).

إنَّ البحث في رمز المفردات والعبارات قد يكشف لنا بعض المصطلحات التي نعرفها، لكن دون أن يكون لنا بها واقع معاش. وتلك ثروة لغوية طيبة مثل كلمة: (جمزي سريع) لكن لا نعرف متى استُخدمت هذه المفردة وأين أصل اشتقاقها، فهي كلمة متطورة عن كلمة أخرى.

أمَّا التطور فيعني به أن تشكل اللُّغة أداة للتعبير والتواصل بين أفراد المجتمع منذ القدم وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

اللُّغة الحية لا تتوقف عند الشيء القديم، بل تتجاوزه إلى أشكال تتلاءم مع معطيات العصر، وهكذا اللُّغة العربية قد كانت بالفعل.

١/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: دار الشرق، ١٩٩٨م، ص٢٩.

فالدراسة التعاقبية (التاريخية) تحفظ لِلُّغة شكلها وألفاظهــا وقواعــدها. فالتطور في اللُّغة يكشف مدى عمقها وتأثيرها في اللغات الأخرى مـــن حيـــث الاقتراض وعلاقتها باللغات التي كانت سائدة معها.

"البنيوية اللُّغوية -على الأقـــل في صـــورها الأصـــلية لـــدى العـــالِم (دي سوسير)- قد جاءت معارضة للنزعات التطورية التاريخية التي كانت تفسر الظاهرة اللُّغوية بالاستناد إلى المراحل التاريخية المتعاقبـــة، الـــتي مـــرت بهـــا في تطورها"[1].

لا شك أنَّ هذا المفهوم -هو مفهوم الدرس اللُّغوي؛ لكتابـــة التـــاريخ- ويرى الباحث أنَّ التاريخ لا بدَّ أن يُكتب من خلال عادات المجتمـــع وتقاليـــده وأعرافه وثقافته، لا عن طرق السرد الزمني.

البنيوية والتاريخ:

منذ أن قام (دي سوسير) بالفصل القاطع بين المنهج التوقيتي التـــاريخي، والمنهج الأفقي الآني، في دراسة اللُّغة، وبالرغم من محاولة التوفيق بينـــهما فيمـــا بعد. "إن التحليل البنائي يجب أن ينصب أساساً على الدراسة الحالة للموضوع وهذه الدراسة الحالة (أو المحاثية) تعرض استقلال الموضوع بالنسبة إلى ملابساته التاريخية والجغرافية أو الوجودية... وقد كان حلم الأكبر للكثر من (البنائين) هو تثبت البناءات فوق دعائم لا زمانية شبيهة بدعائم الأنظمة المنطقية الرياضية"[2]. يعني ذلك أنَّ المادة اللُّغوية لا بدَّ أن تحلل تحليلاً تركيبياً، ومعرفة مشتقاتها دراسة ميدانية.

١/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص١٧٩.

٢/ د. عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة، ط١، دار المعارف، القـــاهرة، د.ت، ص٩.

لا شك أنَّ الفكر التاريخي منذ القرن الثامن عشر حتَّى الآن، قد انحصر وفقد أهميته وشغل الذين كان ينبغي عليهم تعميقه بمشاكل فلسفية ومناقشات لا طائل وراءها عن المادية الجدلية، فظهرت البنيوية الماركسية.

البنيوية الماركسية:

هذه البنيوية ذات طابع علمي، علماً بأن البنيوية هي في المقام الأول منهج في غاية المرونة، وقد انتقلت إلى الأفكار والعلوم التطبيقية، "فهنالك ثمة نوع من التلاقي بين هذه الماركسية العلمية الجديدة من جهة، وبين الحركة البنيوية من جهة أخرى -وقد كان نقطة التلاقي بين الاتجاهين- على المستوى النظري -إنما هي تلك النزعة المضادة للإنسانية- أي رفض تفسير التاريخ بالاستناد إلى مفهوم الإنسان أو الذات"(١).

ويرى الباحث غير ذلك؛ لأنَّ المفهوم الماركسي يعتمد على رفضه للتاريخ، ونظراً لتلك النظرة الضيقة للجانب التاريخي في الدراسة الرأسية وأنَّ القوة البشرية العمالية بمثابة دراسة أفقية وقوى فاعلة محركة لصيرورة العملية التاريخية.

ويعود هؤلاء إلى مصطلح البنيوية، الذي يقوم على نظام من العلاقات الداخلية، ونتيجة لذلك فإنَّ التصور البنيوي للعالم في نظر الماركسيين وإن كان يتسم ببعض المرونة التي تسمح لهم بأن يقولوا: الطبقة العاملة هي صانعة التاريخ.

ينحصر المفهوم الماركسي في المجال البنيوي الدلالي أنَّ الإنسان يمثل أساساً في تحليل المجتمع -وهو جزء منه يقوم عليه-، كما أنَّ المجتمع هو الحركة المحركة

١/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص٢٨.

له؛ وذلك يعود إلى مصطلح البنيوية -للمجتمع نفسه- الدال على النظام الشمولي في العلاقات الداخلية التي تحدد بعض الخصائص الجوهرية للشيء وتمثل واقعاً لا يمكن حصره في مجرد مجموعة العناصر المكوِّنة له، وخاضعاً لقوانين تحكم وجوده وتحولاته، عن طريق جمع المعلومات.

"ولكننا نميل إلى الظن..... قد انحصر في تزويد الماركسية النظرية الإستمولوجية التي كانت تفتقر إليها (خصوصاً في محيط الثقافة الفرنسية). وهو ما دعاها من جهة إلى العمل على تحرير الجدل الماركسي من براثن الجدل الهجلي، ومن جهة إلى القيام بمحاولة (جديد) من أجل صبغ الماركسية بصبغة (بنيوية) معاصرة"[1].

لقد أكدت البنيوية على دراسة اللُّغة بنيان مترابط ومتكامل، وهو منهج كان بمثابة الإطار العام الذي تحركت ضمنه النظريات الفكرية، فاللُّغة وعاء الفكر والفكر مادة اللُّغة.

وبذلك تجاوزت اللُّغة في دراستها حدود الدراسة التاريخية، والمقارنة، ولَمْ تعد تركز في مجرد وضع معايير وقواعد، طالَما استقطب اهتمام الباحثين في ربط علاقتها بالفكر، فاللُّغة المرنة هي التي تحفظ الفكر.

فالبنيوية منهج يجمع بين الإرث التاريخي في وصفه وتحوله إلى استقصاء علمي لتركيب اللغات الإنسانية -وخصائصها- ومعرفة مختلف جوانبها على أسس علمية، في إطار منهجية موضوعية. هكذا نقل ذلك في مفهوم الماركسية إلى المجتمع بمختلف قطاعاته.

١/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص٢١٢-٢١٣.

"...أنَّ المهمة الأساسية التي أصبح لزاماً على الفيلسوف الماركسي اليوم أن يضطلع بها إنما هي القيام بدراسة استمولوجية في المجال النظـــري البحـــت للماركسية، من أجل إلقاء المزيد من الأضواء على سائر الحركات والممارسات التي تستلهم الفكر الماركسي، المعرفة الماركسية"[1]. نفهم من هـــذا الـــنص أنَّ الماركسية تسعى لتعقدها عن طريق مفهوم البنيوية لِلُّغة.

اللُّغة مؤسسة جماعية عرقية تتألف من مجموعة الأجهزة والأنظمة المتكاملة معاً[2]، فهي تعتمد في كينونتها على أجهزة بيولوجيـــة، الأجهـــزة العصـــبية، والنفسية، والعضلية، لإنتاج مجموعة أنظمة صوتية وصرفية ونحوية ودلاليـــة. إنَّ اللُّغة بهذا المفهوم الواسع نظام يستطيع أن يحمل الفكر ومدلولاته.

من خلال التحليل البنيوي لهذا النظام لا يستطيع الفكر أن يُدرك كنهـــه إلا بالتحليل إلى نظام مجرد عند المتخصصين. فاللُّغة "قوام الحياة وعمادها الأول، حيث برزت لهم أهميتها في تصنيف المجتمع عند الأفكار".

"... إنَّ ظهور البنيوية علـــى المســـرح الأيـــدلوجي[3] الأوربي عامـــة، والفرنسي بصفة خاصة لَمْ يكن ليحدث لولا أنه للمرة الأولى منذ مولد الفلسفة البرجوازية الذاتية باعتبارها آخر رواسب الفلسفات المثالية الماضية تبين عجزهـــا التام عن الدفاع عن موقعها"[4].

إنَّ دراسة الأفكار بوجه عام قد بدأت منذ الإغريق، وحملها من بعـــدهم

١/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ٢١٥-٢١٦.

٢/ يُنظر، عبد السلام المسدي، قضية البنيوية: ط٢، دارامية تونس، ١٩٩١م، ص٤٥.

٣/ أصل الكلمة (*Idea*): وتعني فكرة/أفكار، عقيدة/عقائد، أيدلوجي: أفكار.

٤/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص١٩٠.

الفرنسيون. وقد كانت الدراسة تهدف إلى دراسة النفـــوس والأفكـــار القـــديم الموجود في الكتب المقدسة وهدفهم الأول هو حفظ اللُّغة وتنظـــيم قواعـــدها، التمييز بين الصيغ الصحيحة وغير الصحيحة، معتمدين على الدراسة التحقيقية؛ أي تحقيق النصوص (الفيولوجيا)[١].

ومن ثم ظهرت الدراسة المتخصصة في صفوة الكتاب والدراسة العامـــة لعامة الناس وتحليل الأوضاع الفكرية والاجتماعية، في فرنسا[٢] عندما بـــدأت تظهر في الحياة العامة آثار سيطرة الاحتكارات الاقتصادية الكبرى، فزيادة رأس المال الاقتصادي يعني ظهور طبقات في المجتمع البشري.

وظهرت بعض الفلسفات الجديدة خاصة في عقد الخمســـينات ظهـــرت التخصصات الدقيقة، وظهرت قوة الإدارة، وسيطرة الإدارة على شئون الحيـــاة، وسُمِّيت بحكومة المكتب أو قوة المكتب (بيروقراطية)[٣] -كأن البنيويـــة- قـــد أصبحت الشكل الجديد لتحليل المشاكل وحملها كبار المفكرين والباحثين ذوي الروح المعارضة لتلك الأوضاع السياسية والاقتصادية. مِمَّا جعل مبادئهم تبـــدو كما لو كانت صياغة علمية حديثة للماركسية.

لعل هذا الفهم يعود لطبيعة البنيوية الدالة على دراسة نظـــام العلاقـــات الداخلية التي تحدد نوعية تركيبة العبارة وتمثل واقعاً لا يمكن حصره في مجرد نظام شكلي للنص، تربطه علاقات شقية في مستوياته الثلاثة (الصـــوتي، الصـــرفي، النحوي).

١/ يُنظر، د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص٦٧.

٢/ يُنظر، سنجور، الثقافة الفرنسية واللغات: ترجمة حبيب جاتا، دكار، ١٩٦٢م، (ب.ت)، ص٤٥.

٣/ يُنظر، عبد الكريم درويش، بيروقراطية الحكم: دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م، ص٦٤.

يرى الماركسيون أنَّ هذا التنظيم أشبه بنظـــام الطبقـــات الاجتماعيـــة، فالصوت في الكلمة يمثل: الطبقة الدنيا، والمستوى الصرفي: الطبقـــة الوســـطى، والمستوى النحوي: الطبقة العليا. إنَّ هذه الفكرة لا تلائـــم فكـــرهم، وهـــذه التصورات قد سبقت الماركسية في تفسيرها.

إلا أنَّ هناك قولاً فيصلاً أنَّ طابع الدراسة البنيوية طابع علمـــي ولـــيس بفكري أو مذهبي.

"... قصارى القول أن البنيوية منهج لا مذهب، وهي إذا اكتسبت طابعاً مذهبياً، فإنها لا بد من أن تقود إلى كثرة من المذاهب، ولكننا حتَّى ولو ســـلمنا مع بعض دعاة البنيوية بأن حركتهم (منهج) لا (مذهب)، (علم) لا (فلســـفة)؛ فإننا سرعان ما نلتقي بباحثين آخرين أمثال كانجيكم يشكون حتَّى في إمكانيـــة قيام (منهج بنيوي)... إنَّ السمة المميِّزة للفكر البنيوي على نحو ما أعرفه هي في الواقع حرصه الشديد على التزام حدود العلمية التامة"[1]. فهي تبلـــور منـــهجاً متقدماً متطوراً لا مفر أن تكون محدودة في مجالات تطبيقها أي أن تؤدي بسبب خصوبتها إلى الدخول في ارتباطات تاريخية بغيرها.

فالبنيوية منهج مفتوح، وذلك باعتمادها لدراسة السمولوجيا. "فإنَّ كثيراً من منظري الماركسية الآن يرون في البنيوية تياراً تقـــدمياً يتجـــاوز الفلســـفة البرجوازية السائدة، ويتخطى أزماتها ومبادئها الخاصة بالكائن والمعرفة الذاتية.

لذلك يحسبون من حسنات البنيوية: إنكار الوجودية والترعة الشخصية، وإقامة علائق أوثق بنتائج مختلف العلوم الإنسانية في تحليلها للأبنية الموضـــوعية الاقتصادية واللُّغوية الثقافية"[2].

١/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص٢٣-٢٤.

٢/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص١٩٢.

ويرى الباحث أنَّ البنيوية تقوم على منهجية واضحة المعالم والحدود تتمثل في التحليل التركيـــبي عن طريق جمع المعلومات.

"أمَّا البنيوية كمذهب فهي في رأي شاتليه مجرد اختراع ابتكره الراغبـــون في الانتقاص من قدر البنيوية! ولهذا يقرر شاتليه في آخر المطاف أن البنيوية هي أشبه ما تكون بحالة ذهنية مشتركة لا بد من العمل على اكتشـــاف الســـمات المميزة لها"(١).

ويرى الباحث أن السمات المميزة لها هي خصائصها الوصفية والقـــدرة على التركيب في نظم السياق.

أمَّا الماركسية فتقوم على فكرة المذهب، مع إنكارها الجانـــب التـــاريخي والإيمان بالمادية التاريخية.

فالمنهج يعتمد على الفلسفة التركيبية مصاحباً معها أبعادهـــا التاريخيـــة والاجتماعية معاً.

كما أنَّ الماركسية تفتقر السمولوجيا، وهي محـــور المقـــام في الدراســـة البنيوية.

ويرى الباحث أنَّ فلاسفة التاريخ الماركسي يستهدفون بناء تصور للعالَم جديد تحدده البنيوية من خلال العلاقات، والجدل فيها بالفكر وباللُّغة، ويريدون تكوين عالَم مجتمع.

وهي تستخدم حيوية الإنسان، ونشاطه الفكري وتكريس تلك النزعـــة التنظيمية في الداخل والخارج معاً، عن طريق وسيلة الاتصال والتواصل. وهـــي

١/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص٢٤.

اللُّغة. "إنَّ ماركس لَمْ ينطلق في تحليله للمجتمع الرأسمالي من مقولة الذات الإنسانية أو الماهية الإنسانية أو من الفرد، بل إنَّ المنطلق المنهجي للتحليل هو البنية الاجتماعية أو نمط الإنتاج الاجتماعي. فالأفراد ما هم إلا نتاج لهذه العلاقات -إنهم مجرد حملة بنيان لا أقل ولا أكثر-، وفهم الذوات أو الإنسان في فرديته لا يتم إلا بمراعاة الأولوية المعرفية للبنيات والعلاقات"(١).

البنيوية تعتمد منهجية جديدة قائمة على مفاهيم موضوعية بحتة، وبالتالي ترتبط بالجانب الفكري في الدراسات الإنسانية.

تأثرت البنيوية بالمنطق الرياضي، لذلك وضعت اللُّغة في شكل عملية رياضية في صورها الأفقية (بناء الجمل من الكلمات الرأسية وضعها وتاريخها) ذلك للنظر إلى المجتمع في حالته الآن هي الدراسة الآنية مع ربطه بالتاريخ.

فالدراسة الأفقية لها صلة بالتحليل التركيبي الذي يعتمد على المعلومات التاريخية والمعرفية لتلك النصوص. وهكذا حال المجتمع أشبه بالنص الموجود أو النموذج أو الهيكل الجاهز للدرس اللُّغوي في دراسة المعلومات.

"يهدف البحث السميولوجي إلى تحديد وظائف النظم الدالة المختلفة عن اللُّغة طبقاً للمنهج البنيوي الذي يتمثل في إقامة تصور خاص للأشياء الملاحظة. ولهذا ينبغي أن تتوافر له خواص الانشقاق والاتصال بموضوع البحث وما يترتب عليهما من عدم التعرض للأشياء إلا من وجهة نظر واحدة واختيار الجوانب التي تتصل بتلك الوجهة فقط، واستبعاد ما عداها، بل يقتصر مهمته على دلالتها الرمزية التكوينية طبقاً لمبدأ الاقتصار على ما هو مرتبط بمادة البحث ومنبثق عنها في الداخل"(٢).

١/ عبد السلام المسدي، قضية البنيوية: ط١، دارامية تونس، ١٩٩١م، ص١١١.

٢/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص٣٠٢.

ولعل هذا يوضح لنا أهمية السياق ودوره في بنية النص الذي يقوم على نظام المفردة اللفظية ومكانها في العبارة.

ومِمَّا سبق يتضح لنا الفارق بين البنيوية والتركيب:

فالبنيوية تقوم على نظام بناء العلاقات داخل الكلمات وربطها بعضها ببعض.

أمَّا التركيب فيعتمد على ضم الكلمات في نسق النظم، فالتركيب داخل البنية ويعطي صورة الرمز في العبارة -كما أنَّ التركيب يكون في العبارة- أمَّا البنيوية فلا تكون في الكلمة فحسب بل تكون في الصوت أيضاً.

"... وبعد موت ستالين فكان بمثابة دعوة صريحة إلى معاودة النظر في الفلسفة (الماركسية) من أجل العمل على تحديد موقعها الحقيقي بين (الأيدولوجيا) و(العلم) لَمْ يستطع ألتوسير أن يتصور الماركسية على أنها مجرد وصفية علمية جديدة... فكان لا بدَّ له من أن يسعى جاهداً في سبيل القيام بعمل نظري جديد يجمع بين الدقة والصرامة من جهة، وبين الرغبة في التأسيس المنهجي من جهة أخرى"[1].

وهنا لا بدَّ من وجود منهج لا يلجأ إلى الأقيسة والتعليلات لتحديد الحقائق، ولا يأخذ بالمقولات المنطقية أو المسائل الفلسفية، فذلك هو المنهج البنيوي الذي اعتمدت عليه الماركسية في تحليل المجتمعات لمعرفة التوازن بينها "... في مناهضة الترعة الإنسانية الكلاسيكية بصدد مسألة الفاعلية الإنسانية في التاريخ بل إنَّ محرك التاريخ هو الصراع الطبقي أي ضرب من الصراع الداخلي بين البنيات والعلاقات والتاريخ نفسه، ليس سوى عملية بدون ذات مِمَّا يوحي

١/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص٢١٥.

بأن التاريخ ذاته وهم، وأن ليس هنا إلا تفاعل بين قوى، تفاعل يتوقف اتجاهه ونتائجه على المحصلات الميكانيكية أكثر مِمَّا يتوقف على تدخل عنصر خارجي"[1].

يكشف لنا هذا النص مدى فاعلية الذات بين البنيوية والماركسية وذلك لتحديد الماركسية أفكارها، ولكي تواكب التصور بدأت بتحليل المجتمعات على نمط التحليل البنيوي لِلُّغة، تعني المحصلات الميكانيكية، الاتصال والترابط الدائم في العلاقات البينية، التقديم والتأخير،... الخ.

كما أنَّ المصطلحات البنيوية في مستوى المصطلحات والمفاهيم تؤدي إلى موقف يولي الأهمية كلياً للعلاقات على الوحدات (الكلمات، شرائح المجتمع عند الماركسية)، كما أنَّ التاريخ له دور هام في معرفة العلاقات.

اللُّغة كائن تاريخي وظاهرة مركبة، ثم إنها تتزل ضمناً في الزمن بحكم التوالي -توالي أجزائها- عند الإقصاء عنصر عقب عنصر، ولكنها تتزل حتماً ولكنها مع ذلك لا تؤدي وظيفتها إلا عندما تبقى في وعي مستعملها كلاً من وجودها التاريخي عبر الزمن ووجودها الفردي عبر الأجزاء.

إنَّ استخدام اللُّغة هو الذي يقوم سبباً مباشراً لتولد ضابط جديد في فك أسرار الظاهرة اللُّغوية، وهذا الضابط هو ارتباط وظيفة الكلام البشري بالنسق الذي تتركب عليه أجزاؤه وكيفية تركيب عناصره.

البنيوية والوجودية:

إنَّ ما نشأ في البعد اللُّغوي -الذي يصير البعد التكويني من الناحية الزمانية- هو البعد المنهجي، ذلك أنَّ البنيوية بمجرد اشتقاقها من حنايا المعرفة

١/ عبد السلام المسدي، قضية البنيوية: ص١١١-١١٢.

المتصلة باللغة، تراءت شكلاً من أشكال معالجة الظواهر الاجتماعية، فاللُّغة كما قلتُ سابقاً: وعاء الفكر.

فالوجودية مذهب فلسفي يرى أنَّ البنيوية تقف ضده؛ لأنَّ البنيوية تربط الدراسة التاريخية بتحليلها التركيـــبي[1].

"يقرر جان بول سارتر بأن هذا الانتقاء حقيقة واقعة يقول: إن هـــدف البنائية هو إقامة أيديولوجيا جديدة كانت بمثابة الأخير الذي أقامته البرجوازيـــة أمام التيار الماركسي وهذا يعني أن تكون (البنائية) مجرد أداة ذهنية تشاء المجتمع القمعي للجوء إليها دعاة الحرية ولتأخير الزحف الثوري"[2].

ومهما كان الدخول التاريخي في الفكر اللُّغوي فإنَّ الاستقراء الموضوعي للأحداث على انعطاف القيمة الفلسفية على القيمة المنهجية، فإنَّ فكرة البنيـــة كانت بمثابة جذع الشجرة تتفرع منها الفروع في الرؤيـــة المعرفيـــة للأفكـــار فالوجودية إحدى هذه الأفكار.

"بدأ سارتر معركته ضد البنيوية مبكراً في كتابه (**نقـد العقـل الجـدلي**) الذي نشره عام ١٩٦٠م..... إنَّ التاريخ لا بدَّ من اعتباره (فوضى معقولة)؛ إذ إنَّ الحقيقة قائمة؛ لأنَّ معناها يبدأ في الوعي الفردي، ومعنى ذلك أنه لا يستطيع قبول تصور عن الطبيعة البشرية الفريدة التي تستجيب لقوانين ذات حتمية"[3].

الوجودية مذهب فكري، يقوم على أساس الصراع الطبقي، يقوم بحريـــة الفرد وتحقق ذاته، على المجتمعات بغض النظر عن النظام. وهذا ما لا يتفق مـــع البنيوية التي تقوم على العلاقات المترابطة.

١/ يُنظر، د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية– أضواء على البنيوية: ص١٤.

٢/ د. عبد الوهاب جعفر ، البنيوية بين العلم والفلسفة: ص١٦-١٧.

٣/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص١٨٤-١٨٥.

"... أحد أعلام الوجودية الفرنسية، يكتب في مقال له تحت عنوان: (من موسى *Muss* إلى كنود): إنَّ هناك نظاماً عقلياً بأكمله قد أخذ يتجدد بظهــور مفهوم (البنية) ذلك المفهوم الذي يلاقي اليوم من النجاح في كافة المجالات، مــا يدل على أنه يشبع حاجة عقلية مهمة... ولا غرو فإنَّ البنية لتكشــف أمامنــا طريقاً جديداً، ينأى بالفكر البشري من محور الذات والموضوع الذي طالما هيمن على الفلسفة ابتداءً من ديكارت حتَّى هيجل"[١].

ويُفهم من هذا النص أنَّ الوجودية فكرة ناقصــة لا تســتطيع أن تلبِّــي حاجات الفكر الإنساني. الفكر يتجدد بتجدد الحياة، الحياة لا تستقر بوجــود الشخصيات والفكر نتاج المحصلة المعرفية للإنسان.

الإنسان محدود الغايات؛ علينا أن نستشعر بهذا القصور ونعترف ونجزم أنَّ هناك شيئاً أقوى وأعظم من الفكر، ألا وهو الوحي بكل طرقه.

وعلى الفرد الإنساني أن يتعلم كيف يعرف أنَّ الحقيقــة هــي حقيقــة الأشياء. الإنسان قد بدأ يعرف ذاته عن طريق البحث العلمي، وتجارب الحياة، وإنه صانع المعاني للألفاظ.

فقمة الدرس البنيوي تنحصر في كونها تفسح المجال لتطور فكرة "هنــاك فرق أساسي بين الوجودية والبنيوية يتمثــل في اختلافهــا في إدراك الظــواهر الإنسانية، فالبنيوية تحاول القبض في هذا الجانب مــن الــوعي، الــذي يعتــبر مجال الدراسات المتخصصة على نظام مصغر للأشياء حالاً من التطبيق العملــي -في الظاهر على الأقل- على العكس فإنَّ الوجودية تقف في المســتوى الــذي يحاول الوعي الشخصي فيه أن يدرك العالَم بأكمله، حيث يعيش الأفراد تبعــاً

١/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص١١.

لتاريخهم الشخصي، وانتمائهم العائلي والاجتماعي وخضوعهم للحظة تاريخية محددة"[1].

وفي هذا المناخ المعرفي كانت البنيوية لغوية لروح ذلك العصر، الذي نبتت فيه، فكان كل ما أنجزته من أبحاث نحوياً مقارناً أو دراسات تاريخية في التحليل التركيبي ساعدها في فهم تركيب الأفكار وربطها بالأحداث.

علماً بأن غاية دراستها ليست منبع التطور التاريخي بعيداً عن الدرس اليومي ولو نظرنا إلى الدقة في شهادة التاريخ لوجدنا أنَّ العلوم هي التي تسابقت تحت فعل الجاذبية البنيوية نحو اعتناق هذا المنهج الذي يقوم على تحليل الظواهر سواء كانت لغوية أم اجتماعية أم طبيعية.

"وعصارة الأمر في هذا الغرض أن الفكر البنيوي قد جعل المادة في خدمة الصورة أو الصورة في خدمة الوظيفة، وهذه الحقائق التي يغفل عنها الناسفون للفكرة البنيوية ويتغافل عنها المتعنصرون لها لأنَّ حلقة الربط بين البنية والوظيفة قلما توضحت لدى هؤلاء وأولئك لاحتجاب الأنموذج اللُّغوي عن تنظيراتهم"[2].

ويعنى بالتحليل المعجمي ربط المعاني بالبنية الاجتماعية لِلُّغة دون النظرة الوجودية الفلسفية وذلك ما نعني به أنَّ اللُّغة من الداخل دون أي مؤثرات فلسفية خارجة عنها.

١/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص١٧٧.

٢/ عبد السلام المسدي، قضية البنيوية: ص٣٤.

البنيوية والتحليل النفسي:

الخضوع إلى النظام العائلي والاجتماعي يندرج تحت دراسة العلاقات السمولوجية فهي تقع تحت طائلة الدراسة النفسية؛ علماً بأنَّ علم اللُّغة قد استخدم الدراسة النفسية وظهر علم النفس اللُّغوي.

فالعالِم ابن جنِّي عندما يقول: "اللُّغة أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم"[١]. يدخل الجانب النفسي في كلمة (يعبر) وتعني الإحساس بالمشاعر والوجدان والعواطف. -فتظهر تلك في ألفاظ اللُّغة- ويظهر النبر والتنغيم بديلاً عن تفسير الحال، فالمنهج البنيوي هو منهج علم اللُّغة التركيبي، ويدخل في ذلك التركيب النفسي "إذا كان اللقاء بين البنيوية و(علم الاجتماع) قد تحقق... وإذا كان المنهج البنيوي قد عرف طريقه إلى التاريخ الثقافي (الاستميولوجيا) فإنَّ التلاقي بين (البنيوية) و(التحليل النفسي) قد تحقق على يد (لاكان[٢] *Lacan*)"[٣].

هكذا اقترن المنهج البنيوي بأسلوب البحث في مختلف المعارف، حتَّى عمَّ كل علم المادة التي ينوي دراستها، ولكل مادة بنية، وينبغي للدارس اللُّغوي أن يكشف خصائص بنية تلك المادة بمادة دراسته، فدارس علم اللُّغة يكشف عن طبيعة التحليل النفسي وعلاقته باللُّغة.

"فالتحليل النفسي ضرب من ضروب التكيف الاجتماعي، وكأن كل مهمته هي فرض نمط مُعيَّن في أنماط السلوك، نجد أنَّ (لاكان) قد أراد للتحليل النفسي، أن يسترد أولوية البعد الأساسي من أبعاده الأصلية ألا وهو بعد

١/ يُنظر، ابن جنِّي، الخصائص: ط دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ج١، ص١٣.

٢/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص١٧٢.

٣/ المرجع السابق: ص٨٨.

الكلام... من حيث أنَّ الكلام هو الذي يخلع على وظائف الفرد كل ما لها من معنى أو دلالة، ولا شك أنَّ اللا شعور يكون جزءاً لا يتجزأ من (حديث) الذات الفردية، في تحققها عبر البعد الاجتماعي أو الذاتية التبادلية"[١].

لا شك أنَّ اللُّغة نظام يقوم على أساس الثوابت والمتغيرات. وهو قواعده النحوية والصرفية، والمتغيرات هي مفرداتها المعجمية من خلال العرض اللُّغوي للنص.

فالتحليل النفسي في هذا النظام التبادلي يحدد البعد التركيبي للنص اللُّغوي، فلا يصح أن يُقال: أكل الولد الماء. وهنا تظهر العلاقة البنيوية في تحديد العلاقة العضوية للدراسة الآنية. والنظرة المعجمية التاريخية للمفردة اللفظية "نشأ علم النفس الاجتماعي بمنهج البنيوي... اقترح بتحليل العلاقات العاطفية والاجتماعية فكرة (الميدان الكلي) التي تشمل الذات بجميع نزعاتها الضرورية، ولا تقتصر على الترعات الداخلية، طبقاً للتصور الميداني للموضوع وما يفرضه، من متطلبات. إنما تشمل العمل المتبادل الفعال للعناصر الداخلية، في هذا المجال مع تحليل علاقات المجاورة والانفصال والحدود الداخلة في الأسوار النفسية"[٢].

لا شك أنَّ هذا يقودنا إلى نوع العاطفة مع مراعاة المقام الاجتماعي الذي هو محور الدراسة اللُّغوية.

فهناك العواطف الدافعة، مثل: عاطفة الحزن، والغضب.

والعاطفة الجاذبة، مثل: عاطفة الحب والإعجاب.

والعاطفة الجامدة، وهي: عاطفة التقليد.

١/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص٧٥.

٢/ المرجع السابق: ص١٧٧.

أمَّا الإحساس بالشيء فلا يكون إلاَّ عـــن طريـــق تحليـــل الكـــلام في عرض المطلوب، مثال: أن يكون البكاء دلالة على الفـــرح، أو دلالـــة علـــى الحزن.

إنَّ حقائق الأمور ومعانيها تُفهم عبر ألفاظ اللُّغة، فتتخذها ظلالاً للتحول إلى صورة ما، فالألفاظ في نطقها وعلاقاتها يراعى فيها الجانب النفسي والنظام، ويعتبر ذلك مقومات التصاهر بين التحليل النفسي والألفاظ أو بما يجعل البعـــد اللُّغوي عمقاً تكوينياً لتحليل الكلام النفسي في إطار الدرس البنيوي للمستويات الثلاث علماً بأنَّ دراسة الصوت يدخل فيها العمق النفسي لعملية النطق وتحديد موضعه ووصفه بالشدة أو الرخاوة.

ونصل من ذلك أنَّ التحليل النفسي تربطه شبكة من المعلومات الميدانية. "فما أطلق عليه اسم (الميدان الكلي) ثم لَمْ يلبث أن حدد العناصر التي تكـــون الميدان من خلال رسوم بنيوية يصل عن طريقها إلى تحديد معالِم شبكة البنيوية، وبهذا نشأ علم النفس الاجتماعي، وقطع شوطاً بعيـــداً في تطـــور الولايـــات المتحدة"[١].

ويرى الباحث أنَّ التحليل النفسي لِلُّغة قد منح البنيوية حافزاً كان ضمن الأسباب الأخرى (علم الاجتماع، التشريح، المعلومات) الـــتي أضـــفت علـــى البنيوية هالة لزيادة المنهجية، يتمثل في أنها لَمَّا تحققت لها القدرة على كشـــف العلاقات وتصنيفها، توفرت لها طاقة التحليل التركيـــبي على تأليف الكليـــات (الكلمات والجمل) بدءاً من الأجزاء الذرية الصغيرية (فون، الألفون) إلى دراسة العبارة ثم الفقرة.

١/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص١٧٧.

البنيوية ومفهومها الثقافي:

لا شك أنَّ الثقافة هي: الإحساس بمظاهر الحياة من فكر وأدب وفن، وبها تُقاس الشعوب والأمم في حضاراتها.

"يقرر الدارسون أنَّ هناك خمسة عناصر أساسية يمكن اتخاذها معياراً لتصنيف البشرية إلى أمم، ولوضع الفوارق بين هذه الأمم، وتعني الخواطر المميِّزة، لكل منها هذه العناصر: الجنس والدين والقومية واللُّغة والثقافة.

ولِلُّغة والثقافة بوجهٍ خاص، دورٌ بارزٌ في هذا التصنيف والتحديد، إذ هي بمثابة المرآة العاكسة لكل أنواع النشاط الإنساني... وهما في الوقت ذاته المرشد الذي يمكن أن يؤكد هذا التعريف"(١).

ويُفهم من ذلك أننا لا يصح أن نضم وزناً لقمة لغوية، من الناحية النفعية، إلاَّ بالرجوع إلى صلة البنيوية اللُّغوية بهذه الثقافة.

فالثقافة نتاج جهود ومجهودات الأمة؛ وهي جزءٌ من إرثها الحضاري، ولا يوجد في الميدان اللُّغوي كسب دائم في التجديد يوفر للغة مادة علمية ثرة دونها؛ وإنَّ اللُّغة في تطور سريع بفضل انتشارها، وبفضل الذين يحملونها بوعي تام وإدراك سليم.

"إنَّ العلاقة بين اللُّغة والثقافة علاقة جدُّ وثيقة، وتظهر هذه العلاقة قوية واضحة في السلوك اللُّغوي والثقافي معاً، فأنت تستطيع أن تحكم نوع حكم على ثقافة الرجل من محصوله اللُّغوي، المتمثل أساساً في ألفاظه وعباراته وطرائق نطقه وأدائه الصوتي"(٢).

١/ كمال بشر، علم اللُّغة الاجتماعي: مدخل، ط٣، دار غريب للطباعة، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٣٥.

٢/ المرجع السابق: ص٢٣٩.

ونفهم من ذلك أنَّ الكلمات يمكن أن تخضع للبواعث المحركة لهـــا مـــن خلال مدلول الإحساس في البنية الثقافية المعنية، وارتباطها بين المتكلم والسامع، بما يسمح لهما بممارسة عملية الاتصال لفهم المعنى من خلال الرسم البنيـــوي؛ نتيجة لعلاقة القرابة بين الدال ومدلول المتكلم، وثقافة المستمع أو القارئ للنص. وهنا يظهر الدور الثقافي في إدراك المعنى.

وللثقافة ربط بين الوظيفة التعبيرية لِلُّغة *Expressive*، وظاهرة الرمزيـــة الصوتية من خلال النطق الصوتي وتركيبه البنيوي.

فاللُّغة لا تتوازى من ناحية الدلالة الثقافية، فقد توجد وحـــدة معجميـــة تدل على مفهوم مُعيَّن؛ كذلك تدل تلك الوحدة على مفهوم آخـــر، كلمـــة (حبوبة[١]) لها مدلول في الثقافة السودانية، ولها معنى في الثقافة الشامية؛ والرابط فيها صلة الاتصال البنيوي بين الثقافتين.

"فالنحو العربي، شأنه، في ذلك شأن ثقافتنا التقليدية في عمومهـــا تقـــوم على نوع من التفكير الجزئي الذي يُعنى بالمثال، قبل أن يعنى بالنظرية، ومن أجل هذا جهد النحاة في تأويل ما أشكل على القاعدة من أمثلة؛ أكثر مِمَّا جهدوا في مراجعة منطقهم ونظرياهم على ضوء ما يشكلُ عليهم"[٢].

فالثقافة التقليدية هنا، تعني المادة العلمية لتلك الـــذخيرة اللُّغويـــة، لقـــد انبثقت من خلال المناقشات والمناظرات والجدل الذي كان سائداً؛ وقد فـــرض الواقع الجدلي فرضية نسبية من خلال دور اللُّغة في نقل التـــراث الثقـــافي، وفي التنشئة العلمية وفي الاتصال الاجتماعي العلمي (عصور الاحتجاج) وتلك هـــي فترة الدراسة المعيارية التي مهدت للدراسة الوصفية ثم البنيوية.

١/ حبوبة في الثقافة السودانية (جدة) والثقافة السامية (محبوبة) المعنى: الحبيبة.

٢/ حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: دار المعرفة، الإسكندرية، (د.ت) ص١٦٨.

"وإذا انتقلنا إلى علم اللُّغة البنائي فإننا نلاحظ إنه يحتل مكان الصدارة بالنسبة لجميع الأبحاث البنائية. ذلك أنه إذا صح أن الأفراد في جميع المجتمعات يمارسون علاقات تبادل فإن تبادل الإشارات اللغوية هو أكثر هذه عمومية حتَّى أن ما عداها من علاقات التبادل مثل تبادل المتاع والتبادل الاقتصادي... لا بد وأن تترجم مباشر أو بطريق إلى تبادل لغوي"[1].

إنَّ الفكر يتطور بتطور المنهج والبنيوية منهج.

فالبنيوية تكون قادرة على استيعاب مفردات تلك القيم والموروثات والأفكار وتكون أكثر إبداعاً في هندسة تراكيبها اللُّغوية، وطبيعي أن يكون الإبداع في نصب النظم والتركيب.

"... حاولنا بيان العلاقة بين اللُّغة والثقافة، وقررنا أنها علاقة الجزء بالكل، فاللُّغة أخص والثقافة أعم، وأنَّ فيهما تأثيراً وتأثراً دائمين، فاللُّغة دورها البالغ في البناء الثقافي، وللثقافة أثرها الملحوظ في البناء اللُّغوي"[2]. فالذي يحفظ الإرث اللُّغوي هي اللُّغة.

الثقافة[3] هي التقويم والتصويب؛ فالتقسيم الذي قام به (دي سوسير) يحمل في مضمونه الثقافة -يقصد بها المادة اللُّغوية- وهي الكلام الذي يمثل في مفرداته وعباراته. واللُّغة يُنظر إليها من خلال المنظور الثقافي الآتي:

١/ الأصوات: الإدراك لمخارجها.

٢/ التركيب: الإدراك، للفهم.

١/ د. عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة: ط١، دار المعارف، القاهرة، ص٤.

٢/ كمال بشر، علم اللُّغة الاجتماعي: ١٢.

٣/ يُنظر، ابن منظور، لسان العرب: مادة (ث ق ف).

٣/ الدلالـــة: الإدراك، للمعنى.

وذلك يُفهم من خلال المدارس اللُّغوية ودراستها البنيوية لمفهوم اللفـــظ والمعنى.

المبحث الثاني
المدارس اللُّغوية

تعدُّ الثقافة أحد الموضوعات المهمة، التي شاركت في نهضة البنيوية في التراث اللُّغوي الإنساني وإنمائه، حتى أصبحت فلسفة اللُّغة هي شغله الشاغل في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

وفي النصف الأول من القرن العشرين، أخذت تتنوع مدارس علم اللُّغة الوصفي واتجاهاتها، الذي وضع دعائمه (دي سوسير) وأثر المدارس اللُّغوية الأوربية.

مدرسة جنيف[1]:

لكي نفهم البنيوية لا بدَّ أن نعود إلى أصولها الأولى: المدرسة السوسرية (مدرسة جنيف) لقد ساهمت هذه المدرسة في تأصيل الدرس اللُّغوي من خلال أفكار مؤسسها الأول (دي سوسير) ووضعت الأسس للدرس اللُّغوي الأسس هي:

١/ فرقت بدقة بين الثنائي؛ الذي كان مترادفاً، عند الفيلولوجين وهي اللُّغة *Language* - الكلام *Parole*، على أساس أنَّ اللُّغة في حقيقتها نظام اجتماعي مستقل عن الفرد، وأنَّ الكلام هو الأداء الفردي لِلُّغة، الذي يتحقق من خلاله هذا النظام. والصلة بينها هي عين الصلة بين الجوهر (اللُّغة)، والعرض (الكلام).

٢/ اللُّغة: نظام يتألف من مجموعة من العلاقات اللُّغوية، العلامة اللُّغوية

١/ يُنظر، (دي سوسير): فصول في علم اللُّغة العام: نقله إلى العربية: أحمد الكرابي، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص١٢٨.

(*Linguistic Sign*) عبارة عن صورة صوتية (الدال) يتحـــدد مـــع تصور ذهني (المدلول) ويندرج تحت المدلول، تحت النظام المادي لِلُّغة هي الأصوات.

٣/ العلاقة بين الدال والمدلول علاقة رمزية، ومن ثم فإنَّ اللُّغة هي جـــزء من نظام واسع وأشمل هو النظام السميولوجي، وهي أيضاً جزء مـــن علم الرموز (*Semiology*).

٤/ يتألف النظام اللُّغوي من عناصـــر داخليـــة (*Internal*)، وخارجيـــة (*External*)، أمَّا العناصر الداخلية، فلها الصدارة فتمثل في دراســـة العلاقات بين اللُّغة وما يؤثر فيها، مثل علم الاجتماع، وعلم التاريخ، وعلم النفس.

٥/ الدراسة الوصفية لِلُّغة هي النظرة في علاقة كل عنصر مـــن العناصـــر اللُّغوية الداخلية بغيرها من العناصر الأخرى المكونة للنظام اللُّغـــوي، وحددت بالآتي[١]:

١/ مبدأ ثنائية التركيب.

٢/ أولية النظام اللُّغوي على العناصر اللُّغوية المكوِّنة.

٣/ الفرق بين الدراسة الوصفية، والدراسة التاريخية لِلُّغة.

وبهذا المفهوم يعتمد علم اللُّغة على اللُّغة وحدها في تفسير الظواهر اللُّغوية يعني بدراسة التراكيب والمفردات ودلالاتها دون تمييز بين لغة وأخرى أو لهجـــة وأخرى، لا يهمل اللُّغة الشفاهية لحساب النصوص المكتوبة، فهو يتعامل معهـــا بحياد تام، وموضوعية، ويتوسل بالدقة والشمول.

١/ يُنظر، صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص١١٤.

المدرسة الروسية[1]:

تُعدُّ مدرسة الشكلية الروسية الرافد الثاني من روافد البنيوية الكبرى بعد أن وضع (دي سوسير) حجر أساسها، وإن وضعها في المرتبة الثانية ليس من أهميتها، بل من جانب التسلسل التاريخي.

إذاً إنَّ مدرسة جنيف قد تبلورت في العقد الأول من القرن السابق. بينما نشأت المدرسة الروسية وازدهرت في العقدين الثاني والثالث، كما يتبع نوعاً من التسلسل المنطقي.

ففي عام ١٩١٥م[2] قامت مجموعة من طلبة الدراسات العليا بجامعة موسكو بتشكيل (حلقة موسكو اللُّغوية).

وهي أول حركة منظمة تستهدف استثمار الحركة الطليعة الأدبية، والقضاء على المناهج القديمة في الدراسات اللُّغوية والنقدية، وبعد عام واحد انضمت إلى صفوفهم كوكبة من نقاد الأدب وعلماء اللُّغة، ألَّفوا جمعية دراسة اللُّغة الشعرية التي تُعرف باسم (أبوجاز *Omojaz*).

وقد كانت القوة المحركة لهذه الجماعة تنبع من الطاقة النظرية والعملية الكبرى التي تنفجر من بعض الشخصيات الأساسية في التشكيل مثل (تروتسكوي[3]) وتصف أفكاره اللُّغة ضمن الإطار الوظيفي، الذي كان يسند دوراً وظيفياً للفونيم.

١/ يُنظر، جفري سامسون، مدارس اللسانيات: دار غريب للنشر، ١٩٩٤م، ص٩٨.

٢/ المصدر السابق: ص٩٩.

٣/ تروتسكوي هو: لغوي من أصل روسي عمل بداية حياته بجامعة موسكو، ثم إلى جامعة فيينا أستاذ كرس اللُّغات السلافية، شارك أعضاء حلقة براغ عند تكوينها سنة ١٩٢٢م؛ يُنظر، جفري سامسون، مدارس اللسانيات: ص٩٨.

ومن هذه النقطة تختلف الشكلية عن الرمزية التي تنص على أنه من خلال الشكل نستشف بعض مظاهر المضمون فحسب، اكتشفوا أنَّ الخواص المحدودة في الفن تكمن في استخدامه الخاص لمادته، وكان من اللازم أن ينالوا بالتحليل مشكلة التلقي للشكل ليصلوا بها إلى اعتباره مضموناً في نفسه ويبرهنوا أنَّ الإحساس بالشكل ينبع من بعض العمليات الإجرائية في تحليل التركيب.

ويرى الباحث أنَّ المدرسة الروسية لَمْ تقدم للدرس اللُّغوي شيئاً يُذكر ولكن عالمها هاجر إلى مدرسة براغ فتبلورت أفكاره وتطورت فيها.

مدرسة براغ[١] *Prague School*:

قامت هذه المدرسة على المبادئ والأصول النظرية التي أرسى دعائمها (دي سوسير) في اللُّغة، باعتبارها نظام الرموز، وتميزت آراء أعلامها بالربط بين اللُّغة ووظيفتها، أي تحليل اللُّغة بهدف الكشف عن وظائف مكوناتها البنيوية، وهو مبدأ وسمة فارقة بينها وبين المدارس الأخرى[٢].

إنَّ تحليل اللُّغة يفرض الكشف عن مكوناتها البنيوية، وهو الهدف الأساسي الذي تبناه أنصار (مدرسة براغ) ووجهوا جل عنايتهم إلى إبراز الوظائف التي تؤديها المكونات البنيوية لِلُّغة.

عُقِد في براغ مؤتمر للصوتيات، ثم تأكدت الحركة الصوتية المستوى الدولي وتبلورت في ثمانية أجزاء عن (أعمال براغ) ظلت تنتشر تباعاً عام ١٩٣٨م[٣]. وقد نشرت هذه المدرسة أفكار علمائها تحت عنوان أعمال براغ وهي تمتاز فضلاً عما سبق بعناية خاصة بالدراسات الفونولوجية.

١/ يُنظر، جفري سامسون، مدارس اللسانيات: ص١٠٥.

٢/ المرجع السابق: ص١٠٥.

٣/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص٧٤.

"اللُّغة عند أعضاء هذه المدرسة نظام *System* من العلامات *Signs* وإن بيان وضعها لا ينهض إلاَّ على أساس رسم حدود العلاقة القائمة بين كل عنصر، وصلته بالعناصر الأخرى. إن أهم عمل يرتبط بمنهج هذه المدرسة، واتجاهها العام كتاب أصول الفونولوجيا، المؤلفة نيكولاي تروتيسكوي"[١].

أخذ علماء حلقة براغ في دراسة القوانين التي تحكم بنية النظم الصوتية. ويعتبر استكشاف هذا العلم من أهم المكاسب العلمية في الدرس اللُّغوي. ولعل ذلك يمثل الإنجاز العلمي الذي حققه المنهج الوصفي الاستقرائي في دراسة اللُّغات، لا عن طريق المنهج الاستنباطي المنطقي الذي كان يدرس عن طريق الدراسة التحقيقية[٢].

"لقد عقد أصحاب هذه المدرسة عدة لقاءات منظمة وقدموا ورقة عمل مدرستهم إلى المؤتمر الأول لعلماء اللسانيات؛ المعقود في لاهاي ١٩٢٨م، والذي أكد على الوجود الوظيفي، وقد تلا هذا المؤتمر بيانهم الذي صدر في مؤتمر اللُّغات السلافية عام ١٩٢٩م، الذي ضم صياغة نظريتهم البنيوية (*Structuralism*) في مستواها الصوتي والدلالي؛ مؤكداً على أنَّ أساس اللُّغة يكمن في أنها تنشأ وتتطور كوحدة متكاملة وليس على هيئة حلقات تطورية، فردية تولد في الأذهان"[٣].

ونفهم من ذلك النص الاعتراف والإعلان عن البنيوية بصورة رسمية،

١/ عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ط١، دار الصفاء، عمان، ٢٠٠٢م، ص٢٣٦-٢٣٧.

٢/ يُنظر، د. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة: م الآداب، القاهرة، د.ت، ص٨٩-٩٣.

٣/ عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث: ص٢٣٦-٢٣٧.

لكن يرى الباحث أنَّ هذه البنيوية بدأت في تطور بداية من بنيوية الأصوات والتي سوف تنتهي إلى البنيوية الكاملة عند المدرسة الإنجليزية في مفهوم السياق.

"علم الأصوات *Phonetics* وبين الفونولوجيا *Phonology* على أساس أنَّ علم الأصوات هو العلم الذي يحلل ويصف أصوات اللُّغة وهي في حالة التجديد أي مستقلة من غيرها ومعزولة خارج البنية اللُّغوية، بغض النظر عن دورها في المعنى. أمَّا الفونولوجيا فهي العلم الذي يعالج الظواهر الصوتية، بوظيفتها في داخل البنية اللُّغوية"(١).

هذه الدراسة تختص بالصوت اللُّغوي وهو الذي يبدأ بالفونيم وهو أصغر وحدة صوتية كلامية، ولعل هذه الدراسة تعتمد على الثنائية بين الصوت اللُّغوي وتنظيم الصوت اللُّغوي، فالصوت له مخرج وصفة من جانب، وذلك ما يُعرف بالصوتيات *Phonetics*. أمَّا الجانب الآخر بتنظيم الصوت وتركيبه من أصغر وحدة صوتية (فونيم) ثم مقطع صوتي.

ونفهم من ذلك أنَّ حدود التنظيم الصوتي أو علم وظائف الأصوات ينتهي عند المقطع.

"طبقت هذه المدرسة نظرية (دي سوسير) في الفونيم، حيث يعني الصوت الكلامي بوصفه واقعة صوتية، وقد سعوا إلى تطويره باعتبارها واسطة العقد في الفونولوجيا كعلم تحليلي، ينظر إلى اللُّغة من جانبها الوظيفي، وأنها تعمل كوحدة متكاملة من أجل أغراض مُعيَّنة. وأن الفوناتيك علم طبيعي فيزيائي، يختص بدراسة الجانب الفسيولوجي من الصوت الإنساني"(٢).

١/ حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: ص١٠٥.

٢/ عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث: ص٢٣٦.

إنَّ علم وظائف الأصوات الفونولوجية يهدف إلى تحليل العملية الكلامية إلى وحدات مميزة وتلك الفونولوجية التي نجدها في الدراسة البنيوية.

فاللُّغة إنما هي بالنسبة إلينا تلقائياً تحدث بنطق الألفاظ وذلك عمل يحتاج إلى دراسة. فالعمل يدلُّ على مجرد دلالة على إمكان زيادة تعقد هذه اللُّغة بفعل تنوع أدوار الألفاظ ومركباتها وتعني بذلك الفونيم والمورفيم والتركيب ولكن البنيوية توسعها لتشمل الكون الإنساني "أي دلالة المعنى"(١).

نعني تغير النطق للأصوات عن استبدال مخارجها ويظهر ذلك في الإمالة والتفخيم.

"فالنون مثلاً في كلمة (نهر) من الناحية الصوتية الخالصة أي من حيث تكوينها النطقي والفسيولوجي غير النون في كلمة مثل: منك وعنك. وقد أدرك علماء القدماء هذا الفرق فسموا النون في منك وعنك النون الخفيفة"(٢).

تقوم فكرة هذه المدرسة في علم الأصوات الوظيفي، على وجود نظام مبسط نسبياً يظهر في تركيب الصوت في الدرس الفونولوجي أي التنظيمي.

"ميزت هذه المدرسة بين (الفونولوجيا) وبين (الفوناتيك) حين يصار إلى تحليل الوظائف الفونولوجية إلى وحدات فونولوجية وهي ثلاث:

أ/ الوظيفة الكمية (كمية الوحدات).

١/ يُنظر، فرناندومون: الأيديولوجيات: نقله للعربية وجيه أسعد، منشور الثقافة والإرشاد، سوريا، ١٩٧٧م، ص٢٤-٤٣.

٢/ حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: ص١٠٥.

ب/ الوظيفة التحديدية (حدود الوحدات).

ج/ الوظيفة التميزية (التمايز الدلالي)"[١].

"والمهم أن التحليل (الفونولوجي) إنما يهدف أولاً وقبل كل شـــيء إلى الكشف عن (نسف العلاقات) التي تنطوي على وظيفة داخل التنظيم اللُّغــوي لأي (دال) على اعتبار أن لكل (فونيم) مركباً من السمات الخاصة التي تميزه من غيره من الفونيمات النسق، والتي تمثل (هويته) أو حدته الخاصة"[٢].

ونفهم من هذا النص أنَّ الأصوات متنوعة الدراسة من حيث المخـــرج، والصفة، ومن حيث التركيب الصوتي في الكلمة. فدراسة (الفونولوجيا) تنصب في وظيفة الصوت اللُّغوي، إنَّ كل عنصر صوتي له وظيفة في تركيـــب المعـــنى (صال- جال- صام).

"ولو أننا ألقينا نظرة عامة على (الفونولوجيا) من أجل الوقـــوف علـــى الطابع (البنيوي) الذي اتسم به (التحليـــل الفونولـــوجي) لـــدى كـــل مـــن ترويتسكوي، وياكوبون، ومارتينيه، وغيرهم، لكان في وســـعنا أن نقـــول إن موضوع الفونولوجيا هو وصف الوحدات الصوتية التي تؤلف المستوى (الدال) للغة، أعني أنها تتناول بالبحث مجالاً ظل حتَّى الآن مهملاً أو مجهولاً من جانب الدراسات التقليدية"[٣].

كما يُعتبر مفهوم النطق المزدوج من المبادئ الأساسية التي بنـــت عليهـــا المدرسة آراءها اللُّغوية، إنَّ الوحدة اللُّغوية ذات وجهين: فونيم، مورفيم.

١/ عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ص٢٣٧.

٢/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص٦٥.

٣/ المرجع السابق: ص٤.

"هذه المدرسة التشيكية لها كبير فضل في البحث اللُّغوي الحديث، وامتازت من غيرها بكثير من النظرات الخاصة في دراسة اللُّغة، ومن هذه النظرات فكرتها عن الفرق بين الفوناتيك والفنولوجيا. ولقد تأثر رواد هذه المدرسة في نظراتهم هذه تأثراً واضحاً بآراء العالم السويسري الكبير دي سوسير... لقد تأثروا برأيه في الفونيم وهو الجانب المادي للصوت أو الصورة الذهنية له. وهو جانب وظيفته الفريق بين معاني الكلمات"(١).

يتبادر لنا من مفهوم البنيوية من أول وهلة العودة إلى تعليل بنية الكلمة التي ترتبط باللغة. فإنَّ المقصود نسبة للبنيوية في المجال اللُّغوي هو: أنَّ اللُّغة ذاتها بناءٌ طبيعي ليس للباحث أو الدارس من هدف إلا استخراج نسقه وتصويره وعليه كل عالِم لغوي فهو بنيوي.

"كما استطاعت هذه المدرسة... أن تطور الدراسات الفونولوجية مضيفاً إليها فكرة الملامح المميزة *Distinctive*، التي يتداولها الآن علماء اللُّغة، ويتوسعون فيها على مستويات التحليل اللُّغوي المختلفة..... فتقسيم الصوائت *Vowels* والصوامت *Consonants* مثلاً ليس مبنياً على أساس فسيولوجي فقط، من حيث اندفاع الهواء دون اعتراض مع الصوائت واعتراضه، في موضع مُعيَّن من جهاز النطق، إنما مبني أيضاً على اعتبارات سمعية هي الاختلاف في الملامح المميِّزة لكل منهما"(٢).

وتدخل في ذلك عملية التفخيم والترقيق والجهر والهمس.

١/ كمال بشر، علم الأصوات: دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٧٥.

٢/ حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: ص١٠٩.

السيميولوجيا[١]:

"... وعلى هذا فإنَّ علم اللُّغة البنيوي عند حلقة براغ يتصور الواقع اللُّغوي على أنه نظام سيميولوجي رمزي، وتحليل عملية الكلام قبل أن تصل إلى التعبير الواقعي بتتبع مراحلها المختلفة "[٢].

عندما وصف (دي سوسير) الدرس اللُّغوي في نظامه معتمداً على التحليل السياقي في التركيب -الأفقي- والمعرفة التزامنية للمفردة اللفظية فهناك تدخل العلاقة بين الاثنين معاً.

"لو أننا تجاوزنا دائرة (الظواهر اللغوية) من أجل فهم (البنية) بصفة عامة لوجدنا أن (البنية) بأبسط معنى من معانيها هي نظام من العلاقات الثابتة الكامنة خلف بعض التغيرات"[٣].

إنَّ اللُّغة لا تعد بمنطق المنطق أنها كلمات، والكلمات هي علامات[٤] تتميز بأنها لا تنتمي إلى فئة خاصة من العلامات أو حتَّى لا مجموعة ذات خصائص ثابتة فيما تنتمي معظم الكلمات إلى مجموعة من الرموز. فإنَّ بعضها ينتمي إلى مجموعة المؤشرات، مثل أسماء الإشارة، أسماء الموصول، ضمن الإيحاءات التي تقابلها في المعنى (الإفراد، التثنية، والجمع) الموصول مختص ومشترك.

١/ سيميولوجيا *Semology*: مشتق من الكلمة اليونانية *Semeion*، معناها العلامة، علم السميولوجيا يمكن معرفة العلامات ومعرفة ماهية العلاقات والقوانين المسيِّرة لها.

٢/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص٧٦.

٣/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص٤١.

٤/ الكلمات علامات: يُنظر، *HAW-KES. Terece Structuralism Semlontus: London, Methuen, 1978, Pp. 75*.

وهكذا يمكن للكلمة الواحدة أن تؤدي دوراً في عدد العلامات، مثل أن نجد اسم الفاعل يقوم مقام الاسم ويعمل عمل الفعل، علماً بأن اللُّغة تمثل وحدة ذاتها وتمثل أيضاً مبدأ من مبادئ التصنيف، عندما تُعطى اللُّغة الصدارة بين الظواهر اللسانية[1].

فإنَّ المنهج الاستقرائي الوصفي يظهر لنا مجموعة من الظواهر لا تخضع من تلقاء نفسها لأي نوع من التصنيف. فلا يجوز: أكل الولد الكوب. "فالسميولوجيا تدرس العلاقات وسط الحياة الاجتماعية بالتالي تنكشف لنا كينونة العلامات (الكلمات) وأيضاً القوانين التي تحكمها.

أمَّا بالنسبة لعلم اللُّغة فمهمته هي تحديد الخصائص التي تجعل من علم اللُّغة نظاماً خاضعاً خاصاً وسط مجموع الظواهر السميولوجية"[2].

إنَّ من أهم السمات الجوهرية للسميولوجيا -كما يظهر لنا من خلال هذا النص- تظهر لنا اللُّغة في شتى صورها أنها في شكل ثنائي. فإذا كانت اللُّغة مؤسسة اجتماعية؛ فإنَّ الفرد هو الذي يستخدمها ويمارسها، هذا من جانب، ومن جانب آخر إذا كانت ظهرت في شكل كلام، حديث، تتميز بالاستمرارية.

فإنها تتكون من وحدات مستقلة ثابتة؛ لأنَّ اللُّغة في الواقع مستقلة عن العمليات السمعية والصوتية التي تنتج الكلام.

فاللُّغة هي عبارة عن نظام من العلاقات، تستند أساساً وقبل كل شيء على الاتحاد بين المعنى والصورة الصوتية.

١/ يُنظر، ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: م المكتبة العربية، بيروت ١٩٩٤م، ج٣، ص١٩٥.

٢/ يُنظر، *HAW-KES. Terece Structuralism Semlontus: Pp. 83*.

ويتميَّز هذان الوجهان للعلاقة أي المعنى والصورة بكونها لفظاً. فاللُّغة تستمد من خاصيتها السيميولوجية وربطها بمجموعة من الأنظمة تشاركها نفس الطبيعة (علم الاجتماع، علم النفس، الطبيعة، البيئة).

"فاللُّغة تدرس في حد ذاته ولذاتها، ومن هنا تقع على عاتق عالِم اللُّغة مهام ثلاث:

الأولى: وصف جميع اللُّغات المعروفة سياقياً وتزامنياً.

الثانية: استكناه القوانين العامة التي تحكم جميع اللُّغات.

الثالثة: تحديد مجال علم اللُّغة نفسه وتعريفه"[١].

إنَّ المهمة الثالثة التي يسندها عالِم اللُّغة إلى نفسه هي أن يعرف نفسه. وهذه المهمة إذا أردنا أن نفهمها في شمولها، تحتوي المهمتين الأولين وتكاد تلفهما، إذ كيف يستطيع علم اللُّغة أن يقرر حدوده، وأن يعرف نفسه إلا من خلال تحديد مادته الخاصة، وهي اللُّغة وتعريفها، ولكن يستطيع علم اللُّغة أنَّ يفي بالمهمتين الأخريين اللتين وضعتا في المرتبة الأولى والثانية من خلال العملية الإجرائية للتحليل البنيوي.

ويرى الباحث إنَّ وصف اللُّغات وتاريخها ومعرفة القوانين العامة التي تحكمها، وتفسير ظواهرها، وتحديد مجال علم اللُّغة وتعريف نفسه يحتاج إلى مجموعة من المعلومات وتلك هي الدراسة السيميولوجية.

والمنطق الأساسي الذي سبق أي خطوات عملية أو معرفية لعلم اللُّغة هو معرفة هذه المعلومات، وإدراكها بوعي تام، الخصوصية التي تميز اللُّغة عن غيرها

١/ يُنظر، *HAW-KES. Terece Structuralism Semlontus: Pp. 75*.

من العلوم التي تستخدمها في الدرس السيميولوجي، ويقع على عاتق علم اللُّغة تحديد الخصائص التي تجعل منه نظاماً خاصاً وسط مجموع الظواهر السيميولوجية.

تظهر اللُّغة في شتى صورها في شكل ثنائي، فإذا كانت اللُّغة مؤسسة اجتماعية فإنَّ الفرد هو الذي يستخدمها ويمارسها في علاقاته الاجتماعية والنفسية "بوسعنا أن نتصور علماً يتخذ موضوعاً له دراسة حياة الرموز في رحاب الحياة الاجتماعية، وبالتالي من علم النفس العام ونحن نطلق عليه (السيميولوجية) أو علم العلاقات وندرس فيه كيفية تكوين الرموز والقوانين التي تحكمها"[1].

إنَّ فكرة (دي سوسير) تميز بالوضوح، مِمَّا يتعلق بعلاقة اللُّغة بأنظمة العلاقات الأخرى. إلا أنَّ علم اللُّغة والسيميولوجيا يفيد العلم المساعد لكشف حقائق الظواهر اللُّغوية عن طريق الدراسة البنيوية.

وعليه نستطيع أن نقول إنَّ المادة الأساسية التي تتناولها السيميولوجيا هي مجموعة الأنظمة التي تقوم على علاقات غير مباشرة بالعلامات؛ ويترتب على ذلك أنَّ اللُّغة تحتل مكان الصدارة بين أنظمة التعبير جملةً.

"فقد ذهب سوسير إلى أن المهمة الأولى التي تقع على عالم اللغات هي تحديد ما يجعل اللُّغة نظاماً نوعياً خاصاً داخل مجموعة الوقائع السمولوجية... والحق أن المشكلة اللغوية في رأينا إنما هي أولاً وقبل كل شيء سمولوجية"[2].

فاللُّغة هي أكثر الأنظمة التعبيرية تعقيداً وانتشاراً، وهي أكثرها تمثيلاً للعملية السيميولوجية، وعليه فإنَّ اللُّغة نموذج عام لكل سيميولوجية.

١/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص٣٢.

٢/ د. زكريا إبراهيم: مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص٤٩.

إنَّ السمة التي تتسم بها شتى الأنظمة في الدرس البنيوي تمثل المعيار الذي يجعلها تدخل في نطاق السيميولوجيا.

ويظهر ذلك في قدرتها على الدلالة أو مدلولها، وتكوينها في وحدات دلالية أو علامات يجب علينا أن نصف خصائص الأنظمة المميزة.

إنَّ النظام السيميولوجي يتميز بالخصائص التالية:

١/ كيفية تأدية الوظيفة.

٢/ مجال صلاحيته.

٣/ طبيعة علاقاته وعددها.

٤/ نوعية توظيفه.

أمَّا كيفية التأدية للوظيفة فإنها الطريقة التي يعمل بها النظام، ولاسيما الحاسة (البصر، السمع).

أمَّا مجال الصلاحية: فإنه المجال الذي يفرض النظام فيه، بحيث يتحتم التعرف عليه، (هل يتقدم الخبر على المبتدأ؟ والمفعول على الفاعل؟ أم حرف الجر على المجرور؟) ويدخل في ذلك الذكر والحذف.

أمَّا عن طبيعة العلامات؛ فنعني بها وضع الكلمات في السياق. أمَّا نوعية فتوظيفها من حيث التطابق إفراداً وتثنية وجمعاً. ومن خلال هذه الدراسة نصل إلى مبدأين يحكمان العلاقات بين الأنظمة السميولوجية المختلفة من خلال الدرس البنيوي.

١/ يمكن أن نطلق على المبدأ الأول مصطلح عدم الترادف بين الأنظمة فلا يوجد ترادف بين الأنظمة السميولوجية.

إذ لا نستطيع أن نقول نفس الشـيء بالكلمـة أو النغمـة مـن حيث هما نظامان (كلمة واحدة تعرب بالحركات والحروف معاً).

٢/ المبدأ الثاني: ينتج عن المبدأ الأول ويكمله؛ ويؤدي هذا المبدأ الثـاني إلى أنه إذا نتجت علامة واحدة إلى نظامين مختلفين، فإنَّ هذا لا يعني أنَّ هناك ترادفاً أو تكراراً؛ فالكيان المادي للعلامة ليس له ضمة، إذ تكمن الضمة في الاختلاف الوظيفي للعلامة مثال: الضمة في رفـع الاسم وهو فاعل لا علاقة لها بالضمة في الفعل المضـارع المجـرد، اللون الآخر عند إشارة المرور ليس له علاقة باللون في العلم.

فدراسة السميولوجيا هي دراسة العلاقات في الدرس البنيوي كما يظهر لنا من خلال هذا العرض.

مدرسة كوبنهاجن (*Denmark School "Copenhagen"*)[١]:

عرفت هذه المدرسة بجماعة كوبنهاجن[٢]، وهم نخبة من اللغويين الـذين أسهموا بشكل فاعل في تطور الدرس اللُّغوي في الربع الأول من القرن العشرين.

وعلى غرار حلقة براغ، قامت هذه المدرسة تتوسل بمبادئ وأفكار (دي سوسير) لعلم اللُّغة عام ١٩٣١م[٣].

تنطلق هذه المدرسة من تعريف (دي سوسير) بأنَّ اللُّغة شكل وليسـت جوهراً، وحرصت على تطور أفكار وآراء مدرسة براغ.

١/ يُنظر، جفري سامسون، مدارس اللسانيات: ص٢٢٦.

٢/ يُنظر، نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة: ص١١٠.

٣/ يُنظر، جورج موتين، علم اللُّغة في القرن العشرين: ترجمة د. غزاوي، سـوريا، ١٩٧٢م، ص١٢٧.

فمدرسة كوبنهاجن "وهي مدرسة بنيوية في أصولها... ولكـــن شـــهرتها تعود في عام ١٩٣٤م، نظريـــة لغويـــة أُطلـــق عليـــه اســـم الجلوســـيماطبقا *Glossematics*، وهو اسم مشتق من اللفظ اليوناني: *Gloss*، بمعنى اللســـان أو اللُّغة... تلك أصول رياضية احتاج في التعبير عنها لمصطلحات جديدة وغريبـــة وكانت سبباً في الحد من انتشار هذه النظرية، ولكن بعد الحرب العالمية الثانيـــة استقرت المفاهيم والمصطلحات الخاصة بها"[١].

تقوم هذه النظرية على دراسة النص وتحليله لوحدات صغرى فيها مجموعة من العلاقات، ثم توصف العلاقات بين هذه الوحدات، حيث تتضمن كل وحدة لغوية مستويات مُعيَّنة هي:

"١/ إنَّ اللُّغة ليست مادة *Substance*، وإنما هـــي صـــورة أو شـــكل *Form*.

٢/ إنَّ جميع اللُّغات تشترك في كونها تعـــبيراً *Expression*، ثم محتـــوى (*Content*)... إذ إنَّ كل واحدة من وحدات اللُّغة مهما صـــغرت، لا يمكن معرفة طبيعتها إلا في وجود الوحدات الأخرى، وبالنظر في طبيعـــة العلاقة بينهما"[٢].

نفهم من ذلك أنَّ دراسة الشكل تقبل التحليل إلى هياكل. مثلاً دراســـة الصوت تمثل الفكرة الدلالية إلى المقطع والدراسة الصرفية (المورفيمية).

"إنَّ كل عنصر من عناصر اللُّغة (المنطوقة) أو (المكتوبة) لا يزيـــد علـــى

١/ د. حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: ص١١٤-١١٥.

٢/ المرجع السابق: ص١١٥.

كونه نقطة في شبكة من العلاقات، فمثلاً نحن نعرف أنَّ الفرق بين الصامت *Consonant* والصائت *Vowel* يكمن في أنَّ الصائت قد يقوم بنفسه في مقطع من المقاطع"(١).

ويظهر ذلك في ألف الاثنين –واو الجماعة– كما أنَّ الحركات تكون في جمع الصوامت، عدا (الألف، الواو، والياء). فلا تظهر فيها.

"الجلوسمانية(٢) نظرية لسانية بنائية، تجريدية لسانية، منطقية، تصف اللُّغة بطريقة رياضية، وتسيرها عبر منهجية، تستند إلى الفكر الاستنباطي القائم على المنطق الرياضي، وقد ظهرت هذه النظرية التجريدية في كتاب (هيلمسليف) أسس القواعد اللغوية العامة الذي صدر عام ١٩٢٨م، تقوم هذه النظرية على الأفكار الأساسية للغة عند دي سوسير حيث تؤكد على أنها شكل أو صيغة وليست جوهراً، أو مادة في مستوى المعنى والدلالة والقواعد ومستوى التعبير"(٣).

وهكذا نجد من جديد مزيدة تكشف لنا ربط القواعد بالمنطق الرياضي لتحليل القواعد، علامات للرفع وعلامات للنصب وعلامات للجر الواو النون جميع الياء والنون، جمع الألف والنون تثنية، وجود مضاف لا بد من وجود مضاف إليه، وجود صفة لا بد من وجود موصوف.

ويُفهم كذلك أنَّ هذه النظرية تخضع نسبة رياضية لِلُّغة، تصف اللُّغة بطريقة رياضية، وتسير عبر منهجية تستند إلى الفكر الاستنباطي القائم على المنطق الرياضي الدقيق.

١/ د. حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: ص١١٥.

٢/ الجلوسمانية: تعني الأشكال الصغرى التي لا تقبل التجزئة.

٣/ د. عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ص٢٣٢.

فجانب البنيوية هنا يظهر في كمية العلاقات بين الوحدة اللُّغوية الصغيرة. "فاللُّغة في هذه المدرسة تكون في محيط الشكل نسقاً من العلاقات أكثر من كونها مادة، إلى جانب كونها نظرية تأخذ اللُّغة نحو جانب التجرد والمنطق، تبعد عن سماتها الجمالية باعتمادها اللون الرياضي".

وهي من حيث مستوى التعبير تمثل دراسة الغطاء الصوتي والمقاطع. أمَّا من حيث المستوى لدراسة الشكل فتدرس الدلالة قبل وحداتها التركيبية.

المدرسة الأمريكية (*American School*)[1]:

بنى الأمريكيون منهجاً يعظم من دور العلاقات الأفقية، بينما اتجه الأوربيون إلى منهج يعطي أهمية أكبر للعلاقات الرأسية.

وقد ركزوا جل اهتمامهم على منهجية وصف التكوين الخاص لكل لغة مِمَّا ساعد على استخلاص المنطق البنيوي الذي يعكس تفاوت المنطق الثقافي.

أمَّا البنيوية اللُّغوية في الولايات المتحدة الأمريكية فقد نشأت في أحضان الدراسة (الأنثروبولوجية)[2].

فقد توجه عدد من العلماء الأمريكان إلى دراسة أحوال بعض القبائل وخاصة قبائل الهنود الحمر وتقاليدهم ولغاتهم؛ لذا كانت الدراسة عن طريق المنهج الوصفي.

علماً بأنَّ هؤلاء العلماء كانوا على صلة بصورة واضحة بالتراث الأوربي

١/ يُنظر، جفري سامسون، مدارس اللسانيات: ص٢٢٩.

٢/ الأنثروبولوجيا: علم السلالات، الأجناس.

وبخاصة المدرسة التاريخية في القرن التاسع عشر[1].

وركزوا على بيان المظهر الاجتماعي الذي يظهر في اللُّغة وخاصة في الدراسة التي قام بها (ادوارد سابر (١٨٨٤-١٩٣٩م) *Sapir*)[2].

غير أنَّ التيار البنيوي الأظهر في الولايات المتحدة كان التيار الذي تزعمه بلومفيلد *Bloomfield* (١٨٨٧-١٩٤٩م)[3].

"غير أنَّ الذي يعطي طابعاً مميزاً لعلم اللُّغة الأمريكي أنه بدأ وفق تقاليد وأصول علمية أملتها طبيعة اللُّغات التي وجدوها في القارة الجديدة. وهي لغات لَمْ تكن معروفة وليست مكتوبة، ومن ثم لَمْ يكن النموذج التاريخي الذي طبق على اللُّغات الهندية الأوربية كافياً لتفسيرها، بل ربَّما أدى إلى نتائج غير صحيحة. وبالتالي لَمْ يكن أمامهم إلا تطبيق المنهج الوصفي"[4].

وقد أصدر بلومفيلد إلى دراسة اللُّغة -كتابه *Language*- وفي هذا الكتاب ١٩٣١م يدعو إلى دراسة اللُّغة دراسة وصفية خالصة، يقتصر فيها الدارسون على وصف اللُّغة كما هي دون الاعتماد على مبادئ الإرادة والوعي والعقل، وقد عارض بلومفيلد بشدة أصحاب الاتجاه الذهني -الذين كانوا يعتمدون على التحليل العقلي المبني على تصورات ذهنية- ودعا إلى اتباع منهج

١/ يُنظر، جورج موتين، علم اللُّغة في القرن العشرين: ص١٣.

٢/ سابر *Sapir*: هو أستاذ الأنثربولوجيا واللسانيات في جامعة شيكاغو وبيل، وقد عبر عن طبيعة العلاقة بين علم اللُّغة وعلم الاجتماع بما يخالف نظرية (دوكايم) فذهب سايير إلى أنَّ اللُّغة تتحكم في كل تفكيرنا حول المشاكل الاجتماعية؛ يُنظر، جيفري، المدارس اللغوية: ص٧٥.

٣/ يُنظر، عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ص١٦٦.

٤/ د. حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: ص١١٨.

مادي آلي في تفسير الظاهرة اللغوية[1].

هنا تظهر لنا ثنائية البنيوية في مبدأ الدراسة الوصفية الآنية التي تمثل الواقع الاجتماعي والجانب الباطني النفسي في التغيير.

فالبنيوية عند المدرسة السلوكية[2] تعتمد على التفسير الأقصى والجانب النفسي لا الجانب التاريخي الذي نادت به البنيوية الأوربية.

"وبذلك أصبح بلومفيلد نبي الدعوة إلى نبذ العقلانية في علم اللُّغة وإحلال المذهب الشكلي الآلي، الذي به تتحقق الموضوعية، أو بعبارة أخرى، الاستعاضة عن التعريفات العقلية للعناصر اللغوية التي كان يدور حولها الفكر اللُّغوي التقليدي بدراسة سلوك هذه العناصر داخل البنية اللُّغوية من خلال المواضع والمواقع التي تحتلها في الكلام. فهذه الوحدات محدودة، ولكنها ذات قدرات توزيعية... ومن ثم أصبحت التوزيعية *Distribution* هي المنهج الذي اعتمد عليه بلومفيلد في وصف اللُّغة"[3].

ويمثل بلومفيلد نمطاً من اللُّغويين الذين ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالجهود الأوربية في علم اللُّغة المقارن واستفادوا منها.

كما أنَّ كتابه (*Language*) قد أحرز نجاحاً كبيراً شغل الأوساط العلمية وذلك بتناوله دراسة اللُّغة بوصفها نمطاً من السلوك القابل للملاحظة والتحليل،

١/ يُنظر، حلمي خليل، نفس المرجع: ص١٢١.

٢/ كمال بشر، التفكير اللُّغوي بين القديم والجديد: مطبعة الشباب، القاهرة، ص١١٤؛ ويُنظر، بلومفيلد، إن المعنى ليس شيئاً من الواقع؛ ويُنظر، عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ص٢٦٠.

٣/ د. حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: ص١٢٤-١٢٥.

على أساس أنَّ اللُّغة في ضوء النظرية السلوكية جزء من سلوك الإنسان، فإنه – قصد بذلك البنية– على وجوب معرفة المتكلم وعالمه ودوافعه قبل البحث في مشكلة المعنى[1].

"والواقع أنَّ بلومفيلد لَمْ يرفض دراسة المعنى، بل لقد أشار إلى أهمية العلاقة بين الصوت والمعنى، وإنما كان اهتمامه موجهاً إلى الكشف عن القوانين العامة التي تحكم السلوك اللُّغوي والتي قد تؤدي إلى الكشف عن القوانين التي تحكم النفس البشرية، ومن ثم كان مقتنعاً بأنَّ إقحام الجانب الدلالي قد يعوِّق الوصول إلى هذه القوانين، بذلك رأى أنه لكي يعرف المعنى معرفة دقيقة لا بدَّ أن نكون على علم دقيق بكل شيء في عالَم المتكلم والمعرفة الإنسانية لَمْ تصل بعد إلى هذه الدرجة"[2].

نفهم من ذلك النص أنَّ أهمية العلاقة بين الصوت والمعنى والإحاطة بمعرفة عالم المتكلم، تدخلها النظرية السميولوجية المتكاملة. ومعنى أهمية الصوت بالمعنى، تعني دراسة الكلمة المفردة وربطها بمكوناتها من الكلمات ووضعها في الجملة.

فدراسة المفردة اللفظية باعتبار أنها مكونة من وحدات متصلة بعضها ببعض، وأنَّ هذا الاتصال قائم على أساس أنَّ بعض هذه الوحدات يحتوي بعضها الآخر، وتلك هي النظرية العربية (نظرية النظم)[3].

١/ يُنظر، إميل بديع، فقه اللُّغة وخصائصها: ط١، دار الملايين، بيروت، ١٩٨٢م، ص٩١.

٢/ المرجع السابق: ص١٢٤–١٢٥.

٣/ يُنظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: تحقيق محمد رضا، م تنمية القاهرة، ١٩٩٠م، ص٦٠–٦٤.

وذلك تحليل المكونات المتعاقبة، نعني بها الصوتية، والصَّرفية، والنحوية؛ من أجل معرفة أمرين:

أولهما: كيفية بناء الجملة أو التركيب من الوحدات الصغرى المكونة لهما.

ثانيهما: معرفة علاقات الاحتواء والتضمين التي على أساسها يجري توزيع الجملة إلى حقول بعضها أكبر من بعض (جملة فعلية أو اسمية، شبه الجملة، الجار والمجرور، الظرف، والفارق في الدلالات).

الجملة الاسمية تفيد الاستقرار والدوام والثبوت، والجملة الفعلية تفيد الانقطاع والتجديد.

أمَّا شبه الجملة؛ فتفيد تمام المعنى في حالة، وهذا أمر يكشف عن العلاقات التركيبية بين أجزاء الجملة.

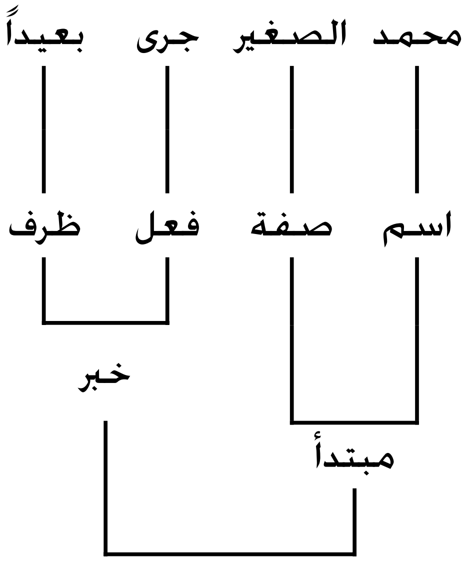
تعتمد البنيوية بشكل أساسي على دراسة النصوص اللُّغوية، بغض النظر عن القدرات الذهنية لدى الناطقين باللغة.

ودراسة النصوص تفسير للثنائية القائمة في التحليل البنيوي.

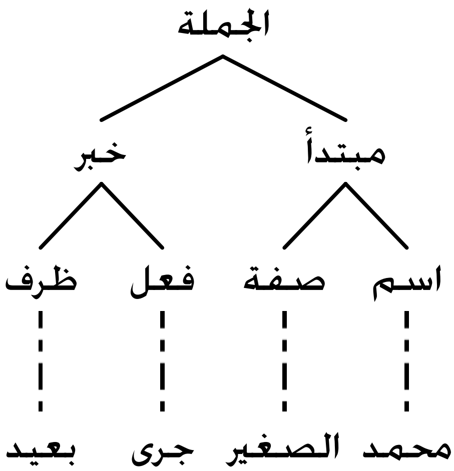
ويرى الباحث أنَّ رأي بلومفيلد ينبني على دراسة سلوك العناصر داخل البنية اللُّغوية وفقاً لمواقعها في الجمل والعبارات، فتلك هي الوحدات رغم محدوديتها إلا أنها تتمتع بقدرات توزيعية غير متناهية (محدودة) وهنا يظهر لنا الفارق بين البنيوية الأوربية وبنيوية بلومفيلد للمدرسة السلوكية (تحليل المكونات المباشرة):

(محمد الصغير جرى بعيداً)[1]

(بنيوية بلومفيلد)



(البنيوية الأصلية)



الاختلاف بين المدارس البنيوية السلوكية (بلومفيلد وتحليل المكونات المباشر) قائم على الدراسة الوصفية منذ قيام المدارس اللُّغوية؛ ويرجع إلى طبيعة تعريف اللُّغة عند المدرسة السلوكية، ومعارضتها للاتجاهات الذهنية.

ومن هذا العرض لتعريف البنيوية؛ يرى الباحث في تعريفه المتواضع للبنيوية: إنَّ البنيوية دراسة وتحليل تراكيب المفردات وفقاً لمعطياتها في السياق مع الاحتفاظ لها بالمقام الاجتماعي. يؤمن البنيويون بوجود وسائل استكشاف متغيرة من شخص إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن عصر إلى آخر.

البنيوية الأمريكية (بلومفيلد) يهدف إلى النظرية التوزيعية إلى الكشف على البنية الفونولوجية، والصرفية والتركيبية باستخدام معياري التوزيع كما ظهر في الرسم السابق.

١/ كمال بشر، علم اللُّغة الاجتماعي: التفكير اللُّغوي بين القديم والجديد: مطبعة الشباب، القاهرة، ص١١٦.

"المنهج الأساسي المعتمد في تحليل البنية التركيبية لدى التوزيعيين، ينبعث التحليل إلى مؤلفات. وهو التحليل الذي عن طريقه نقل بنية الجملة ليس على أساس أنها مؤلفة من طبقات مرصوصة بعضها بجانب بعض، بل على أساس أنها مؤلفة من طبقات من مكوِّنات الجملة بعضها أكبر من بعضها الآخر، إلى أن يتم تحليل عناصرها الأولية من المورفيمات لكون مورفيم وحدة دنيا، تفيد دلالة يبرزها التحليل"(١). ونفهم من ذلك أنَّ اللُّغة حسب رأي بلومفيلد والسلوكيين تُعدُّ نوعاً من الاستجابة الصوتية لأحداث مُعيَّنة:

١/ ارتباط الصوت اللُّغوي بالدلالة.

٢/ تنقسم الأشكال اللُّغوية إلى شكلين:

أ- شكل مستقل. ب- شكل غير مستقل(٢).

والشكل غير المستقل لا بدَّ من ارتباطه بشكل آخر، والعنصر اللُّغوي يظهر في شكل مركب دائماً (أدوات العطف، الجر، الاستفهام).

يعتمد المعنى جزئياً على تنظيم الصيغ، والنحو يشكله الترتيب، الذي يحدد معنى الصيغ. وطرق تنظيم الصيغ هي:

١/ التتابع.

٢/ الفونيمات الثانوية.

٣/ الاختبار.

٤/ توزيع عناصر اللُّغة حسب تصنيفها (فعل، اسم، صفة).

١/ أحمد حسان، مباحث في اللسانيات: المطبعة الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤م، ص١٠٦.

٢/ يُنظر، عبد السلام المسدي، قضية البنيوية: ص٩٩.

يمكن تصنيف الأشكال النحوية في خطوات: تحديد نمط الجملة (خبرية، استثنائية)، تحديد عناصر التركيب. وتلك هي دراسة البنيوية.

"والذي استقر بنا الرأي عليه هو أنَّ البنيوية كما مورست في مختلف المجالات قد بقيت على مرونة قصوى شأن هذه القضية، فكان مألوفاً في التطبيقات البنيوية أن ترى من يفسر بنية الظواهر انطلاقاً من وظائفها العامة، كما تصادف من يحدد مضمون الظاهرة من خلال استقرائه لبنيتها"(١).

المدرسة الإنجليزية(٢) (*British School*):

لَمْ يكن الاتجاه الإنجليزي في ميدان الدراسات اللُّغوية يمثل خطاً واحداً ذا منهجية مماثلة عند اللغويين، لكن المنهج العام منذ عصر النهضة فصاعداً حتَّى الآن، ركز على الدراسة الصوتية في ميادينها التطبيقية.

اهتمت المدرسة بمسألة (الفونيم) إلى جانب ذلك ظهرت في مصنفات هذه المدرسة -الملامح غير الجزئية- حيث ضمت: النبر، التنغيم، المقطع. وتوسعت هذه المدرسة على يد عالمها الشهير (جون فيرث ١٨٩٠-١٩٦٠م(٣)).

"منهج فيرث... يسجل الحقائق اللُّغوية وفق صورها الشكلية وأنماط الصيغ الكلامية في التركيب"(٤).

١/ عبد السلام المسدي، قضية البنيوية: ص٢٦.

٢/ يُنظر، جفري سامسون، مدارس اللسانيات: ص٢٣٨.

٣/ فيرث (١٨٩٠-١٩٦٠م) هو: أول أستاذ لِلُّغويات العامة في بريطانيا، الذي عرف باهتمامه الخاص باللغات الشرقية، عمل بالتجارب اللُّغوية ودرس علم اللُّغة دراسة علمية متميزة بدأت مرحلة جديدة لهذا العلم في إنجلترا تعارض تقاليد الدراسة اللُّغوية عند بلومفيلد (أمريكا)؛ يُنظر، الموسوعة البريطانية للأعلام: ص١٩٠.

٤/ كمال بشر، دراسات في علم اللُّغة: ص١٧٢.

ومِمَّا لا شك فيه أنَّ نظرية (فيرث) في المعنى، والتي تعدُّ أهم إنجازاتـــه في علم اللُّغة تعتمد على الأسس التي وضعتها المدرســـة اللُّغويـــة الأولى (مدرســـة جنيف) لأنَّ اللُّغة في الاستعمال البدائي، ليست سوى حلقة اتصال في النشـــاط البشري، واللُّغة ليست قولاً بل هي في واقع الأمر نظام وعمل.

"... وفي (١٩٤٤م) شاركت بريطانيا -لأول مرة- في وضـــع نظريـــة لغوية عامة على يد فيرث الذي كان يعرف أنَّ اهتمام علماء اللُّغة في بريطانيا لَمْ يتجاوز وضع المعاجم والدراسة الصوتية واللهجية.

وكان لفيرث اهتمام خاص باللغات الشرقية... وتأثر بجهود علماء اللُّغة الهنود القدماء، ووصفهم للغة السنكريتية، وبخاصة من الناحية الصـــوتية وكـــل ذلك أهَّله لوضع نظرية لغوية قامت على أصولها مدرسة لغوية مستقلة في تاريخ الفكر اللُّغوي عرفت باسم المدرسة الاجتماعية البريطانية، وحجر الزاوية في هذه النظرية هو فكر السياق"[1].

فكلمة السياق كلمة لا يتعرف على معانيها بدقة؛ إلاَّ من خلال فكـــرة السياق الذي أعاد إحياءها.

السياق هو: النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معانيه وذكر أنَّ ساق[2] يسوق سوقاً سائق. المراد بها نظم الألفاظ أو ترتيب الأشياء، وكان اهتمام (فيرث) منصباً على سياق الحال، بوصفه حجر الزاوية في تحديـــد المعنى؛ وعلى الفونولوجيا لكونها حلقة الوصل بين القواعد والصوتيات.

"ولقد طورت المدرسة الإنجليزيـــة- وبخاصـــة في الســـنوات الأخـــيرة

١/ د. حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: ص١٣١-١٣٢.

٢/ يُنظر، ابن منظور، لسان العرب: مادة (س ا ق).

الدراسات الفنولوجية بحيث أصبحت ذات شقين أو فرعين متصلين غير منفصلين. أحد هذين الفرعين هو (فنولوجيا الوحدات) ووظيفته البحث في الأصوات بوصفها أنماطاً للأصوات *Units* أو *Classes* وهي مادة التركيب الصوتي... أمَّا الثانية فهي (فنولوجيا الظواهر التطريزية *Prosodic Phonology*)"[(١)].

يقصد بالأولى الأصوات الصامتة والصائتة والثانية ظاهرة طول المقطع وقصره، النبر والفواصل والتنغيم.

فالسياق اللُّغوي هو: كل ما يتعلق بالإطار الداخلي لِلُّغة (بينية النص) وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللُّغوية الوظيفية. وهي تكون في نطاق التركيب. هذا الأمر يتطلب معرفة الدراسة الصوتية والصرفية والتركيبية (المعجمية).

فدراسة الصوت تكون داخل سياقه، وليس مجرداً من حيث كمية الهواء اللازمة لإنتاجه. إذن الفونيم يعتبر المادة الأساس في فهم الدلالة باعتباره وسيلة مهمة للتوزيع، وتلك هي بداية الدراسة البنيوية للكلمة.

"وقد رأى فيرث أنَّ فكرة السياق هذه يمكن أن تمتد وتتسع في إطار تجريدي عام لدراسة المعنى، ومن ثم وضع أصول نظريته التي أصبح السياق فيها يمثل حقلاً من العلاقات *Field of Relations* الداخلية والخارجية. وكان يرى أنَّ عالِم اللُّغة إذا ما أراد أن يصل إلى المعنى الدقيق للحدث اللُّغوي أو الكلامي، أن يبدأ بالكشف عن العلاقات بين الوحدات اللُّغوية المكوِّنة له"[(٢)].

١/ كمال بشر، علم الأصوات: ص٩٥-٩٦.

٢/ د. حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: ص١٣٢.

ويُفهم من ذلك النص أنَّ السياق الخارجي - أي سياق الحال *Context of Situation* - أن ينظر ويضع في الاعتبار عند التحليل التركيبي -وهو مجموعة من الملابسات- الظرف الذي قيل فيه الكلام (الحال).

"السياق اللُّغوي شبكة من العلاقات القواعدية، تحكم بناء الوحدات اللُّغوية داخل النص، ومنه تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية مثل الإعراب، وهو قرينة سياقية تتعاون جاهدة مع غيرها في رسم شبكة البيانات الدلالية"[١].

ونفهم من ذلك أنَّ فيرث رأى أنَّ المدارس اللُّغوية اعتنت بالتركيب الداخلي لِلُّغة أكثر مِمَّا يجب، وأغفلت استعمالها العقلي في المجتمع، رغم علاقتها بالجانب الأول.

وقول فيرث هذا ينطبق مع تعريف ابن جِنِّي لِلُّغة "عبارة عن أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم".

فكلمة (قوم) تعني المجتمع والمقام والمناسبة. والمقام يضم عناصر أهمها:

١/ المتكلم: نوعه وعمره ومكانته، وعلاقته بالمجتمع... الخ.

٢/ المستمع: ما يتبعه؛ وعلاقة المتكلم بالمستمع.

ويرى الباحث أنَّ مفهوم المعنى عند (فيرث) تكونه مجموعة من العلاقات والخصائص اللُّغوية ولا تكشف إلا بدراستها دراسة بنيوية، وقد تأثر تلاميذ فيرث به.

١/ عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ص٥٤٦.

البعد البنيوي في الدراسات العربية الحديثة:

بلغت الدراسة اللُّغوية الحديثة والمعاصرة درجة من الدقة والضبط والموضوعية والشمول، واكتسبت هذه الدراسة أهميتها من خلال التقدم العلمي الهائل في مجال الدراسات اللُّغوية العربية (هي قد نهجت منهج المدرسة الإنجليزية).

فالبنيوية منهج قد فرض نفسه في مجال الدرس المعاصر في الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن.

"إذا كانت البنية وتحليلها هو هدف علم اللُّغة البنيوي فقد كانت أيضاً هدف النحاة، وعلماء اللُّغة في التراث العربي بحيث رأى بعض الباحثين عناصر بنيوية في كتاب سيبويه"(١).

فالبنيوية منهج يتمثل في وضع نظرية لغوية عامة، وترسم خطوط عريضة تسمح بالتحرك والعمل بمقتضاها سواء أكان هذا العمل مرتبطاً بتحليل المستويات اللُّغوية أم بغيرها.

ولا شك أنَّ المدارس اللُّغوية الغربية قد فرضت نفسها في الدرس اللُّغوي للقرن التاسع عشر والعشرين. فظهرت في كتابات المحدثين الذين تعلموا في أوربا، ومنهم:

❖ **د. علي عبد الواحد وافي، (علم اللُّغة):**

يؤكد التداخل بين علم اللُّغة التاريخي المقارن، وعلم اللُّغة الوصفي، وتلك هي السمة الداعمة في الأربعينات لكن نجد فيه ملامح البنيوية تمثل:

١/ د حلمي خليل، العربية علم اللُّغة البنيوي: ص٩.

١/ في الدراسة العلمية القائمة على الملاحظة والتجريب.

٢/ البنية اللُّغوية تتألف من عناصر ذات وجود متميز بينها علاقات عضوية.

٣/ التعريف بين اللُّغة المنطوقة واللُّغة المكتوبة.

تقسم الدراسة اللُّغوية إلى مستويات: صوتية وصـرفية ونحويـة، ودلالية. التعريف بين دراسة اللُّغات المستعملة واللُّغات المثبتة.

❖ **إبراهيم أنيس: (الأصوات اللُّغوية):**

يتحدث عن تعريف علم الأصوات النظمي (الفونولوجي) بأنه علـم الأصوات الذي يخدم بنية الكلمات وتركيب الجمل.

وتلك هي بداية الدراسة البنيوية التي قامت بها مدرسـة (بـراغ) والتركيب الذي قامت به المدرسة الإنجليزية. (المدرسة الاجتماعيـة) صاحبها (فيرث) كما أنَّ الموضوعات التي تناولها في كتابـه (دلالـة الألفاظ) تتصل بعلم الدلالة *Semantics*.

❖ **محمود السعران، (علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربي)**[1]:

يتناول فيه المؤلف مفهوم اللُّغة وكيفية دراستها، إنها تدرس في ذاتهـا ولذاتها: أي تدرس من خلال السياق الـداخلي وتقـدم التحليـل التركيـبي للمفردات وخاصة في مستواه الصرفي (المورفيمي) وتـرى فيه الالتزام بالسياق. وتلك هي نظرية (فيرث) وهي تهـدف لتقـويم أصول البنيوية اللُّغوية.

١/ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: مقدمة الكتاب، ص١٤-٣٥.

❖ تمام حسان، (**اللُّغة العربية معناها ومبناها**):

"الكتاب في حقيقته ليس نموذجـــاً لِلُّغـــة العربيـــة الكلاســـيكية، أو المستعملة في هذا العصر، أو في أي عصر من عصور العربية وإحـــدى لهجاتها إنما هو من قبيل إعادة النظر، فيما جـــاء في كتـــب النحـــو والصرف من وصف العربية الكلاسيكية، أو بعبارة أخرى هو قـــراءة جديدة للتراث اللُّغوي العربي، من منظور علم اللُّغة الحديث... وهي نظرية السياق عند فيرث"[١].

كما نجد في كتاب (**اللُّغة معناهـا ومبناهـا**) دراســة العلاقـــات المتداخلة والتي سُمِّيت بالقرائن الحالية والمقاميـــة، وتلـــك دراســـة سيميولوجية تختص بها الدراسة البنيوية.

كما نجد الصيغ الصرفية (المورفيمات) تتمثل في الزوائد بالكلمات التي تكون في أول الكلمة *Prefix*، والتي في آخرها *Suffix*، والـــتي في وسطها *Infix*، سابق، لاحق، حشو، هي مورفيمات مقيدة، ما عدا الحشو أي *Infix*، فهو مورفيم صوتي اشتقاقي.

وكانت التفرقة بين دراسة اللُّغة العربية من حيث هي ظاهرة إنســـانية عامة، ودراسة اللُّغة من حيث هي لغة مُعيَّنة أمراً لَمْ يلتفت إليه علماء العربية القدماء. ومن ثم كانت هذه الفكرة في الأصول الجوهرية التي قدمها دعاة البنيوية العربية الحديثة.

لا شك أنَّ البنيوية قد اعتمدت اعتماداً كلياً في تحليلها للتركيب علـــى المنهج الوصفي ومن ثم اتخذت من الوصفية أداة لها لتحليل التركيب.

١/ د. حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: ص٢٢٠.

والوصفية أداة من أدوات البنيوية في التحليل اللُّغوي. وهي الأداة الأولى وخاصيتها الثانية بعد التركيب.

المبحث الثالث
الوصفية

مفهومها:

إنَّ علماء اللُّغة البنيويين ينظرون إلى اللُّغة على أنها نظام عرفي، ومن ثم يحللون تراكيبه عن طريق الوصف. والوصفية مشتق من الوصف، "...إنَّ الوصف مصدر، والصفة فعله، وفعله نقضت فقيل صفة واضلها وصفة فهي أخص من الوصف؛ لأنَّ الوصف اسم جنس يقع على كثيره وقليله، والصفة ضرب من الوصف مثل الجلسة والمشية وهي هيئة الجالس والماشي، ولهذا أُجريت الصفات على المعاني. فقيل: العفاف والحياء من صفات المؤمن... لأنَّ الوصف لا يكون إلا قولاً والصفة أُجريت مجرى الهيئة"[١].

ونفهم من هذا النص أنَّ الوصفية هي القول. والقول هو الكلام الذي يدرس تاريخياً على ضوء الوصف المبني، على التحليل، أو معيارية (تعلمية) للظواهر اللُّغوية في فترة زمنية محددة.

فالكلام يتكون من ألفاظ، والألفاظ هي: التشكيلات الصياغية الفنية، التي تضع التحليل؛ من أجل جعل النص في صورة كاملة تتوافر فيها عناصر الجمال ومعرفة المعنى.

"الكلام أيدك الله يحسن بسلاسته وسهولته، ونصاعته، وتخيّر لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، لين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادُل أطرافه، وتشابه أعجازه بهواديه، وموافقة مآخيره لمباديه... فنجد المنظوم مثل: في سهولة

١/ أبو هلال العسكري، الفروق اللُّغوية: تحقيق حسام الدين القدسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م، ص١٩.

مطلعه وجودة مقطعه، وحسن رصفه وتأليفه؛ وكما صوغه وتركيبه"[1].

ونفهم من ذلك النص أنَّ وضوح المعاني يكمن في كيفية نظم النص في السياق ومعرفة تراكيبه. المنظم الوصفي يشير إلى بنيوية النظم وتركيبها بعضها في بعض.

أمَّا المعنى، فذلك أمر موجود بطبعه ومعروف لدى العربي والعجمي والقروي. "... هو أنَّ الاعتبار بمعرفية مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات، فإذا عرف البدوي الفرق بين أن يقول: جاءني زيدٌ راكباً. وبين قولة: جاءني زيد الراكب. إنه حال، وإذا قال: الراكب إنه صفة جارية على زيد"[2].

ونفهم من ذلك أنَّ الفارق بين الصفة، والحال يخضع لوصف العبارة في السياق المعجمي، والمعنى يتبلور في شكلها الخارجي.

وفهم الكلمات ينتقل من المعنى المعجمي للمعنى السياقي في الوصف اللُّغوي. ثم تبدأ دراسة العلاقات السياقية على أساس أنها تمثل في هذا التسلسل من الكلمات. فذلك هو التركيب البنيوي.

ويكون السياق قريباً من الكلام، فهو جمل تضاف إلى جمل أخرى، وبالتالي فلا بدَّ من وصف مفردات التركيب.

"لا تخلو الفصاحة من أن تكون صفة في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع أو تكون صفة فيه معقولة، تعرف بالقلب، فمحال أن تكون صفة في اللفظ

١/ أبو هلال العسكري، الصناعتين: ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧١م، ص٦١.

٢/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد سيد رضا، ط١، دار ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٤٥.

محسوسة؛ لأنها لو كانت كذلك، لكان ينبغي أن يستوي السامعون اللفظ الصحيح في العلم بكونه فصيحاً"[1]. فالدراسة البنيوية تبدأ بالكلمة ونفهم من ذلك النص؛ كيف تصف الوصفية للمفردة اللفظية وفصاحتها، وكذلك من حيث الجودة.

وهنا يظهر لنا دور علم البيان البلاغي، في وضع معايير لجودة الكلمة. فتلك دراسة معيارية تقع في إطار الدرس الوصفي.

أمَّا الدراسة البنيوية فلا تضع شروطاً للفصاحة بقدر ما تدرس المفردة اللفظية بصورة كاملة.

"فالصفة التي يكتسبها اللفظ داخل العبارة هي صفة مرحلية مؤقتة والمعاني ثابتة محددة. فالمعول عليه هو النظم لإبراز المعاني على حقيقتها؛ لأنَّ الأصل في الألفاظ... أن يختص كل لفظ بمعنى، بحيث يثير في الذهن دلالة معيَّنة، بالتالي لا عبرة في الفصاحة بقصر الكلام وطوله"[2].

نفهم من ذلك أنَّ الوصف للكلمة أن ينظر إليها منفردة. ثم النظرة إليها داخل السياق. ومعناها (قبل دخولها في التأليف) تلك هي النظرة الصرفية أي النظرة البينية للكلمة، وتلك هي النظرة الوصفية.

أمَّا النظرة البنيوية فتنظر الكلمة داخل التركيب اللُّغوي، وتفتت أجزائه داخل التركيب اللُّغوي.

١/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: تحقيق محمود محمد شاكر، ط١، دار المدني، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٤٠٧.

٢/ وليد محمد مراد، نظرية النظم عند عبد القاهر: ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م، ص٣٨.

مثال: (زيدٌ أبوه مريض).

فلا يُنظر إلى كل كلمة منفردة: زيد/أبوه/مريض؛ بل يُنظر إلى الكلمة داخل التركيب.

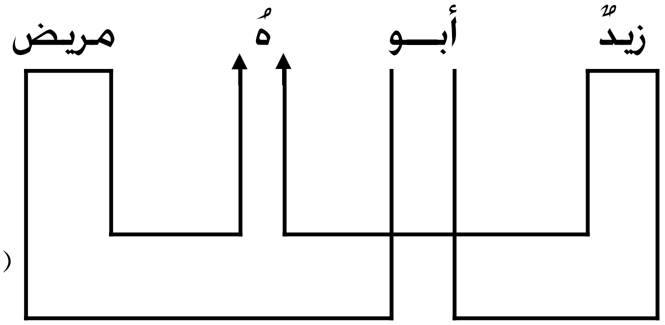
الإعراب:

زيد: مبتدأ أول.

أبوه: مبتدأ ثان.

مريض: خبر المبتدأ.

والمبتدأ الثاني وخبره: خبر المبتدأ الأول.



(١)

فكلمة مريض وصف لـــ(أبوه) ولكن الرابط بينهما الضـــمير في كـــلا الاسمين. حيث إنَّ الوصف هنا متداخل بين زيد وأبوه، والوصف صفة لضـــمير أبوه، إلا أنَّ زيداً جزء من هذا الوصف من حيث الربط التركيـــبي للوصف.

لا شك أنَّ الدراسة البنيوية لها منهجها في الدرس اللُّغوي تبدأ بدراســـة المفردة اللفظية وفقاً للمستويات الثلاث، بالتالي فإنَّ الوصفية أداة تلك الدراســـة تبدأ بمفهومها، ثم وصف المفردة اللفظية في صيغة تركيبها في العبارة لا بمفردها.

١/ الباحث.

الوصفية والكلمة:

الكلمة هي الصيغة الصرفية في الدرس البنيوي، وتدرس علــى المســتوى الثاني الصرفي (المورفيمي) وإن جاز أن تقول: الوصفي الصــرفي (المــورفيمي) والذي يعرفه عند علماء البلاغة بــ(فصاحة الكلمة) يعني ســلامة الكلمــة في التركيب.

"إنَّ الفصاحة... نعت الألفاظ، إذا وجدت على شروط عــدة، ومــتى تتكامل تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف لوجود أضدادها مستحق الإطراح والذم الأول، وتلك الشروط تنقسم قسمين فالأول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن يضم إليها شيء من الألفاظ وتؤلف معه، والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنطوقة بعضها مع بعض"[1].

ونفهم من ذلك النص أنَّ الوصف يكون في المفردة اللفظية في حــدودها المعجمية ثم النظر للألفاظ من خلال نظمها، وهنا تظهر لنا الموســيقى النغميــة والجرس الصوتي في المفردات اللفظية والذوق الفني لمفهوم النص إلا أنَّ القيمــة الجمالية يكمن نظمها من خلال التركيب البنيوي للمفردات من خلال مجاورتها بعضها بعضاً.

"...أن يكن تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج... وعِلَّــة هذا واضحة وهي أنَّ الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألــوان من البصر، ولا شك في أنَّ الألوان المتباينة إذا اجتمعت كانت في المنظر أحســن من الألوان المتقاربة، ولكن البياض مع السواد أحسن منه في الصفرة وبعد ما بينه

١/ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ص٦٣.

وبين الأصفر وبُعد ما بينه وبين الأسود"[١].

ذلك هو المفهوم الشائع في معرفة الفصاحة، فالفصاحة هنا وصف المفردة اللفظية من حيث النطق.

إلا أنَّ علم اللُّغة لا يبحث عن فصاحة الكلمة بقدر ما يبحث في تراكيب أصواتها وقد سبق للمثال السابق عند التحليل أنَّ ضمير الغائب من خلال نظمه أدى إلى معنى جليل. ونظرة البنيوية لجمال المفردات اللفظية في تراكيب مفردات في أصواتها وأصوات الكلمات التي معها في النص.

وهنا يظهر الفارق بين البنيوية والأداة الوصفية، تلك تبحث في المفردات، والبنيوية في التراكيب (تراكيب المفردات والجمل معاً).

"وحُكِي ذلك عن الخليل بن أحمد ويُقال: إنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الظفرة، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشى المقيد؛ لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك الاعتزال ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال، الذي أذهب إليه، في هذا ما قدمت ذكره ولا أرى التنافر في بعد ما بين مخارج الحروف، إنما هو في القرب يدل على صحة ذلك بالاعتبار، فإن هذه الكلمة (الـم) غير متنافرة وهي مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج"[٢].

لا شك أنَّ التقارب في الأصوات يثقل النطق به في الجهاز الصوتي، وهذا يعود إلى عامل طبيعي (فسيولوجي). مثال: صوت حنجري وآخر مركب

١/ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ص٦٤.

٢/ المرجع السابق: ص١٠١.

-مثل: الهمزة والكاف- لا يصعب النطق به لتقارب المخرج. وذلك لأنَّ الهواء لا يسمح للصوتين أن يخرجا في زمن واحد.

أمَّا كلمة: ﴿الٓمٓ﴾[1]. فنجد الألف صوت حنجري هوائي، واللام صوت لثوي جانبي، والميم صوت شفوي. فالكلمة جاءت واضحة سهلة، والسبب يرجع إلى بنيوية الأصوات فالصوت الحنجري الهوائي يساعد على اندفاع الهواء في التجويف الأنفي الفموي.

وهذا ما تؤكده الدراسة الصوتية بأن الصوت يتغير في صفته. وذلك ما يحدث إلى صوت الضاد عند نطقها من الطبق، تكون مفخمة.

وذلك ما يؤكده ابن سنان: بأن المقصود الصوت نفسه الذي يتكرر في المفردة، وليس الصوت الآخر من نفس المخرج[2].

فالدراسة العلمية تقوم بدراسة الصوت دراسة تجريدية تحليلية، وتتحاشى الأحكام الذاتية.

"وأوصاف الكلمة تكون مبنية من حركات خفيفة، ليخفف النطق بها، وهذا الوصف يترتب على ما قبله من تأليف الكلمة، ولهذا إذا توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لَمْ تستثقل، وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة، فإنه إذا توالى فيها حركتان من كلمة واحدة استقلت، ومن أجل استقلت الضمة على الواو، والكسرة على الياء، لأنَّ الضمة من جنس الواو والكسرة من جنس الياء"[3].

١/ سورة البقرة: الآية (١).

٢/ يُنظر، ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ص٧٧ وما بعدها.

٣/ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،=

هذا الوصف للمفردة اللفظية يؤكد الدراسة الصوتية، من حيث إن الواو صوت ليِّن صائت، تلك هي صفته ومخرجه، الشفتان، والياء. كذلك صوت لين صائت مخرجه الغار.

أمَّا الضمة والكسرة فهي (صائتة) وتسمى حركات -فهي أصوات معيارية ووضعت الواو والياء عليها- ومنعاً من ازدواجية النطق. أشار إليها نحاة العربية بأنها علامات إعرابية تدرس عند الأسماء: المقصورة "والاسم المقصور آخره ألف لازمة قبلها فتحة -وكذلك الاسم المنقوص- الذي آخره ياء لازمة، وذلك لاشتراكهما في الصفية مع الواو والياء لأنها صائت لين" كما إنه لا يوجد في العربية اسم آخره واو مضموم ما قبله. وإن وجدت (سمندو وقمندو) تعادل معادلة الاسم العجمي. يمنع من الصَّرف، مع الاحتفاظ له بالإعراب التقديري مثال كلمة (زيكو).

عند الوصف الصَّرفي لهذه المفردة اللفظية؛ يساعدنا علم تنظيم الأصوات (الفونولوجية) في تركيبها الصرفي (المورفيمي)، يقوم الفونولوجية بتحديد وتسهيل النطق من خلال البنيوية الصَّرفية.

"إنه تكلف... من غير تأدية الوزن، وأصله من سجع الجماعة هو: إمَّا تكون الكلمتان متساويتين في عدد الحروف، وفي الحرف فسمي بالمتوازي كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾[1]، وإمَّا أن يختلفا في العدد ويتفقا في الحرف الأخير فسمي بالمطرّق كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ

=ط١، المطبعة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص١٩٣.

١/ سورة الغاشية: الآيتان (١٣، ١٤).

٢/ سورة نوح: الآيتان (١٣، ١٤).

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾[1]، اتفقا في عدد الحروف واتفقا في الحرف الأخير سمي بالمتوازي"[2].

دون شك أن هذه المفردات فصيحة في نظمها الصَّرفي فالوصفية قد وضحت لنا المقاييس لمعرفة المفردات اللفظية عن طريق بنية الكلمة الصَّرفية (المورفمية) وبالتالي حددت واعتمدت على المعيارية في تحديد الوصف ذلك ضماناً، لوضع شروط الصحة والسلامة في التذوق الحسي والجمالي -ذلك بوصف إحصائي دقيق في العدد والنوع- كل ذلك يقع في طائلة فصاحة المفردة اللفظية.

ويُفهم من هذا أن نظرية فهم المعنى لا تخضع لحشد الألفاظ، وكثرتها ولا عرضها ولا تعقيدها أو كراهة الاستماع إليها. إنما تعتمد على وصفها. وتلك صفة وسمة من سمات التركيب اللُّغوي من خلال بنيوية العبارة ودراستها.

ولكل صفة من صفات الحروف صوت. وأصوات الحروف المختلفة تنزل منزلة النبرات الموسيقية، وتحدث جمالاً توفيقياً في نفس السامع. كما تحدث انفعالاً نفسياً ينبع عن تنويع الصوت في الكلمة.

ويرى الباحث أنَّ فصاحة الألفاظ في المفردة اللفظية ويقصد بها الكلمة. تكمن في تركيبها، وسهولة جريانها على اللسان، بخفة وقعها على السمع. وتلك وظيفة منظم الأصوات (الفونولوجية) كما أن وصف هذه التراكيب، يساعدنا في فهم المعنى.

"إنَّ اللفظ جنس للكلمة، وذلك لأنه يدل على المهمل والمستعمل ما

١/ سورة الغاشية: الآيتان (١٥، ١٦).

٢/ فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: تحقيق بكري شيخ الأمين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٤٢.

يمكن ائتلافه من الحروف، ولَمْ يضعه الواضع إزاء معنى نحو صهٍ (كف) ونحوها -فهذا وما كان مثله لا يسمى كلمة- لأنه ليس شيئاً من وضع الواضع، إنما يسمى لفظه، لأنه جماعة حروف ملفوظ بها"[1].

ونفهم من هذا النص أن هناك علماً لا بدَّ أن ينظم تلك الألفاظ أو مجموعة الحروف.

والوضع هنا يقصد به التركيب، فالكلمة لا تعتمد ما لَمْ يتم تركيبها تركيباً وظيفياً تاماً.

وإنَّ مجموعة هذه الحروف تحتاج إلى فحص في الوصف. فكلمة (صهٍ) و(كف) أصوات مركبة لكنها غير منظمة. ولَمْ تدخلها الفونولوجية- فصوت (الصاد) يتكون بالطريقة التي تتكون بها السين مع فارق الإطباق (التفخيم) الناتج عن ارتفاع مؤخر اللسان تجاه الحنك الأعلى.

أمَّا الكلمة (كف): الكاف فصوت احتكاكي مهموس، الفاء: صوت شفوي انفجاري. فلا يجتمعان في كلمة إلاَّ بقوة الانفجار.

الوصفية والسياق:

إنَّ النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم. أوسع معاني هذه العبارة. فالسياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل الكلمات والجمل الخفية السابقة واللاحقة في النظم.

"واعلم أن غرض في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس وضعته أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني، وكيف تتفق وتختلف ومن أين تجتمع وتفترق،

١/ ابن يعيش، شرح المفصل: دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ج١، ص١٨-١٩.

وأفضل أجناسها وأنواعها واتبع خاصتها ومتاعها، وأبين أحداكها في كرم فنصبها من الفعل وتمكنها في نصابه، وقرب رحمها منه أو بعدها حين تنسب عنه"[1].

البيان هو العلم الذي يبحث في المعنى والدلالة -وعلم المعاني علم يبحث عن العلاقات القائمة بين المفردات- وعلم البديع يبحث في الجوانب الفنية الجمالية للنظم.

فالوصف هنا يجمع بين هذه العلوم الثلاثة، على أساس أن علم المعاني يترك مجالاً للنحو لتنظيم السياق. ومن ثم الاستخدام الصحيح للأبنية اللُّغوية، فالوصف غير النغمات الجمالية أو التعبيرية الخاصة؛ ويطلق الشكل البلاغي أو الصورة، على الصفة الكلامية التي تتسم بحيوية أشد في اللُّغة العادية، وتهدف إلى جعل العبارة محسوسة عن طريق السياق.

فالنظرة البنيوية فيها هي نظرة التنظيم؛ أمَّا المعاني فتدخل في إطار علم البيان.

"ومن الصحة صحة التشبيه، هو أن يقال أحد الشيئين مثل الآخر، في بعض المعاني والصفات، ولن يكون أحد الشيئين مثل الآخر، من جميع الوجوه، حتَّى لا يفعل شبهاً تغاير البتة، لأنَّ هذا لو جاز لكان أحد الشيئين هو الآخر بعينه وذلك محال، إنما الأحسن في التشبيه أن يكون أحد الشيئين يشبه الآخر في أكثر صفاته ومعانيه... والأصل في حسن التشبيه أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد الظاهر المحسوس المعتاد"[2].

١/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص٢٠.

٢/ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ط١، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٢م، ص٢٤٦.

هذا الأمر يتفق مع الوصفية في تحليلها للمفردة اللفظيـــة، عـــن طريـــق استخدام المعاني المعجمية؛ إلاَّ أن البنيوية ترك المعنى للوصف وتقوم هي بدراســـة الظاهر المحسوس ودراسة علاقاته الداخلية. ولا شأن لها بالغائب.

فتدرس الصوت وتركيبه في الكلمة ثم دراسة المفردة اللفظية وتركيبها في الجمل والنسق الرابط بينها، مثال كلمة (أُرسلت) تولف الأزواج الصوتية مـــن (أُرْسِلَتْ) [أ – رْ – سِ – لَ – تْ] المكون من حروف وعلامات ولا شأن لها إن كانت مبنية للمجهول أو دالة على التأنيث ودراستها في السياق والوصـــفية تضـــعها بغـــرض المبالغـــة في إيصـــال المعـــنى. وهـــذا مـــا يؤكـــده ابن سنان الخفاجي بقوله: "... الظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حســـن هـــذا، لأجل إيضاح المعنى، وبيان المراد، أو يمثل الشيء بما هو أعظم وأحسن، وأبلـــغ منه فيكون حسن ذلك لأجل الغلوّ والمبالغة"[١].

فدراسة العلاقات، لا بدَّ أن توجد الـــربط بـــين المفـــردات اللفظيـــة، والعلامات الإعرابية وتحديد دورها الوظيفي في عملية التركيـــب مـــن حيـــث الموقعية لا من حيث البحث في أواخر الكلمات.

أمَّا المقابلة اللُّغوية للكلمات فتكون في مقابلة سياقية في التشـــبيه. وهـــو استعمال لفظين يتضادان في أبعاد الدلالة وليسا بعيدين في الوضع اللُّغوي مثال: الفرح، والغضب، والحزن. ذلك شأن الوصفية لتسهيل المعنى في وصف التشبيه.

"... والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول؛ وتستغني فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والأذن"[٢].

١/ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ص٢٤٦.

٢/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص١٧.

وهذا ما يؤكد بأن التشبيه يعمد للإثارة في الخيال، ويأتي علـــى صـــورة المبالغة في إيضاح المعنى.

ونحس أن الخيال يضغط عليه العقل. لذا يولد ألفاظاً يعبر عنها الوصـــف بصورة المبالغة، ويدخل علم اللُّغة النفسي في ذلك الجانب. فتكـــون الألفـــاظ صوراً واهمة لغرض إيضاح المعنى. أمَّا الدراسة البنيوية فتبحث عـــن العلاقـــات الرابطة في النص بوصفها نموذجاً لغوياً ويعتبر دراسة ميدانية في مجـــال الـــدرس اللُّغوي؛ لا في مجال الوصف الخيالي للتشبيه.

"وأمَّا فائدة التشبيه في الكلام، فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنمـــا تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه"[١].

لا شك أن الوصفية قادرة في وصف المفردة اللفظية؛ لـــذلك فالقـــدرة التعبيرية في السياق تكون في إثبات الخيال في النفس. وذلك الانفصال القـــولي للألفاظ. ومن ثـــَمَّ الوصول إليه عن طريق استخدام الوصف الدقيق في اختيار المفردات الموجودة في اللُّغة إلى أقصى درجة الانفعال.

ويحتاج إلى وسائل أشد فعالية للاستجابة للمستويات الانفعاليـــة. وهنـــا يظهر دور النبر والتنغيم وقد لا يتورع الانفعال عن تعديل الأبنية الصوتية. حيث تختلط الحروف للتغلب على آلية واستثمار الطاقة النفسية في اختيار المفـــردات ووصفها. ذلك بما يعرف في البلاغة بالخروج عن مقتضى الظاهر والغرض منـــه إبراز المعنى بالصورة التي يريدها المتكلم. وذلك ما ترفضه البنيوية.

فالوصفية لها عدة وسائل لإبراز المعنى. ومنها أيضاً المجاز. "أمَّا المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي

١/ ابن الأثير، المثل السائر: تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر، ج٢، ص١١٣.

مجاز وإن شئت قلت كل كلمة جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى مـــا لَمْ توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"(١).

لا شك أن المجاز يعتمد على قوة التصوير في إبراز مدلول المعنى. فقـــوة التعبير تتجلى بتواطؤ العاطفة لها. فتظهر في مجال الـــدرس اللُّغـــوي المقـــام، أو الدراسة الاجتماعية للحالة التي قيل فيها النص(٢).

فالوصفية تصف لنا الحال. والبنيوية تربط ذلك الوصف بالمقام وتبحـــث في العلاقات المتداخلة في النص.

وعكس المجاز الحقيقة ويعرفها يحي العلوي اليمني بقوله: "اعلم أن الحقيقة اللغوية، لا يقضى بكونها حقيقة فيما دلت عليه إلاَّ إذا كانـــت مســـتعملة في موضوعها الأصلي فلا بد من سبق وضعها أولاً، فإذا استعملت في الحالة الثانية من وضعها في موضعها الأصلي فهي حقيقة، وإن كانت مســـتعملة في خلافـــه فهي مجاز"(٣).

ونفهم من ذلك أنَّ الوصفية تصف لنا المجاز –وهو الذي يتجاوز المصطلح العلمي للمعنى– إلى معنى يثير في النفس الإعجاب.

هذا يدخل في دائرة دراسة المقام ووصفه. كما تؤدي لنـــا الوصـــفية أنَّ غايته وصف المفردات في شكلها الداخلي في العلاقات ووصـــفها في شـــكلها الخارجي للمعنى.

١/ يُنظر، الخطيب القزويني، الإيضاح: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢٧٢.

٢/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص١٩٧.

٣/ يحيى حمزة اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: البـــابي الحلـــبي، د.ت، ج١، ص٨.

وتأخذ بها البنيوية في وصفها الداخلي للعلاقات، فالمجاز اللُّغوي وسيلة من وسائل الوصفية لإبراز المعنى، فهو يتجاوب مع وصف اللُّغة.

فالوصفية تقوم بدور بارز في وصف العبارة حتَّى يتم الانسجام بين المفردات وانفعالات المخاطب.

"للعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول، ومأخذه معها الاستعارة والكناية التقديم والتأخير والحذف... والعقد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص"(١).

ونفهم من ذلك النص ظهور السياق التركيبي مع الأخذ بعلاقات المفردات والربط من حيث التقديم والتأخير في الوصف التركيبي.

"المجاز المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما يستعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة؛ لأنَّ من شأنها أن تصدر عن الحاجة، ومنها تصل إلى المقصود بها ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولى لها، فلا يقال: اتسعت اليد في البلد، أو أفنت يداً. كما يقال: اتسعت النعمة في البلد، أو: اقتنيت نعمة، إنما يقال: جلت يده عندي، وكثرت أياديه لديَّ"(٢).

نجد المفردة اللفظية (يد) تستمد دلالتها من الدلالة المعنوية الناشئة عن اجتماع الحال الوصفية والمقامية فتكون الكلمة معبرة وصورة للحالة الوصفية في السياق التي يريدها المتكلم وفي نقلها من الحقيقة إلى المجاز. فالتعبير هنا تعبيرٌ

١/ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن: تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة القاهرة، ١٩٥٤م، ص١٥.

٢/ الخطيب القزويني، الإيضاح: تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٣١١.

مصورٌ إذ يعطي صورة وصفية ذهنية أو ليست بصورة واقعية شـــكلية. إلاَّ أنَّ العلاقة بين الحال والكلمة حددت المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي.

وكذلك كل علم البيان يوضح لنا استبدال الوصف على النصوص عـــن طريق العرض الشكلي البنيوي، ولكن وجود العلاقة ترسم الحدود بين الكلمات ودلالات الحقيقة والمجاز في فهم الوصف.

"واعلم أن المجاز على ضربين مجاز من طريق اللُّغة، ومجاز من طريق المعنى والمعقول، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة، كقولنا: اليد مجاز في النعمة والأسد مجاز في الإنسان، وكل ما ليس بالسبع المعروف كان حكيماً أجريناه على مجرى عليه من طريق اللُّغة، لأنا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقت له ابتداء في اللُّغة وأوقعها على غير ذلك إمَّا تشبيهاً وإما لصلة وملابسة بـــين مـــا نقلها عنها"(١).

ونفهم من ذلك أن المعنى في العبارة لا يأتي إلاَّ بعد أوصـــاف متعـــددة ونظرات متباينة وهذا ما يقودنا إلى أنَّ الوصفية تنظر إلى العبارة باعتبار الجزء في التركيب العام ووصف المفردة اللفظية من خلال الخيال الوصفي لا يكون وصفاً كاملاً إلاَّ بعلاقة هذا الوصف بالسياق التي هي فيه.

"فإذا الكلام قد جمع العذوبة، والجزالة، والسهولة، الرصانة، مع السلاسة والنصاعة، واشتمل على الرونق والطلاوة، وسلم من حيف التأليف، وبعد عـــن سماجة التركيب، وورد على الفهم الثاقب قبله، وعلى السمع المصيب استوعبه ولَمْ يمجه"(٢).

١/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: تحقيق سعيد محمد اللحـــام، دار الفكـــر العـــربي، ١٩٩٩م، ص٢٧٧-٢٧٨.

٢/ أبو هلال العسكري، الصناعتين: ص٦٣.

فالوصف هنا يجري في إبراز المعنى وذلك في وصف صـياغة التركيب وتظهر العلاقة في قوة السبك أي نظم المفردات في السياق فلا عيب في فساد الذوق، لا شطط الذهن. فذلك شرف المعنى وسلامة تركيب مفرده، وهذا ما تسعى إليه البلاغة العربية قديماً، وقد سار البلاغيون في طريق واحد والمتأخرون يقلدون المتقدمين؛ وأكثر الفرق لأعمالهم الأدبية طيلة الفترة الزمنية.

فالشيء الجميل لا ينفصل له في البداية عند النظرة الأولى. فالعبارة أسبق إلى النفس، من التفضل، إذ الرؤية تصل إلى النفس عن طريق الوصف أولاً ثم التفصيل ثانياً.

يعني عرض الوصف للأجزاء. وهي دراسة مكونات المفردات دراسة وصفية ولعل الغرض من ذلك إيصال صورة الجمال للمفردة اللفظية. وهذا يتفق مع المفهوم الجمالي عند محمد متولي الشعراوي[1]. وهو التناسق بين المقدمات والمتأخرات.

في تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ الإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِى الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[2].

"في البدء كان الله الذي علم الإنسان وبعد أن خلقه -القرآن- تعلم الإنسان البيان الواضح في الحق تبارك وتعالى. تعلم الإنسان من الظواهر التي

١/ محمد متولي الشعراوي هو: عالِم مصري ومفكر إسلامي، له إسهامات كثيرة في مجال تفسير القرآن الكريم، وقد زار السودان وقدَّم عدة محاضرات.

٢/ سورة الرحمن: الآيات (١-٩).

خلقها الله: الشمس تسير بنظام، والقمر بحسبان، والنجم يسجد لله، كل ذلك يجري بنظام عادل، وعلينا أن نفهم نحن البشر أنَّ التفسير ميزان العدل في الأرض"[1].

الوصفية هنا –تتميز بخاصية الخصوص– في عذوبة النص وذوقه الرفيع ونلمح في السياق الأثر البنيوي في تركيب المفردات، وربطها بمفهوم العلاقة بين الخلق والتعليم.

إن هذا النص أقوى النصوص في تمكين الوصفية في أدائها الكامل. فنجد كل مفردة مستقلة بذاتها في الوصف ولكنها مرتبطة مع المفردات الأخرى في التحليل التركيبي.

والوصف والتركيب أصبح الارتباط بينهما ارتباطاً عضوياً لا يقبل الانفصال إذا كان المعنى هو النبع الأعظم للتعبير النفسي.

للوصفية وضعها الخاص في وصف المفردات التي ترتبط بالنفس البشرية والكون.

الوصف يحسن الإجادة في اختيار المفردة اللفظية وتهذيبها وقد تحمل الكلمة الواحدة أحياناً ألواناً من المعاني، تقوم مقام القصة لكنها لا تحمل الطاقات الدالة للمعنى الحقيقي إلاَّ من خلال دراسة التركيب. وتلك هي دراسة البنيوية من خلال الدرس اللُّغوي للوصف.

"اللُّغة الواصفة هي اللُّغة التي نستخدمها في وصف لغة أخرى مدروسة وقد تستخدم اللُّغة العربية لوصف اللُّغة الإنجليزية والتعليق عليها، بمعنى أن تكون

١/ منير عامر، الأعمال الكاملة للشيخ الشعراوي من فيض الرحمن في تربية الإنسان: مطبعة روز اليوسف، (د. ت)، ج٢، ص١٦٢.

العربية هي اللُّغة الواصفة وتكون الإنجليزية المدروسة ويلجأ علماء اللُّغة إلى مثل هذا حين يريدون أن تكون لغة الكتابة مزدوجة، فهُم يستخدمون لغة عازلة لوصف لغة أخرى"[١].

يعني ذلك أنَّ الوصفية هي التي تصف المفردات في السياق من حيث ترتيبها؛ مع بيان خصائصها النحوية في النظم؛ والتي تؤثر في تطبيق القواعد الأساسية للتركيب مثل: الذكر، الحذف، التقديم، التأخير.

وبذا تكون القواعد الصرفية الصوتية (المورفيمية، الفونيمية) هي التي تخضع الكلمات الواردة في التراكيب الظاهرية في شكلها الكتابي. ويرى الباحث أنَّ التعبير الوصفي يتسم بالإبداع الفني والمظهر الجمالي الذي يؤديه الوصف في مهمته الحيوية.

"إنَّ الكلمات ليس لها معنى، وإنما لها استعمالات فحسب، أي أنَّ معنى كلمة ما، ليس سوى حصيلة استخداماتها المتعددة وطبقاً لهذا فإنَّ معنى الكلمة في الجملة القولية يتحدد بعلاقاتها بغيرها في السلسلة؛ وليس لها معنى خارج القياس فلو أخذنا في اعتبارنا مثلاً المعاني أو الدلالات المتعددة التي تنسبها المعاجم اللُّغوية لكلمة (ضرب) في العقاب البدني إلى إطلاق المثل والعزف على الآلة الموسيقية وجدنا أنَّ ما يحدد هذه المعاني ليس هو الفاعل عادةً وإنما المفعول به"[٢].

ونفهم من هذا النص أن الوصفية تصف لنا مجموعة من المفردات اللفظية عن طريق الاستقراء. وعلى القارئ أو الدارس دراسة النص من حيث التركيب السياقي مع دراسة العلاقات. المفعول به هو دائماً محور الدرس اللُّغوي قديماً

١/ محمد علي الخولي، دراسات لغوية، ط١، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢م، ص٣٣.

٢/ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط١، دار الشروق، ١٩٨٩م، ص١٠٦.

وحديثاً، قديماً هو المكمل للجملة وإفادة المعنى التام، حديثاً هو محور التحليل التركيبي للبنيوية (علماً بأن القدماء لا يفرقون بين اللُّغة والنَّحو).

فبدراسة المفردة اللفظية بعيداً عن السياق سرعان ما تقع مزالق الأشكال المجازية ولكن بالرجوع إلى السياق تظهر المعاني.

نجد في بعض التراكيب مقصداً من الجمال الوصفي، في التقديم والتأخير وهو مظهر من مظاهر الإعجاز اللُّغوي التركيبي. ومدى أهمية الربط بين الكلمات في نسق لغوي جميل: مثال قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾[1].

إنَّ تقديم المفعول على الفاعل، تركيب يجري في العربية، ومشمول في نحوها ومرتبط في قواعد نظم الكلام.

الوصفية من حيث طبيعتها تحوي الناحية التطبيقية التي تكون واضحة في الملاءمة بين الكلام والمستمع والقارئ والقدرة على التعبير والتصوير في المظهر المكتوب.

الوصفية تدرس الكلمة والصورة والجملة والعبارة؛ فنجد فيها شيئاً من التفاصيل -وهذا أمر يهتم بشأن الكلام وليس اللُّغة- علماً بأن الكلام هو مادة اللُّغة.

أمَّا الوصفية فتدرس الكلام باعتبار الوصف قاصدة به وجه المعنى في الجملة "... إلى الجملة من حيث نوع الإسناد، فإننا نلاحظ من أنواعها: الجملة الحقيقة والجملة المجازية... وهذان النوعان من التعبير: الحقيقي والمجازي يدرسان في علم البيان. فعلم البيان تصويراً للانفعال وعناصره المعنوية، ويحمل أن تكون

١/ سورة القمر: الآية (٤١).

العلاقة بين ركنيها، أي المسند إليه والمسند، علاقة شبيهة أو غير شبيهة، ومن صور العلاقة التشبيهية بكل أنواعها، الاستعارة بكل أنواعها ومن المجاز المرسل والكناية"[(١)].

ويلاحظ من ذلك أنَّ المجاز العقلي يتجه إلى بيان المعنى وإظهاره وهو بذلك يشبه المحسنات المعنوية من طباق، ومقابلة، وتورية، وحسن تعليل، وأسلوب الحكيم. وهذا قد يكون وصفاً معنوياً.

أمَّا المجاز اللُّغوي فيساعد على سد الفجوة بين المعنى المعجمي الذي يكون في القاموس والمعنى الذي يراد من السامع أن يفهمه بطرق مختلفة، في وضوح الدلالة.

فالمجاز المقصود به وصف العبارة على اعتبار القوة التأثيرية في النفس فالوصفية تصف ذلك عن طريق الخيال أو عن طريق المبالغة.

وتدخل الوصفية على أساس المفاضلة في الكلام لبيان المعنى المثير لا المعنى العقلي الخام، وخضوع اللفظ في ترتيبه الخارجي لترتيب الصورة المعنوية في النفس، ودلالة العبارة للمعنى.

وهنا يظهر الجانب الوصفي الأكثر مبالغة. كما أن التركيب موجود في الألفاظ على كل حال. ولا سبيل إلى فهم ترتيب المعاني في النفس ما لَمْ تنظم الألفاظ باعتبار أنَّ الألفاظ أوعية المعاني، وتنظيم الألفاظ بالوصف والتركيب. وتلك هي سمة الدرس البنيوي.

١/ د. فكتور كل، وسعد أحمد علي، صناعة الكتابة: ط٤، دار السؤال، دمشق، ١٩٨١م، ص٢١٥-٢١٦.

"في الأسئلة الوصفية -تستطيع أن تصطنع- جميع أساليب الاستدلال والتحليل كي نصل إلى حكم... ويعمل العقل في الإبداع... وهكذا يكون عمل الناقد منهجاً إلى ماهية الأدب، أو وظيفته، أو قيمته، أو قد يكون وصفياً نفسياً أو تذوقياً وكل هذه الاتجاهات له ضرورة"[1].

هنا تبدو لنا الدراسة المشتركة المتكاملة للوصف تتناول الجانب النفسي واللغوي. والتذوق شيءٌ وجداني، يحتاج إلى معاناة في إيجاده لوصف يجمع بين المشاعر الداخلية والعواطف الجاذبة، من حيث ترتيب المفردات ووضعها في السياق.

"الواقع أنَّ كثيراً من عناصر المنهج الوصفي، وأصوله كانت متوافرة في عمل نحاة العربية وتفكيرهم خصوصاً في المراحل الأولى من وضع النحو العربي حتَّى سيبويه، فعمل أبي الأسود الدؤلي في ضبط النص القرآني كان عملاً وصفياً خالصاً لأنه يقوم على الملاحظة الحية المباشرة"[2].

ونفهم من ذلك أنَّ الدراسة الوصفية قد عرفت من قبل، وكانت تتولى إجراءات لشرح النص اللُّغوي. فكلمة (الملاحظة الحسية) تعني العلاقات بين المفردات في الوصف، ولا تكون إلاَّ إن كانت شبكة من المعلومات. كانت الدراسة تقوم على محاولة استجلاء الشكل الداخلي بشيء من العسر والصعوبة، وذلك الوصف الذي يعتمد على الخيال المركب المشحون بالعاطفة والأفكار، دون النظرة إلى السياق.

١/ د. عثمان موافي، منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الأدبي: ط١، جامعة الإسكندرية، ص١٩.

٢/ حلمي خليل، العربية وعلم اللُّغة البنيوي: ص١٨٨.

أمَّا الدراسات اللُّغوية الحديثة فقد حددت التغير في التعامل معها لإيجاد المعنى عن طريق دراسة العلاقات بين الكلمات، فوصف الصوت مثلاً تغيير شبكة في شبكة القواعد النحوية.

"المهم أنَّ التحليل الفونولوجي إنما يهدف أولاً وقبل كل شيء إلى الكشف عن نسق العلاقات التي تنطوي على وظيفة داخل التنظيم اللُّغوي لأي (دال) على اعتبار أنَّ لكل (فونيم) مركباً من السمات الخاصة التي تميزه من غير الفونيمات... ثم يجيء بعد ذلك دراسة التنظيم الباطني"(1).

ونفهم من ذلك أن الغاية من وصف المفردات داخل السياق يعني معرفة خواص تراكيب الكلام ومعرفة صياغات المعاني ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها.

وهكذا تنتظم مستويات التحليل في مفهوم البنيوية، لوضع الوصفية في منهجية متماسكة، قوامها الثلاثية الأصلية، التي يتحقق فيها الدرس اللُّغوي هي: الصوتي والصَّرفي والنحوي.

وإن المعالجة الصَّرفية لا تتم إلاَّ بوصف مقدمة صوتية، وكذا نحوية إلاَّ بوصفية صرفية ولا تكون دلالية إلاَّ بوصفية نحوية. مثال قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾(2). جميل وقعت صفة أي وصف للخبر، والتقدير: أمري صبر جميل. وحذف المبتدأ لَمْ يحدث بسبب الحذف في الحكم الإعرابي للوصف.

فالنحو العربي رغم اهتمامه بإعراب الاسم وقد اتجه منذ القدم في البحث

1/ د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية- أضواء على البنيوية: ص65.

2/ سورة يوسف: الآية (18).

عن قمة الحرف الدلالية النحوية، ويظهر ذلك في وصفه لحروف الجر: الزائد والشبيه بالزائد.

مثال: (ما زارنا من وزير ولا معتمد). ومن حرف جار زائد جيء به لتأكيد معنى في الدلالة.

وذلك لعلاقة (ما) النافية ووجود الجر (من) في تركيب الجملة فالوصف هنا لتأكيد نفي الزيارة لكل منهما.

ويفهم من أن التركيب اللُّغوي هو الذي يحدد موقع الكلمة وتطابقها وأنَّ حرف الجر جاء لتأكيد معنى وليس بـ(زائد)، بل هو من صميم التركيب اللُّغوي للعبارة ويدخل في ذلك تنوين أسماء الأصوات (صهٍ ومهٍ) وكذلك أسماء الأفعال ويصير التنوين صوت تركيب مثال (النبر) والتنغيم.

"والمعاني الموجبة للإعراب إنما تحدث في الاسم عند تركيبه مع العامل فالتركيب شرط حصول موجب الإعراب فلهذا المركب أي الاسم الذي فيه سبب الإعراب"(١).

فمِمَّا تجدر الإشارة إليه أن المعاني الإعرابية لا تعيش منفردة منعزلة في نظام اللُّغة، ولكنها تندرج تحت التركيب فنجد قطب الرحى هنا الاسم. وبالتالي له الدلالة المعنوية والحسية، ومنه تبدأ العلاقات وعلاقتها الترابطية في السياق؛ من حيث وصف السياق من حيث الحضور والغيبة وهنا تختلف المعايير اللغوية في طريقة الوصف للمخاطب والمتكلم أو الغائب وهنا تختلف المعايير اللُّغوية في طريقة الوصف.

١/ يُنظر، أبي الحاجب، كتاب الكافية في النحو: تحقيق عبد العال سالم مكرم، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٤١.

يبدو أن متجه الوصفية كان يسير على خط سير مع خط النحاة لكنه باعتبار رؤيا القيمة الجمالية والأداء الفني الذي يخدم المعنى والكيفية التي يكون عليها الكلام مطابقاً لمقتضى الحال.

هذا التوجيه الوصفي يؤدي بالضرورة إلى إخضاع النص لدرجات من المبالغة.

إن العناية باللُّغة أساس لفهم المعنى، والعناية تكون في نظم وتركيب كلماتها والإحاطة بالعلاقات التي تربطها في السياق.

"إن هناك نوعين من عدم التناسب طبقاً للعلاقة بين المعاني؛ فهناك تناسب أو انحراف أولي عندما يمس عنصراً من العناصر الداخلة في تركيب المعنى فحسب، وهناك عدم تناسب وانحراف أشد عندما يتصل بشيء خارج عن تركيب المعنى نفسه"(١).

ونفهم من هذا النص أن الوصفية وحدها غير كافية لأداء المعنى بل تحمل رموز المعنى من خلال النص.

أمَّا ما يعرف بالتركيب الداخلي فيعني البنيوية النصية لتحليل النص خلال التراكيب؛ وإن الشكل الخارجي هو الأسلوب الوصفي للمعاني.

"هناك ما يسمى الوصف مع التفسير... ويريد به ذلك الكلام الذي يقتضي حالات موضوع بعينه يتناول جميع أجزائه وصوره وتعرب قوله"(٢). ونفهم من ذلك أنَّ الوظائف النحوية يتم الاتساع في وصفها ونقدها.

١/ د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص٢٥٠.

٢/ عبد الرءوف مخلوف، الباقلاني وإعجاز القرآن: مطبعة الحياة، بيروت، ١٩٧٨م، ص٢٥٣.

يعتبر المكون التركيـــبي لوحدة لغوية ما، وصفاً للوحدة الأخرى.

مثال: إحلال المفعول به محل الفاعل مع التعبير الصوتي للفعل أو وصـــف الاسم بالجملة الفعلية مثال: (هذا رجلٌ يكرم ضيفه).

عند إحلال المفعول به محل الفاعل ينشأ التمايز بين الوصفية والبنيوية، إذ إنَّ البنيوية تسعى إلى إثبات ضرورة المكونات التركيبية وربط علاقاتها بعضـــها ببعض.

أمَّا الوصفية فتسعى لوصف المفردات منعزلة عن بعضها بعض.

مثال: ما قام إلاَّ زيدٌ.

هنا استثناء سالب، أي دخلت عليه أداة النفي، فالمستثنى يجب فيه الرفع، فالاستثناء هنا مفرغ.

فالعلاقة الإعرابية هنا في حالة الرفع تصف لنا الجملة منفية خاليـــة مـــن وجود إثبات تستحق الرفع.

أمَّا الدراسة البنيوية فتربط بين أداة النفي وأداة الاستثناء (مـــا، إلاَّ) مـــن ناحية وبين الفعل والفاعل من ناحية أخرى فتلك هي دراسة العلاقات المتداخلة في الدرس البنيوي.

في أسباب وضوح المعنى وخفة اللفظ وتشكل الصوت وسهولة مخرجـــه وقوة جرسه واتحاده. في انسجام تام مع الأصوات الأخرى. بحيـــث تناســـب سهولة الوصف.

ينبغي أن تعتمد الوصفية في وصفها للسياق على وصف التراكيب أولاً ثم وصف المفردات ثانياً.

الوصفية والأسلوب:

لا شك أن الأسلوب[1]: هو الطريقة التي يعبر بها الفرد الإنساني عن إحساسه ومشاعره التي تنقل هذه الأحاسيس والمشاعر للقارئ في شكل ألفاظ.

فالأسلوب طريقة وصف الألفاظ في التركيب اللُّغوي، وبالتالي يرتبط ببنية الكلمة ونظمها.

"ولا ريب أن أي غفلة في فهم أحوال المباني يذهب لا محالة بأحوال الصور والخواطر ويهلكها هلاك الموءودة التي تُقتل بلا ذنب إلاَّ غفلة الباحث، ولهذا نقول إن الخصوبات الأسلوبية أو التركيبية، أن ينظر إليها نظرة واعية حتَّى لا يعتدل عن خواطر النفس وحركة العقل، وحتَّى نقول في فهم ووعي أن الخصوصيات الأسلوبية هي خصوصيات عقلية لغوية، وفكرية وروحية وكل ذلك معاً"[2].

وهنا يظهر لنا الأسلوب بأنه مظهر القول الذي ينجم عنه الوصف في اختيار وسائل التعبير وهذه الوسائل التي تحدد طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم أو الكاتب، وطبيعة الكاتب تمثل في الاختبار العفوي الشعوري في وصف المشاعر والوجدان.

فإن كان الأسلوب هو استخدام الوصف في التعبير؛ فإن بوسعنا أن نفهم درجات متفاوتة في السعة والشمول الذي يتضمَّن النص من حيث:

أ/ الأبنية النحوية من صوتية وصرفية ومعجمية وتركيبية.

١/ يُنظر، أحمد الشايب، الأسلوب: ط٨، نهضة مصر، ١٩٩٣م، ص٤١.

٢/ محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، مطبعة هبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م، ص٨-٩.

ب/ إجراءات التركيب من صيغ نثرية وأجناس أدبية[1] ووصفها وصفاً دقيقاً مع مراعاة المصدر الحسي والنفسي للتعبير، فتكون أساليب أو غيرها في الوصف البنيوي اللُّغوي.

"على أنَّ فكرة الأسلوب نفسها تعترض الاعتراف المبدئي بالتقابل والتساوي بين الأساليب المختلفة بالنسبة لمحتوى معبر عنه؛ فعندما يتحدث عن أساليب مختلفة نسلم ضمناً بأنَّ من الممكن أن نجد المعنى في أكثر من أسلوب"[2].

ونفهم من ذلك أنَّ الوصف الأسلوبي هو عبارة عن محصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللُّغة القابلة للتبادل؛ فالأسلوب يولد طبقاً لذلك. وإنَّ النظام اللُّغوي يتيح للمتكلم فرصاً عديدة، وإمكانات مختلفة للتعبير البنيوي، وذلك يجعل الأسلوب قابلاً للتحليل.

وإذا كان علم اللُّغة الحديث يقوم بالدراسة اللُّغوية كاملة فإنه يضع في الاعتبار دراسة علم الأسلوب. وعلم الأسلوب هو علم وصفي إلاَّ أنَّ وصفيته تصير (معيارية) العرض تضع القواعد للدرس اللُّغوي.

وهي دراسة النص على مستوياته الثلاثة[3]: (التركيب، والدلالة، والصوت) أي إنه يدرس النص على مستوياته التعبيرية كافة من أدناها وأوسطها إلى أبعدها وأعقدها وهو يدرس دلالات الكلمات والجمل، طريقة تركيبها،

١/ الأجناس الأدبية: هي القصة، والرواية، والمقالة، والمسرحية، والخاطرة، الأقصوصة.

٢/ يُنظر، رجاء العصفور، مجلة العربي: شهر ديسمبر ١٩٧٧م، ص١٠٥؛ عنوان المقال الأسلوب والتعبير.

٣/ يُنظر، د. فتح الله أحمد سليمان، الأسلوب والأسلوبية، ط١، الدار الفنية، بيروت،= =١٩٩٠م، ص١٤.

كما يدرس المعنى لكل نص.

فالدراسة البنيوية تعني دراسة تركيب الأسلوب وذلك ما ظهر حديثاً في دراسة البنيوية للدراسات النقدية والنصوص الشعرية كما أن ثمة خلافاً بين الاتجاهين: البنيوية والأسلوبية.

"**البنيوية:** قد تعرج -حين تتناول نصاً ما بالدراسة- على بعض الموروثات الاجتماعية أو القضايا الفلسفية أو المشكلات النفسية أو الإشارات التاريخية أو غير ذلك مِمَّا يثبت من ثنايا النص اللُّغوي.

أمَّا **الأسلوبية** فتنأى بنفسها عن دراسة الموروثات كلها إلاَّ الجيد منها إذ تخرج من مجال بحثها كل ما يتصل بالنص إلى قضايا غير لغوية أحياناً وتعرضه عملاً لغوياً سعياً إلى وصفه وصفاً علمياً"(١).

إنَّ اللُّغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال، على الرغم من أن تقدمها وتطورها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحايين.

فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية ووضع الكلمات ومعانيها معرضة للتطور في إطار دائرة الوصف اللُّغوي.

فالتحليل الأسلوبي قد يكون مسبوقاً بتحليلات عقائدية أو نفسية أو فكرية أو اجتماعية. فتأتي التحليلات الأسلوبية عن طريق الإثبات الزائف تارة وليس لي إعناق النصوص والعبارات عن طريق المبالغة، والألفاظ تأتي عن طريق التركيب في الوصف الدقيق لإثبات المعنى كما يظهر ذلك في الاستعارة،

١/ السلافية، عنوان المقال: (الإرث المنهجي للسلافية)، مجلة الثقافة الأجنبية: ترجمة وتقديم أحمد المدني، العدد الأول، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٢م.

والكناية.

وعليه فإن تحديد الأسلوب اللُّغوي يتعامل مع اللُّغة على أساس إنها ذات مستويين:

الأول: ساكن ويتمثل في وجودها قبل خروجها إلى حقل الاستعمال الخارجي (وجود الألفاظ، الجمل، مفردة).

الثاني: متحرك وهو استعمال الأول في التركيب ثم وصفه مع مراعاة المؤثرات الخارجية، في التركيب الداخلي ويدخل في المؤثرات[1] الخارجية: الحالة النفسية، والمقام، والبيئة المعيارية التعليمية.

ويظهر لنا الأثر النفسي في إدراك السامع للنص. فهنا النص يخاطب الوجدان والحس ويثير في النفس قوة الانتباه للوصف الخارجي بما يدور في مخيلته.

"التصور بالمعنى: هو مرور الفكر بالصورة الطبيعية التي سبق أن شاهدها الفرد وانفعل بها، ثم اختزنها في مخيلته مروراً بتصنيفها"[2].

الوصف الذي يرسم للمعنى صورة لا يخاطب الذهن وحده إنما يخاطب معه الحس والوجدان، يثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس. وهذا ما تذهب إليه الوصفية لربط المعنى باللفظ، ومفهوم دور التصديق وعدمه في إدراك المعنى ويظهر لنا جلياً في دراسة تركيب النص اللُّغوي ونظمه البنيوي.

١/ يُنظر، فتح الله أحمد سلمان، الأسلوب والأسلوبية: م الدار الفنية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٣٦.

٢/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ط١، مطبعة حطين، الأردن، ١٩٨٣م، ص٧٤.

"استطاع عبد القاهر الجرجاني ببراعة وبذوق أصيل أن يكشف عن الفرق بين الاستعارة في كل من قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[1]. واشتعل الشيب في الرأس، فمع توافر الاستعارة في كل كلمة من الكلمات الثلاث فإن لها في كل كلمة وظيفة ودلالة وتأثيراً تختلف عن الأخرى... سوف تنتهي إلى حقيقة لا سبيل إلى الشك فيها، وهي: أنَّ الفن في الفكرة لا في المعنى الأخلاقي الفلسفي ولا في المضمون بعامة مهما تكن قمة هذا الموضوع، وإنما الفن في تطويع الشكل للمضمون والمضمون للشكل، في إخضاع التجربة للصورة اللفظية"[2].

ويقول الجرجاني: "أن اشتعل للشيب، وإن كان هو للرأس في اللفظ كما أن طاب (للنفس) و(قر) للعين ونصب للعرق، وإن أسند إلى ما أسند إليه"[3].

نجد في الآية الكريمة وصفاً محكماً في صيغة الدلالة عن كلمة (شيباً) وهي: تميزٌ مبينٌ للفاعل: ويحدد لنا الوصف الفعل المضارع المبدوء بالهمزة، الزمان، فالهمزة المضارعة تستخدم للتعبير عن المتكلم، فالتركيب هنا للوصف يجعل الرأس هو المتكلم، كأنما أصبح الفاعل وصفاً للعامل: (كما تنعت النكرة بالفعل) مع تأكيد صفة الوصف.

١/ سورة مريم: الآية (٤).

٢/ محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي القديم والحديث، ط١، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٦٣.

٣/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ط٣، تحقيق محمود محمد شاكر، م المدني، مصر، ١٩٩٢م، ص١٠٠.

كلمة (شيباً) كما يصفها سيد قطب[1]: نجد فيها أن النبر[2] الصوتي قد دفع العبارة إلى قوة التأكيد بعكس كلمة اشتعل شيب الرأس، فتلك عبارة لها وصف مغاير للعبارة الأولى. كما أن العبارة الأولى لها تركيب يربط العلاقة بين الفعل اشتعل والنبر شيباً بل جعلت الاسم الجامد الاسم منعوتاً بأثر الفعل على الاسم المشتق ويؤكد لنا الإمام المرحوم سيد قطب "رحم الله عبد القاهر. لقد كان النبع منه ضربه فعول، لَمْ يضربها في الجمال الفني في الآية ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ هو في ذلك ما له من ناحية التنظيم في شيء آخر وراءه وهو هذه الحركة السريعة، في استعمال الرأس التي تناولت الرأس في لحظة حركة تشترك فيها المخيلة والنظر، متلمس الحس وتثير الخيال، هنا حركة ممنوحة للشيب وليست في الحقيقة، وهذه الحركة هي عنصر الجمال الصحيح"[3]. ويظهر لنا وصف نسيج الصياغ، في بناء المفردات وعلاقاتها بالنظم؛ الصفة التي يكتب بها اللفظ هي صفة مرحلية مؤقتة والمعاني ثابتة محدودة، والمعول عليه هو النظم لإبراز المعاني.

"واعلم أن اللفظة المستعار لا تخلو من أن تكون اسماً أو فعلاً، فإذا كانت اسماً كان اسم جنس أو صفة، فإذا كان اسم جنس فإنك تراه في أكثر الأحوال التي تنقل فيها محتملاً متكفئاً بين أن يكون للأصل وبين أن يكون للفرع الذي من شأنه أن ينتقل إليه"[4].

١/ سيد قطب هو: مفكر إسلامي وناقد عربي معاصر، له إسهامات كبيرة في مجال الدراسات الأدبية والنقدية، وله عدة مؤلفات منها: تفسير ظلال القرآن.

٢/ سيد قطب، التصوير الفني: في القرآن، مطبعة القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٩٤.

٣/ النبر: هو الضغط على الحرف، ويكون في الكلمة.

٤/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص١٣٥.

ونجد عبد القاهر الجرجاني يلح لإدراك المعنى من خلال نظمه وهذا ما يوضح لنا أن قمة المعنى تقوى في قوة نظمه ووصفه لذلك النظم.

فالدراسة الوصفية تنبع من تركيب المفردات في بنيتها اللُّغوية وتظهر المعاني من خلال المادة اللُّغوية وهي الكلام، ووصفها للمفردة اللفظية بقصد الانتباه إليها.

"يتبع الكلام ترتيباً خطياً، ففي جملةٍ ما نضع بعض الكلمات قبل أخرى بما أن فعل الكلام يرتبط بالزمن والزمن يدرك استعارياً من خلال وصف مفردات اللُّغة بصورة طبيعية استعارية"(١).

لا شك أن النص اللُّغوي يحتاج إلى أمور شتى، تأخذ به منها المقام وهو المحور الاجتماعي للدلالة.

فالاستعارة تكون صورة وصفية ذات معنً يحدده المقام في نوعية السياق في المعنى الدلالي وليس المعنى المعجمي للمفردة اللفظية.

فالدلالة شيء، والمعنى شيء آخر. ما يحدث في الاشتقاق الكبير وتقلباته دليل على ذلك، فنجد في الكلمة اتحاد الدلالة واختلاف المعنى. وذلك يرجع إلى وصف تركيب المفردة اللفظية في الدرس البنيوي.

"... إنَّ الاستعارة من أبلغ الألوان البلاغية وأروعها وإنَّ بلاغتها إنما ترجع إلى حسن تصويرها وانتقاء ألفاظها وإيجازها وقطبها الذي تدور عليه، ولا عجب، فقد سئل إمام البلاغة ورائدها الإمام علي عن البلاغة فقال الإيجاز"(٢).

١/ جورج لايكون، ومازن جون، الاستعارة: ترجمة عبد المجيد جحفة، ط١، دار تويفال، الدار البيضاء، ١٩٩٠م، ص١٣٣.

٢/ د. محمود السيد مجدي، الاستعارة شأنها وتطورها: ط٣، مطبعة الكليات الأزهرية،

فالبلاغة هنا يقصد بها كامل المعنى، مع جودة النظم -وتصويرها يقصد بها وصفها وصفاً كاملاً متكاملاً في اللفظ والبنية- الوصفية الاستعارية التي تعتمد على مراعاة المقام والتأثير النفسي، والكلمة تعتمد على إشعاع المعاني في وصف السياق في تركيبه.

والذي حدث قديماً وحديثاً أن العلماء لَمْ يكشفوا الحقائق وحدها، بل قدموا لها ما استطاعوا -وسائل التعبير عنها- من المفردات اللفظية. فظهرت الاستعارة، والكناية، قديماً، وظهر التركيب والوصف الاستقرائي والحالة الاجتماعية حديثاً.

ولا بدَّ أن تعرف أنَّ أقدار المعاني في توازن مع أقدار الحالات، فتجعل لكل طبقة كلامها ووصفها الخاص بها، فالوصفية تصف الحالات، وتستخدم الألفاظ لها في إبراز صورة المعنى. والصورة تستعمل عادةً للدلالة على كل حالة صلة بالتعبير الحسي. وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات (الصورة هي الاستعارة) فالاستعارة تمثل الصورة البيانية في السياق الدلالي في وصف المعنى وربطه بالذهن "الصورة البيانية لا تدخل في جميع الدلالات، بل تقتصر على الدلالات العقلية"[1].

ولعل لهذا النص في فهمه للتصور حدوداً لا يتجاوزها، وأن الصورة التشبيهية ليس المقصود بها مبالغات للوصف الذهني. مثل زيادة الصفة في المشبه به، بل إنَّ المطلوب أن تتعانق الصورة، وأجزاؤها مع السياق العام؛ الذي يولد علاقة الرمز الذهني إلى المتلقي تجاه تفجير الطاقات الفنية (الجمالية) للإثارة.

١٩٨٤م، ص١٠٩-١١٠.

١/ حنفي محمد شرف، الصور البيانية بين النظرية والتطبيق، ط١، مطبعة النهضة، مصر، ١٩٦٥م، ص٤٥.

ميزة التشبيه الوصفي لا يكتسب أهمية من طرفي التشبيه بقدر ما يستمد قمته من الموقف الذي يدل عليه السياق ويستدعيه الحس الشعوري المنبت خلال الموقف التعبيري. وتلك هي القراءة البنيوية لدراسة النص الوصفي.

ووصف صورة (الغوغاء[١]) أي الجراد عندما يبدأ في الطيران دون نظـــام أو ترتيب في عجلة وسرعة لهؤلاء الناس الذين يسرعون إلى الشر ويبادرون إليه دون عقل يردهم أو حكم يكبح جماحهم.

فالصورة هنا وصف لتعبير الحركة، وهي صورة محسوس لمحسوس. ومنها يتغير، وذم لهذه الصفات المشينة المعيبة.

فالوصفية أخذت نصف الحركة في إطار أسلوب الناس، في كيفية التحرك (غوغاء) الغين صوت ينطق من أقصى الحنك وهو الحنك اللِّين عنــد المحــدثين والحلق عند القدماء ووجود الواو صوت شفوي. الألف صوت هوائي. والهمزة صوت حنجري، يظهر عدم التنظيم والترتيب في الوصف التباعــد في وصــف الصورة بين الحنجرة –الحنك اللِّين– الشفاه. تلك هي صورة في المبنى، ولها دلالة في المعنى في عرض أسلوبها التركيــبي، تلك هي حــال الصــورة في وصــفها. "الرؤية البلاغية كانت عند العرب تطمح إلى المســتحيل في محاولتــها حصــر دلالات تراكيب النقيضين. ولا شك أن هذه النظرة تأثرت بالقاعدة النحوية التي تتخذ الظاهرة بحيث تشكل القاعدة وجوداً معيارياً تــذعن لــه التراكيــب في استعمالها؛ فالقاعدة النحوية هي معيار الصواب والخطأ وهي من ثم تصل وتقبل ما تقبل وتطرح ما تطرح على هدىً منها"[٢].

١/ الغوغاء: يُنظر، ابن منظور، لسان العرب: مادة (غ و غ)، ج٥.

٢/ د. عيد بليغ، المقال: أسلوبية السؤال: مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد ٢٨، يناير،

هذا النص لا بدَّ من مناقشته. فلقد اهتمت الدراسة القديمة بالجمال الفني في حدود دقة التعبير والتصوير للصورة (الاستعارة عند القـدماء) وإن المـادة اللُّغوية (الكلام) له أسس ونظرة اجتماعية، وعرفية خاصة فلذا لا يستجيب لكل إنسان ولا يصحب كل لسان؛ لذا برعوا في استعمال وصف الكلمات ووضحوا أساليب تراكيبها، ووصفها وأن كل صاحب حساً لغوي دقيق يستطيع أن يضع المواضع الملائمة لمفهوم وإدراك المعنى. ثم ينشأ الوصف في حدود المعرفية العلمية، من حيث وضع الكلمات وبيان ترتيبها وجريانها في الأسلوب ومعناه في المعجم.

وهنا تظهر لنا صلة النحو بالبلاغة فالنحو، من حيث الترتيب والتنظـيم. والبلاغة من حيث وصف الصورة وأسلوب تفاعل الكلمات في السياق اللُّغوي. فالدراسة البنيوية تدرس تلك العلاقة بين النحو والبلاغـة. أي بـين التنظـيم والترتيب وبين الوصف وطريقته، ومن هنا ظهر النقد الأدبي علماً بأن البلاغـة تطورت في النقد الأدبي.

"كانت البلاغة والنقد ممتزجين، إذ كانت البلاغة تتصل بالنقـد وحـده فالنقد مجاله أوسع، البلاغة جزئية لارتباطها بالكلمة والجملة أو الفقرة بينما النقد يصل إلى كل النص، النقد بلونه الفني. بينما البلاغة يغلب عليها المنطق"(١).

ونفهم من ذلك أن البلاغة تدرس الأسلوب، والنقد يقعده. فدراسة النقد دراسة معيارية. أمَّا البلاغة فدراسة للظاهرة وصفية، تتعلـق بوصـف الصـور البيانية.

١٩٩٧م، ص٦٤.

١/ الجويني، البلاغة والنقدية: ط١، مطبعة دار النجاح، الإسكندرية، ١٩٧٥م، ص١٧.

الوصفية والأسلوبية[1]:

لقد كان الأسلوب في طابعه يحمل الطابع المعياري ويحدد القواعد ويضع التصنيفات؛ معتمداً على الوصفية.

أمَّا الأسلوبية فتدرس الظواهر اللُّغوية عن طريق الوصف وذلك بعد تقدُّم علم اللسانيات، الفارق بين الأسلوب والأسلوبية هو أن الأسلوب صورة تعبيرية في الذهن، والأسلوبية مفردات مركبة في النص تسعى لإيجاد الصورة الذهنية[2].

"دخل الأسلوب دائرة العلمية، من خلال علم اللسانيات بعد أن تطورت منهجاً ومتجهاً، ونضجت، ذلك باعتباره أحد الفروع المهمة في بنائها التكويني وبدأ يشق طريقه عبر تحديد ملامحه المنهجية من خلال الدراسات التي قدمها المعنيون بالدرس اللساني. وأصبح علم الأسلوب من العلوم التي تعتمد منهجية محددة في علاقاتها التركيبية"[3].

نفهم من هذا النص أن علم الأسلوب -وهو الأسلوبية- التي نقل الأسلوب من المنهج المعياري إلى المنهج العلمي الوصفي، والأسلوبية (علم الأسلوب). تعني دراسة النصوص سواء كانت أدبية أم غيرها عن طريق تحليلها لغوياً، يهدف الكشف عن الأبعاد النفسية والقيم الجمالية والوصول إلى أعماق فكر الكاتب من خلال تحليل النص.

١/ الأسلوبية: علم يدرس اللُّغة ضمن نظام الخطاب، وهي علم يدرس الخطاب موزعاً على هوية الأجناس الأدبية، تعني إنتاج الكلام، تدور في دائرة اللسانيات وعلم العلاقات (السمولوجيا).

٢/ يُنظر، أحمد الشايب، الأسلوب: ط٨، نهضة مصر، ١٩٩٣م، ص٤٤.

٣/ عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ط١، دار الصفاء، عمان، ٢٠٠٢م، ص١١٦.

وهنا تختلف مع البنيوية إذ أن هدفها في التحليل إجادة مواطن الجمال والبحث وراء المعنى.

أمَّا البنيوية فتسعى لدراسة تراكيب المكونات للنص مع ربط علاقاتها دون النظرة إلى السمات الجمالية والأبعاد النفسية. "الأسلوبية تعتمد البنية اللُّغوية للنص منطلقاً في عملها وتمثل وظيفة البحث الأساسية كأن تكون ألفاظاً مُعيَّنة تكتسب أهميتها بسبب موقعها السياقي"(١).

ولعل هذا النص يشير إلى العلاقة بين الأسلوبية والبنيوية في البحث والكشف. وتمتاز البنيوية بدراسة العلاقات، وعليه فإنَّ الأسلوبية تعتمد في الدراسة على التحليل البنيوي اللُّغوي ويعتبر فرعاً من البنيوية في التحليل. إلاَّ أن دورها في الأدب فقط.

"إذا كانت الأسلوبية تتعامل مع اللُّغة على أساس أنها تحمل من التعبير محل الرخام من النحت. فإنها لا تتعامل مع كل تعبير، بل مع لون مُعيَّن فيه وصل إلى درجة مُعيَّنة من الأداء الأدبي"(٢).

فالأدب يخضع لعوامل خارجية، ومؤثرات نفسية وبيئية وسياسية، ومن ثم فإن الدراسة الأسلوبية وصفية. وقد ينطلق الوصف من الوحدات الصغرى إلى نظيراتها الكبرى وصولاً إلى دراسة بنية النص الأدبي اعتماداً على لغته.

فالدرس البنيوي للنص يقوم على وحدة العناصر المكونة للنص وترابطها

١/ يُنظر، فتح الله أحمد سليمان، الأسلوب والأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: القاهرة، ١٩٩٠م، ص٢٢.

٢/ أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ط١، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٠.

بحيث إن كل جزء يفضي إلى الآخر؛ وعناصره متلاحمة تلاحماً بيِّنـــاً لا يســـمح بوجود أي خلل يعتري بعضها.

ويظهر لنا من ذلك أنَّ الأسلوبية نوع من النقد في دراسة النص على لغته التي يتشكل منها، ويتعرف على ما عداها من جوانب تتصل بحياة الناقد وظروفه النفسية والاجتماعية وواقع مجتمعه الذي يعيش فيه.

"إنَّ كيان النص يقوم على جملة مكونات تتفاعل داخل دائرته الإنتاجيـــة وأنَّ عملية الكشف عنها تعتمد بالدرجة الأساس على النص بهيكله العام ودرجة اكتفائه الذاتي، من حيث القدرة والتمكين التعبيرية، واحتواء القيم الجمالية"(١).

لقد بدأ الدرس اللُّغوي الحديث يتبلور عندما أدرك البـــاحثون ضـــرورة مقابلة مجموعات مختلفة من الظواهر اللُّغوية وتنظيمها في التحليـــل. فالدراســـة البنيوية تنظم التقابلات والعلاقات في تلك الظواهر. فدراسة النص الأدبي ترتبط بثقافة المجتمع ودراسة حالته النفسية، وأساس هذا الترابط التواصل بين الثقافات في معرفة المفردات حتَّى تتمكن من التعبير الصادق للحس الاجتماعي للمجتمع المعين. ولا يكون ذلك. أي الوصف التام لتلك المفردات.

إنَّ البنيوية قادرة على إظهار محاسن القول في التركيب. أمَّـــا الوصـــف فيعتمد على الذوق الفردي والفطرة الأدبية للمفردة اللفظية.

"إن هذه المثالية في الأداء التعبيري، هي مهمة رجل النحو واللُّغة، باعتباره ممثلاً لنظامها ومحافظاً على قواعدها الإجرائية، وأنه المتعهـــد برعايتـــها وعـــدم العدول عن مسارها"(٢).

١/ عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ص٢٠٠.

٢/ عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ص١٤٦.

لقد عُني النحاة بالتقعيد للغة محافظة على كيانها فاهتموا أيضاً بمراقبة مدى الالتزام بهذه القواعد.

فاللُّغة في نظرهم ذات نظام مُعيَّن. والكاتب وهو يستعين بهذه اللُّغة عليه أن يتبع نظامها المقرر.

ويتضح أيضاً اهتمام النحويين بالبحث عما يحقق السلامة النحوية في العبارة. في حديثهم عن الحذف والإضمار[١].

ومعنى ذلك أن النحو يضع القواعد التي تقوم على أساسها صياغة العبارة. وهي قواعد صارمة؛ ينبغي على المنشئ من الوجهة النحوية ألا يتجاوزها. أمَّا الأسلوبية فهي تتيح للمنشئ أن يقول تبعاً لمقتضيات العملية الإنشائية دون قيود تفرضها عليه إلاَّ فيما يتصل بالهيكل الأساسي لِلُّغة مثال التقديم والتأخير.

الأسلوبية تتعامل مع النص بعد أن يولد، فوجودها تالٍ لوجود الأثر الأدبي وهي لا تنطلق في بحثها من قوانين مسبقة أو افتراضات جاهزة.

مثال أن صيغة الصرف (فتى) تجمع كثرة على فتية، وفتيان فلا يوجد فارق في المعنى إلاَّ أن هناك فارق في الصيغة ووصف لها، فتية: بمعنى الجماعة، فتيان: بمعنى الجمع.

"إنَّ الإبداع مركز يوجه الأسلوبية مسار لا متناهي، وبإمكان المنتج المبدع -على ضوء المقاييس المعيارية للغة وضرورات (العدول) -أن ينتج أساليب متعددة لها نكهة خاصة، وطعم لوني وجمالي متميز، بمجاوزة المواصفات المألوفة، وبما يمتلكه من قدرة ابتكارية وطرائق تقنية تغنيه عن التعامل مع

١/ يُنظر، ابن هشام، شذور الذهب: باب حذف رب بعد الواو وبقائها ص٤٢٣.

الأدوات اللُّغوية، في دوائر أحياز الفكر المنتظمة"[١].

ونفهم من ذلك النص أن ثمة علاقة بين الأسلوبية والاتجـــاه النفســـي في النقد. فكلاهما يُخضع النص لمعايير علم النفس ومقاييســـه وكلاهمـــا يحـــاول الوقوف على الظروف النفسية والمراحل المبكرة بطفولة الكاتب.

وذلك ما ظهر به التحليل النفسي للأدب (لمدرسة الديوان الأدبيـــة)[٢]. الأسلوبية وإن كانت قد تفرعت من النقـــد الأدبي الـــذي هـــو أقـــدم منـــها في مجال دراسة الأدب. إلاَّ أنها قد انسلخت عنه في النهاية، واستقلت لذاتها.

"العلاقة بين الدراسات الأدبية من جهة وبين الكلام من جهـــة أخـــرى دقيقة، فنحن نستخدم الكلام في الحياة لأغراض كثيرة بعضها نفسية وعضـــوية، فالإنسان (حيوان ناطق) النطق جزء من تعريفه... لكنا نستخدم الكلام أحيانـــاً استخداماً فنياً لا يهدف إلى الوضوح السطحي ولا إلى التوصل المباشـــر إنمـــا يهدف إلى التعبير عن طبقات مختلفة في النفس البشرية يستلزم التعبير عنها اتباع أسلوب مُعيَّن"[٣].

فالوصفية تشرح لنا أنَّ الأسلوبية لا تقتصر على مجرد إظهـــار إحســـاس وانفعالات الكاتب، ولا تتوقف عند حدود البنيان، توضح السمات والخصائص للمحسنات اللفظية وإنما يتخطى ذلك إلى ربط العلاقة بين المحســـنات ونصـــها

١/ عبد القادر عبد الجليل، الأسلوب وثلاثية الدوائر البلاغية: ص١٣١.

٢/ مدرسة الديوان، روادها: العقاد، عبد الرحمن شكري، عبد القادر المازني؛ يُنظر، عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب.

٣/ أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصـــرة والتـــراث، ط١، دار غريـــب، القـــاهرة، ١٩٩٨م، ص٢١.

وصاحبها في النص المركَّب.

فيظهر لنا الفارق بين الوصف المركب المربوط بشخصية النص وبين الوصف المجرد.

"ومن هنا يتعين على الدارس أن يتريث في تقبل هذا التصور للأسلوب باعتباره زينة وجملة من المحسنات، إذ يؤدي في نهاية الأمر إلى إقامة نظرية عاجزة عن إدراك طبيعة الأسلوب، وسرعان ما تقع في مزلق اعتبار الأشكال المجازية هي محور الأساس الوحيد دون أن تصل من وراء ذلك إلى تفسير النص الأدبي بكل بنيته وتحديد قيمته الجمالية الحقيقية"(١).

ونفهم من ذلك حقيقة الدراسة الوصفية للأسلوبية التي تنصب على النص باعتباره وحدة كاملة غايتها الأولى الوصف.

وإن كان لكل مفردة لفظية معجمها اللُّغوي المتميز، فهو يميل إلى استعمال بعض الكلمات دون بعضها الآخر. وهناك كلمات لا يستعملها على الإطلاق، وأن نفهم معانيها. وكلمات لا يستعملها ولا يفهم معانيها، لأنها خارجة عن دائرة تعامله أو وعيه(٢).

فاللُّغة تزخر بمفرداتها ومعانيها وتراكيبها، وهي تتيح لمن يشاء أن يتعرف منها وينهل. والأساس في ذلك اختيار اللفظ المناسب والمعنى الملائم والتركيب المؤدي للغرض.

"فالقواعد النحوية باعتبارها قوانين النظام اللساني، والأسلوبية باعتبارها طرائق السلوك التعبيري، فإنهما يعيشان في منظور النص المنتج في حالة تلازم،

١/ صلاح فضل، علم الأسلوب: ط١، دار الشروق، ١٩٩٥م، ص١٠١.

٢/ يُنظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص٦٦-٧٠.

وفي درجة نسبية عالية القمة"[1].

وتلك هي دراسة البنيوية الوصفية في وصفها للأسلوبية. فالأسلوبية تعمل بقانون البنيوية الثنائي: ترتكز على شحنة تعبيرية تشمل النص وصاحبه، وذلك ما يجعل دراسة اللُّغة على مستويين: الأول: الكلمات وهي ساكنة. ويتمثل في وجودها قبل خروجها إلى حقل الاستعمال الخارجي والثاني متحرك، حين تخرج الكلمات من أطرها المعجمية، بما تحوي من قواعد نحوية وصرفية، إلى ميدان عملها في الدرس البنيوي كي تؤدي وظيفتها الإخبارية المنوط بها. وهي نقل الأفكار وتوصيل المعلومات.

وهناك حركة أخرى لِلُّغة، تركز على علاقات التبادل اللفظي، والبث الكلامي بين المتكلم والمخاطب، تقوم بعملية التوصل وهي الوظيفة الأساسية للكلام، فهذا المتحرك هو الذي تدرسه الأسلوبية والذي يشمل الاستخدام. وتلك هي نظرية (دي سوسير) في التحليل اللُّغوي؛ تحوي الأسلوبية كثيراً من العناصر والموروثات المرتبطة بالأسلوب، عرفها القدماء بصورة غير مقننة، واتخذت أشكالاً وصوراً محدودة، ولكنها لَمْ تكن قائمة على أساس علمي.

وكان العرب ذوي حس نقدي وكانت لهم جهود في مجال النقد. إلاَّ أنها كانت أقرب إلى الانطباعات والملاحظات السريعة القائمة على الذوق والإحساس بقيمة الكلمة وموضعها في السياق. ولذلك لَمْ تكن هذه الملاحظات تستند إلى نظريات وقوانين: لكن الدراسة الحديثة كشفت تلك القوانين.

"سجلت أوراق الدراسات المعاصرة أن الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة القديمة حيث إعطاء البيانات المتكاملة للصورة الجمالية في الفن الإبداعي

١/ عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية ثلاثية الدوائر البلاغية: ص١٣١-١٣٢.

وطرائق توزيعها.

تعتبر الأسلوبية منهجاً جديداً ورؤية شمولية توجهاً محدثاً في قراءة الــنص من حيث إنها لا تحاور من زاوية المكوّن الإشاري (الدال) منعزلاً عن الســياق، إنما من خلال قيمته الشمولية وطاقته التوزيعية؛ لأنَّ الأسلوب هــو خيــار في منظور كتلة النص"[١].

هذا النص يحتاج إلى مناقشة.

أولاً البلاغة تطورت في النقد، ولها أركانها الثلاثة:

١/ فصاحة الكلام. ٢/ المتكلم. ٣/ المقام.

الفصاحة تمام آلة البيان -فهي مقصورة على اللفظ- ويدخل فيها العنصر الجمالي والمعياري معاً. ولا يمكن الاستغناء عن المعيارية بأي صورة من الصور. و(المقام) هي: مطابقته لمقتضى الحال، المراد به حال الأمر الــداعي إلى المــتكلم على وجه مخصوص مع فصاحته. فالبلاغة أمرٌ قائم. أمَّا الأسلوبية فهي دراســة حديثة وفرع من دراسة اللسانيات.

البلاغة تستند في حكمها على النص إلى معايير ومقاييس مُعيَّنــة، وهــي أساس الدرس اللُّغوي. فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ومقام الذكر يباين مقام الحــذف ومقام الوصل يباين مقام الفصل ومقام الإيجاز يباين مقام الإطنــاب، فالبلاغــة قائمةٌ لا بديل لها.

"ارتبطت نشأة علم الأسلوب في بداية هذا القرن بالتطور الــذي لحــق

١/ عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ص١٣٣.

الدراسات اللُّغوية في القرن الماضي، مِمَّا يجعل من الضروري إلقاء نظرة خاطفة على هذا التطور لمعرفة أهم مراحله ومكوناته والعوامل الفاعلة فيه، مِمَّا أدى إلى مولد علم الأسلوب"(١).

ويرى الباحث من خلال قراءة هذا النص أن الأسلوبية علم متطور من الدراسات النقدية، فأخذ من علم اللُّغة خصائص البنيوية معتمداً على الوصف البلاغي المعياري (كما ذكر في النص). لقد تأثرت الدراسات النقدية بمدارس مختلفة في مناهجها، ومتباينة في أهدافها، وعديدة في تنوعها؛ فاهتمت مثلاً ببعض البحوث النقدية بمضمون النص وأفكاره، وبعضها شكله وأسلوبه، وقد أحدثت النظرات النفسية في الأثر الفني نقلة كبيرة في تحديد هذه الدراسات وفي نموها.

ومن خلال ذلك نشأت الأسلوبية متطورة في النقد الحديث، وقد ساهمت البنيوية في تطورها من خلال الوصف والتركيب اللغوي.

"بين الأسلوبية والبلاغة علاقة وثيقة تتمثل أساساً في أن محور البحث في كليهما الأدب، إلاَّ أن النظرة إلى هذا الأدب تختلف.

فالأسلوبية ترى أن النص كيان لغوي واحد بدواله ومدلولاته، ولا مجال للفصل بينها أو البحث بينهما، أو لبحث أحد الجانبين دون الآخر من حيث إن أولهما يفضي إلى الآخر.

أمَّا البلاغة فقد قامت على ثنائية الأثر الأدبي بمعنى الفصل بين (الشكل) و(المضمون) بل في نطاق الشكل تميز البلاغة بين فصاحة المفرد وفصاحة الكلام

١/ صلاح فضل، علم الأسلوب: ص١٢.

وفصاحة المتكلم، كما تفرق بين فصاحة المتكلم وبلاغته"[1].

فظهور مصطلح الأسلوبية لَمْ يلغ مصطلح البلاغة ولا مصطلح الأسلوب وإنما تحددت للمصطلح القديم دائرة وظيفة في إطار المصطلح الجديد. الأسلوبية: تعني الوصول إلى وصف وتقويم علمي محدد لجماليات التعبير في مجال الدراسات الأدبية واللُّغوية على نحوٍ خاص، لا تكاد تتعداه إلى غيره من المجالات.

"إن التنوعات التي تسعى الأسلوبية إلى تمثل معطياتها في دائرتها، لا يتحقق وجودها في الإنتاج الأدبي إلاَّ من خلال محاور ثلاثة:

١/ محور القيم والوقائع التعبيرية.

٢/ محور المستويات الأدائية ودرجاتها التأثيرية.

٣/ محور المحيط الاجتماعي"[2].

الأسلوبية من حيث تطبيقها لا تكتفي بالوصف، بل ترسم له المؤشرات الخارجية. وهي في حاجة إلى علم يصل بينها وبين وصفها، ويضع الملابسات القائمة بينها وبين البلاغة في إطار علمي ويخدم الأدب الذي هو موضوعها.

ومن ثم رؤية الجمال في ميدان الأسلوبية تصير نقطة بحث في دواخل النص من رؤية شمولية وصفية لصياغة البنية تكشف مواطن الجمال وتبين التماسك في وحدة العبارة.

"... إنَّ وظيفة التعبير الأدبي لا تنتهي عند الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات بل تضاف إلى هذه الدلالة مؤثرات أُخر يكمل بها الأداء الفني، وهو

١/ فتح الله أحمد سليمان، الأسلوب والأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ص٢٧.

٢/ عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ص١٢٤.

جزء أصيل من التعبير الأدبي"[1].

يشير هذا النص إلى أن الجمال في الأسلوبية يكون في انسجام الألفــاظ، يعني مدى ترابطها بعضها ببعض، وربط الصوت بالمؤثرات الخارجية، هو وصف الحالة النفسية، أو الخيال الحسي؛ كما يظهر في كلمات العبارة ونسجها في البنية الوصفية عند اللُّغة.

"وللغة ثلاث وظائف يمكن أن نجملها في: التعبير، والنداء، والتمثيل. كل منها يتعلق بضمير ينوب عن الذات، فالتعبير يتعلق بضمير المتكلم، والنداء يتعلق بضمير المخاطب، والتمثيل يتعلق بضمير الغائب"[2].

وهنا يتبين لنا مدى تعلق الوصفية بالعاطفة والإحساس والشعور، وخاصة الأمور الوجدانية فتكون من وصفاً لحالة ضمير المتكلم في بنية الذي يتعلق بالنداء والالتماس. فنجد أنواع أسلوبية التوضيح في وصف ضمير المخاطب. وما يتعلق بالقصة والأقصوصة كانت وصفاً لضمير الغائب.

الوصفية حركة إبداعية مستمرة تصب بداهة على العنصر اللفظي. فهــي الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني ونظم الكــلام وتأليفــه لأداء الأفكـــار وعرض الخيال أو العبارات التي تؤدي أداء المعنى.

وإذا كانت الأسلوبية النظرية تتسم بالاستقرار على مناهج فإن الأسلوبية التطبيقية تعاني من تعدد اتجاهاتها وتشعبها فإن وظيفتها أن تعتمد علـــى الـــنص

١/ سيد قطب إبراهيم، النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ط٧، دار الشروق، القـــاهرة، ١٩٦٣م، ص٣٤.

٢/ د. فكتوركل أسعد علي، صناعة الكناية: ط٤، مطبعة دار الســؤال، دمشـــق، ١٩٨١م، ص١٢٥.

اللُّغوي وبنيته البنيوية لوصف الشعور[1].

"ولكن التعبير عن التجربة الشعورية، لا يقصد به مجرد التعبير، بل رسم صورة لفظية موحية، مثيرة للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين، وهذا شرط العمل وغايته ويتم وجوده، يستحق صفته"[2].

قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا * إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[3].

نجد في السورة الكريمة وصفاً دقيقاً يقوم على أساس التحليل لعناصر المكونات اللُّغوية في وصفها الأسلوب الوصفي.

"الخيل تعدو عدواً، يسمع فيها صوت أنفاسها، فتوري النار بحوافرها إذ تعبر في الصباح فتثير الغبار فتتوسط جماعة العدو"[4].

الوصفية في وصف الأسلوبية تثير في الفرد الإنساني حركة إيمانية قوية تربط بين الحركة والمنظر الخارجي والقوة الإيمانية معاً.

١/ يُنظر، فتح الله أحمد سليمان، الأسلوب والأسلوبية- مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ص٢٨-٢٩.

٢/ سيد قطب إبراهيم، النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ص١٠.

٣/ سورة العاديات: كل الآيات (١-١١).

٤/ محمد المبارك عبد القادر، دراسة أدبية لنصوص القرآن: ط٤، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م، ص١٤.

فالكلمات: (ضبحاً، قدحاً، صبحاً، نقعاً) نجد الصوت الحلقي (الحـــاء) يتكرر وفي الكلمة الأخيرة يخلفه (العين) كلها أصوات حلقية احتكاكية تشـــبه بصوت صائت لَـــيِّن حنجري (الألف) هناك احتكاك في تشابه مســـتمر بـــين الأصوات في الحلق وحوافر الخيل، وفي الأرض، في عملية العدو، وإثارة الغبـــار، وخروج الصوت الاحتكاكي يظهر قوة التفاعل في إبراز المعنى الرابط بين الحركة الخارجية للخيل وحركة الأصوات الاحتكاكية.

"إنَّ الإنسان كفور بنعمة ربه وعالِم بذلك من نفسه، وهو شديد الحـــب للمال أفلا يعلم ويتصور كيف تكون حاله حين تبعثر القبور ويخرج مَنْ فيهـــا، وتُجمع حصائل الأعمال من الصدور، إنَّ ربهم يومئذٍ عليم بأعمالهم"[(١)].

لقد وضحت لنا طريقة التصوير في هذا المشهد العظيم والوصف الأسلوبي الرائع الجميل وفقاً لتحليل مباشر لواقع الحياة، وربطها بنهاية الحيـــاة (المـــوت) والحالة النفسية لبنيـــة الإنســـان، كقولـــه تعـــالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ﴾[(٢)].

استخدمت السورة المفردات (بعثر، قبر) كلمات ذات اتحـــاد في تنظـــيم الأصوات. وجود العين: صوت حلقي، والقاف: لهوي. نجد كلمة صدور، قبور التوازن في المعنى والتشابه في الدلالة، الصدر والقبر.

الأول حافظٌ للقلب، والثاني حافظٌ للإنسان أي جسمه، وحركة الجسم تدور بدوران القلب؛ القلب هو منبع الإيمان والقوة.

١/ محمد المبارك عبد القادر، دراسة أدبية لنصوص القرآن: ص١٤.

٢/ سورة العاديات: الآية (٩).

وهناك وصف تشابه آخر: صورة خروج الأجسام من الأرض، وصورة الخيل تعدو فيها. وعلاقة الربط بين الصورتين في دلالة المعنى.

"ورد في النص نوعان من الألفاظ: أحدهما: لتصوير المعاني الحسية. وجاءت الألفاظ التي هي من هذا النوع واضحة دقيقة التعبير (صبحاً، مغيرات، أثرن، تقع، وسطن) أو مصورة بعثر.

ثانيهما: للتعبير عن المعاني المجردة، وهي معانٍ عامة (كنود، حب الخير، شهيد، وخبير)"[1].

الوصفية هنا تركز على الشحنة التعبيرية في تركيب المفردات التي تحمل دلالات للمعنى. علماً بأن الدراسة البنيوية هنا تدرس النص دراسة شاملة. وركزت على العلاقات المتداخلة في أدائها الوظيفي تحويل في المعنى. "فالقسم الأول يتألف من خمس فقرات موسيقية ذات نغمة واحدة نقل منها، وكل فقرة منها تتألف من كلمتين، أولاهما تحتوي على بعض المدود الطويلة.

وثانيهما: فاصلة الآية، كلمة ثلاثية لا حد لها إلاَّ في آخرها (صبحاً، قدحاً، نقعاً، جمعاً) وهذه الفقرات تمثل نقله حدودها وتوالي حروفها المتحركة حركة الخيل في عدوها ووقع حوافرها ثم ارتفاعها"[2].

لا شك أن الموسيقى الصوتية في هذه الآيات تكمن في وصف صفة الصوت مع حركته، وتركيبه وعلاقته بالأصوات الأخرى، ومدى ملاءمة النفس لهذا التجاوب والانسجام من حيث الشد والجذب وعلو وانخفاض الجرس الصوتي. ذلك هو مفهوم الوصفية في الدرس اللُّغوي.

١/ محمد المبارك عبد القادر، دراسة أدبية لنصوص القرآن: ص٢٢.

٢/ المرجع السابق: ص١٤.

الفارق بين البنيوية والأسلوبية هو أن البنيوية تعتمد على فهم المعنى من خلال تراكيب المفردات في السياق.

أمَّا الأسلوبية فهي فرع من علم اللُّغة الذي تطور من الدراسات النقدية الحديثة على المعنى من خلال وصف الشكل في التركيب، مع مراعاة المؤثرات الخارجية للنص في وصفها.

"الأسلوبية نظام يعنى بنتاج الكلام الكلي، لذا ظلت تدور في دائرة اللسانيات فرعاً من فروعها المهمة إلى جانب علم الدلالة وعلم العلاقات السمولوجيا وعلم الأصوات وعلم الفونولوجيا"(١).

أمَّا الفارق بين البنيوية والوصفية فهو:

- أنَّ الوصفية تنظر إلى البناء الكامل للجملة أو التركيب وتصفه جزءاً جزءاً بدقة دون القيام بتفكيكه.
- أمَّا البنيوية فتبدأ بدراسة الإجراءات المكونة للتركيب جزءاً جزءاً لتكون في آخر الأمر بناءها، وهو بالتالي عمل تكويني.

١/ عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ص١٢٢.

الفَصْلُ الثَّانِي

الدرس البنيوي عند القدماء

المبحث الأول

ابن سينا - الدرس الصوتي *Phonetics*

المبحث الثاني

ابن جِنِّي - الدرس الصَّرفي *Morphology*

المبحث الثالث

سيبويه - الدرس النحوي *Syntax*

المبحث الأول
ابن سينا - الدرس الصوتي *Phonetics*

ابن سينا[1]:

دراسة علم الأصوات، ليست بالأمر الهيِّن؛ لأنَّ الصوت يرتبط بعوامل شتى من حيث النطق. يعتمد على الجوانب التشريحية، في الجهاز الصوتي الإنساني.

والصوت اللُّغوي يختلف عن الصوت الطبيعي، من حيث المخرج والصفة؛ ويختلف تناول ابن سينا، للأصوات اللُّغوية، عن تناول سابقيه ولاحقيه من علماء العربية. وخاصة في (أسباب حدوث الحروف). فقد أفاد من الدراسات الطبية، وظهر بنوع جديد؛ حيث قدم وصفاً تشريحياً طبيعياً، لبعض أعضاء النطق الكلامي.

١/ ابن سينا: وُلِد في مدينة بلخ بالقرب من بخارى ٣٧٠هـ-٩٨٠م، وتوفي في أصفهان سنة ٤٢٧هـ-١٠٣٧م، وقد وصل ابن سينا بالفكر الإسلامي حكمة وفلسفة وعلماً وطباً مبلغاً عظيماً بدأت بعده الحضارة الإسلامية في الانحدار والهبوط في حين بدأت أوربا الأخذ بوسائل الحضارة والمعرفة وذلك بفضل فكر ابن سينا وتعاليمه. فهو نشأ في بيت علم فظهرت فيه روح الاطلاع والتحليل وتتلمذ على الفارابي في كتبه واتجه بعد ذلك في شغف إلى علوم الطب والطبيعة فصنَّف كتابه (القانون) في الطب، الشفاء. يقول هنت *Hunt*: ابن سينا أعظم فلاسفة المسلمين، عالِم موسوعي، وما زال يطلق عليه أمير، ومعظم كتبه موسوعات علمية، مجموعة ابن سينا الكبرى في العلوم الرومانية، ولكنه انفرد في مجال الدراسات الطبية بدراسة الصوت الإنساني في رسالته (أسباب حدوث الحروف) ويشير إلى الصوت النطقي والصوت الهجائي (فونيم، جرافيم)، عباس محمود العقاد، ابن سينا، (اقرأ)؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ص٧٩.

فقد كان السائد قبله، في دراسة الصوت؛ تناول الجوانب النطقية (*Articulatory*) ولكن ابن سينا أدخلها في مجال التشريح، مبيِّناً أسبابه ودواعيه.

"غير أنَّ حيرة ابن سينا في استكشاف خصائص الظاهرة اللُّغوية ضمن سعيه، إلى استغراق قضايا الوجود، في تجلياته الطبيعية والإنسانية. وقد ساعدته ملكته اللُّغوية وخبرته الطبية في السيطرة على الصوت الكلامي، ومعرفة الصوت الطبيعي، واتسعت دائرة دراسته، في الظواهر الفيزيائية -يمثل في خصوصه الصوت الملازم له، بالضرورة- الصوت لا ينفك، عن الزمن تصوراً وإيجازاً"[١].

سبب حدوث الصوت:

في مادة (ص و ت)[٢] نعني الحركة لأعضاء النطق في الفم. "الصوت الإنساني. كما يقرر علماء الفيزياء ناتج عن نوع خاص، من الموجات المركَّبة"[٣].

ونفهم من هذا النص؛ والنص السابق أن ابن سينا يذهب مذهب الشمول والاستيعاب، في محاولة تعميق فكرة الصوت، باعتباره ملازماً للحرف الكلامي. وتلك هي دراسة البنيوية، لمفهوم الصوت اللُّغوي. وإننا على يقين بأن الدراسات اللُّغوية. قد جددت طرقها عندما انطلقت، ليس من مسلمات وموضوعات فلسفية خارجة عنها، بل من دوافع داخلية خاصة بها؛ وابن سينا يفحص لنا الدراسة الصوتية.

١/ عبد السلام المسدي، قضايا التعليم اللُّغوي: ط١، دار التونسية، بدون تاريخ، ص١٢٤.

٢/ يُنظر، ابن منظور، لسان العرب: مادة (ص و ت).

٣/ عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ص٢٩٧.

"أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعه وبقوة وبسرعة من أي سبب كان، والذي يشترط فيه أمر القرع عساه أن لا يكون سبباً كلياً للصوت، بل كأنه سبب أكثري، ثم إن كان سبباً كلياً فهو سبب بعيد ليس السبب الملاصق بوجود الصوت"[١].

نفهم من هذا النص أن ظاهرة الصوت ظاهرة فيزيائية ولها علاقة بالحدث الإنساني وحركته نتاجها أعضاء النطق.

ويحدث من توافر عاملين أساسيين:

١/ عملية زفير الهواء وطرده، من الرئتين بغية الكلام والتعبير.

٢/ عملية حركات الأعضاء، بالفم (الشفتين واللسان).

وينشأ الصوت اللُّغوي، من اندفاع هواء نَفَس المتكلم، من الرئتين واصطدامه بعدة حواجز تكيفية تنسقه، وتحوله إلى الموجات الصوتية.

وهذا ما يشير إليه بالنَّفَس الملاصق، لوجود الصوت، وعبارة عن حدوث الموجات الصوتية في الهواء، وتهتز الموجات، وتتردد بسرعة فائقة. ولذا يُقاس استغراق الزمن بالثواني.

كما نفهم من أسباب حدوث الصوت، اصطدام جسم بجسم آخر، وقد يكون الجسم ليس بالمباشر، أو ليس ملاصقاً. يعني الآلة (السماعة) عن قريب أم بعيد.

إذن الصوت حركة موجبة، تعتمد على ثنائية التحرك.

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: تحقيق أحمد سعيد الدمرداش، مطبعة رسالة العلم، ١٩٦٢م، ص٢٣٤.

ويرى الباحث أن ابن سينا، يضع الدرس الصوتي، في تلك الثنائية: مخرج الصوت وصفته، وتأثيره بالآلة المصوتة البشرية (الجهاز الصوتي).

"والدليل على أن القرع ليس سبباً كلياً للصوت؛ أن الصوت قد يحدث أيضاً عن مقابل القرع وهو القلع. وذلك أن القرع هو (تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم لمزاحمته تقريباً يتبعه مماسة عنيفة لسرعة تقريب وقوعها)"[1].

لفظة القرع تفسير لحالة الصوت. وتشير إلى درجة الصوت *Pitch* بين الحدة وبين الجهر (شدة الصوت)، وتنوع حدوث الصوت بالنسبة، إلى تنوع الأجسام، وصلابتها، ومقاومتها.

"ومن اللافت للنظر لذلك أن تنبه ابن سينا إلى قابلية الأذن لإدراك الصوت بمعدلات معنية، للتردد والتوتر لها، حد أدنى وحد أعلى، وأن تنبه إلى أن زيادة شدة الصوت عن مقدار مُعيَّن تسبب الإزعاج للأذن والسامع وذلك في قوله: القرع الشديد يحدث صوتاً يضر السمع"[2].

ويرى الباحث أن الصوت يكون مرتفعاً، في الشدة في زحمة الهواء في الطبقة الصوتية، ومثل هذا يكون الصوت مصحوباً، بالتوترات والجهد العضلي الشديد؛ يمكن أن تكون خشونة الصوت، لبكاء الصغار الكثير، أو تقليدهم الأصوات العالية.

كما أن الأفراد ذوي المزاج العدواني؛ يجهدون حبالهم الصوتية. "وإن ذهب ذاهب إلى أن القلع يحدث، في الهواء قرعاً وراءه، وهو سبب الصوت،

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٤.

٢/ أحمد مُختار عمر، البحث اللُّغوي عند العرب: ط٦، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٨م، ص١٠٤.

فليس ضعف هذا القول مِمَّا يحتاج إلى أن تكلف إلاَّ بانيه"[1].

ونفهم من هذا أن الصوت اللُّغوي يرتبط بالهواء الخارج، من الرئتين كما أن الهواء يتحكم في كيفية صفة الصوت. اختلاف الآلة المصوتة يعني أن للصوت نغمة تلازمه. وتلك هي صفة الصوت.

ويؤكد ذلك بقوله: "... وهذا يتبعه صوت من غير أن يكون هناك قرع، لكن يلزم في الأمرين شيء واحد وهو: تموج سريع عنيف في الهواء، أَمَّا القرع فلاضطرار القارع الهواء إلى أن يضغط وينفلت من المسافة التي يسلكها القارع إلى جنبتها بعنف وشدة وسرعة"[2].

ويقصد بتلك الأصوات المصاحبة الحركات أو الأصوات المعيارية المصاحبة للأصوات الثابتة (الصوامت، السواكن).

وتظهر هذه الظاهرة لحاسة السمع، باعتبارها ظاهرة إدراكية. وتلك تدخل في العلاقة البنيوية بين الوحدة العرفية[3] والمقطع (الفونيم + المقطع). فالكلام البشري محكوم بصفات مادية، وانطباعات نفسية، ومدى قدرة الأذن على إدراكه.

لقد استعان ابن سينا بمفردات الحواس، بالذات حاستي السمع، والبصر، في تحليل الأصوات. فحاسة السمع تستعين أحياناً بتعبيرات الحواس الأخرى

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٢٤.

٢/ المرجع السابق: ص٢٣٣.

٣/ العلاقة العرفية: هي التي تعتمد على اتفاق واصطلاح أفراد المجتمع باعتبار اللُّغة ظاهرة اجتماعية، أَمَّا العلاقة المنطقية نجد فيها الربط بين العقل والمنطق، (الدخان والنار)، أَمَّا العلاقة الطبيعية فتربط الشعور بالنفس العطش للماء... الخ.

للإحساس بالصوت، أو لوصفه. قد يبين ذلك في قوله: "ثم ذلك الموج يتـأدى إلى الهواءِ الراكد في العماخ فموجة فتحس به الغضة المفروشة، في سطحه"[1].

وتلك دلالة واضحة أن ابن سينا أدرك الخصائص الفيزيائية والسمعية للصوت وهي:

١/ التردد الفيزيائي؛ يقابله الحدة، من الناحية السمعية، والإدراكية.

٢/ الشدة الفيزيائية؛ يقابلها علو الصوت في الناحية السمعية والإدراكية.

٣/ الشكل الموجي. الذي يقابله نوع الصوت، من الناحية السمعية، والإدراكية (انفجاري أو احتكاكي، وقفي).

"إن الكلام أمر السمع يقتضي الكلام أمر الصوت وماهيته"[2]. وتلك إشارة واضحة تبين أهمية الصوت؛ ودراسته دراسة علمية، وأن للصوت وظيفة يقوم بها، حيث يعتمد على الجوانب الطبيعية، لأعضاء الجسم والنفسية في استقبال وفهم الكلام، على هيئة موجات صوتية، عبر الهواء المحيط بالمتكلم.

"إننا إذا تصفحنا الكتب العربية، التي عرضت الأصوات وصفاتها وأسماءها وجدنا أصحابها مقلدين وتابعين لا متبوعين. فهُم لَمْ يزيدوا على ما وضعه الخليل وسيبويه"[3].

ونفهم من هذا النص، أن ابن سينا قد سلك مسلكاً غير ذلك، وخاصة في وصفه حدوث الصوت يقول: "أمَّا حال المتموج من جهة الهيئات التي

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٤.

٢/ ابن سينا، الطبيعيات السماع الطبيعي: تحقيق سعيد زائد، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٣م، ص٧١.

٣/ أحمد مُختار عمر، البحث اللُّغوي عند العرب: ص١١٩.

يستفيدها من المخارج والمحابس، في مسلكه فتفصل الحرف"[1]. لقد وضع ابن سينا مصطلحات جديدة مثل كلمة حال المتموج، يعني بها الناقلة (وتعني الممر الصوتي).

وكما نجده قد أشار إلى وحدة الحركة وكثرتها. وقد عرض ذلك ممثلاً في ظواهر طبيعية متنوعة، ومنها ظاهرة الصوت، والنغم في كلمة (الهيئات) وعبارة (المخارج والمحابس) إشارة إلى عملية التواصل، في انفتاح الآلة، وإغفالها الدراسة الثنائية بين الصنفين، والعلاقة بينهما. تلك هي دراسة (السمولوجيا) للدرس البنيوي. وهذه الدراسة ترتبط، بعلم الفيزياء الطبيعي.

"تناول ابن سينا طبيعة الصوت في رسالته (أسباب حدوث الحروف) وقد انتهى إلى أن العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة هي:

١/ وجود جسم في حالة تذبذب.

٢/ وجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب.

٣/ وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات.

وهو ما ينتهي إليه المحدثون من علماء الأصوات"[2].

ويظهر لنا من هذا النص أن هناك علاقات ثنائية لها ارتباطات ببعضها، وهذا ما جعل ابن سينا يسمي رسالته: (أسباب الحروف). فالنسبية (حركة الحدوث) فكرة قديمة تطورت على مر العصور. ويحدد ابن سينا أموراً ترتبط بالحركة "الجسم المتحرك، الشيء المحدث للحركة، وموضع الجسم، وموضع بداية الحركة، وموضع انتهائها وزمان الحركة"[3].

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٣.

٢/ أحمد مُختار عمر، البحث اللُّغوي عند العرب: ص١٠٣.

٣/ ابن سينا، الطبيعيات – السماع الطبيعي: ص٧١.

وهذه العبارات توضح لنا عمق الدراسة الصوتية؛ عند ابن سينا وإن ظهور السميولوجيا. أي دراسة العلاقات بين تلك المكونات أدى إلى ظهور ميدان صنع الكلام الآلي، وإلى وصف أدق لطبيعة الأصوات البشرية، والتواصل الكلامي.

والدرس الصوتي ينتمي، إلى وصف الصوت وبيان مخرجه فتلك هي الحركة التي يقصدها ابن سينا، وموضع بداية الحركة يقصد بها مخرج الصوت ودراسة مخرج الصوت، وصفته تسمى علم الأصوات (فوناتيكس *Phonetics*) أكثر توغلاً عند ابن سينا.

فهي دراسة تبحث في الأصوات طبيعياً (فيزيائياً وعضوياً). وقد قامت مدرسة براغ في هذا المجال في الدرس الصوتي الحديث.

أمَّا الجانب الثاني من الدراسة الصوتية، فهو دراسة تنظيم الأصوات. علم وظائف الأصوات (فونولوجيا *Phonology*) وهي دراسة مختصة في النظر إلى اللُّغة من جانبها الوظيفي.

فدراسة ابن سينا للأصوات في حدود علم الأصوات، أو الصوتيات فقط. وهي تشمل دراسة الصوت على النحو التالي:

١/ النشاط الذهني النفسي عند المتكلم، وعند السامع معاً (النَّفَس + الهواء).

٢/ النشاط العضوي: الأجهزة في الجهاز الصوتي.

٣/ النشاط الفيزيائي الذي يحدث في الوسط الذي يفصل بين المتكلم والسامع، النشاط (النفسي) الذي يحدث، في ذهن المتكلم قبل النطق

وأثناءه. والنشاط الفيزيائي هو الهواء الحاجز بين المتكلم والسامع، وقد يكون الحاجز نوعاً من الأوساط الآلية التي تفصل بين المتكلم والسامع.

"أمَّا في القرع فالاضطراب القارع الهواء إلى أن يضغط. وينفذ من المسافة التي يسلكها القارع إلى جنبيها بعنف وشدة وسرعة. وأمَّا في القلع فالاضطراب القالع الهواء، إلى أن يندفع إلى مكان إخلاء المقلوع منها، ودفعه بعنف وشدة.

وفي الأمرين جميعاً يلزم المتباعد، من الهواء أن ينقاد للشكل والموج الواقع هناك، وإن كان القرعي أشد انبساطاً من القلعي"[1].

ويقصد بذلك مرور الهواء، وخروجه من الرئتين واندفاعه خارج الفم أو الأنف.

ويضيق مجرى (النَّفَس) حيناً وتتنوع درجات الضيق، والاتساع بين درجتين هما الانسداد التام والمؤقت.

وهنا تظهر الأصوات الاحتكاكية، والأصوات الوقفية. الأصوات الانفجارية. تلك هي عملية فسيولوجية.

فعلم الأصوات الفيزيائي *Physical Phonetics* يهتم بالأبعاد المادية والفيزيائية، للصوت الإنساني أثناء مرحلتها الانتقالية، من فم المتكلم إلى أذن السامع. فيدرس العلو، ودرجة الصوت، والسعة، نوع الصوت. "وذلك أن القرع جرم إلى ما جرم مقاوم لمزاحمته تقريباً تتبعه مماسة عنيفة سرعة حركة التعريب وقوتها، ومقابل هذا تبعيد جرم ما، عن جرم آخر مماس له منطبق

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٤.

أحدهما على الآخر تبعيداً ينقلع عن مماسته انقلاعاً عنيفاً لسرعة التعبير"(١).

ويقصد بذلك الصوت النطقي *Articulatory Phonetics* وهو يعرض بوصف الصوت الإنساني الكلامي، ويعالج هيكل البنية التركيبيـــة، والتشــريحية لأعضاء النطق.

ويصف ارتفاع الصوت وانخفاضه، بالنسبة للسلم الموسيقي ويحدد هـــل هذا الارتفاع والانخفاض ناجم عن زيادة النشاط العضوي للنطق، أم اضطراب ناجم عن ضعف، ويهدف إلى الوقوف على الأسباب المؤدية إلى عيوب النطـــق وطرائق علاجها.

والذي يُعرف حديثاً بـــ(علم العاهات *Speech Pathodoloy*). "وأمَّـــا الصوت فقد تعني الاستعانة به عن أن يكون من جهة مخصوصة. وتعني أيضاً أن تراعى بحركات... ولكن تلك الأصوات إنما تدل بالطبع على جملة من المواقعـــة أو المنافرة غير محصلة ولا مفصلة"(٢).

سبب حدوث الحروف:

ما هو الفارق بين الصوت والحرف؟

"الصوت: وحدة صوتية منطوقة. والحرف: وحدة صوتية مكتوبـــة"(٣). ويظهر لنا من ذلك أن الصلة بين الصوت، والحرف صلة متداخلـــة لـــيس في الإمكان تحديدها إلاَّ من خلال الدراسة البنيوية لها، عن طريق الوصف. الصوت

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٤.

٢/ المرجع السابق: ص٢٣٤.

٣/ د. وفاء محمد البيه، أطلس أصوات اللُّغة العربية، ط١، الهيئة المصرية للكتـــاب، ١٩٩٤م، ص٢٣.

الإنساني ينشأ من ذبذبات مصدرها، في الغالب الحنجرة، لدى الإنسان.

فعند اندفاع النَّفَس من الرئتين؛ يمر بالحنجرة فيحدث اهتزازٌ يُعدُّ صدوره من الفم والأنف، يتنقل خلال الهواء الخارجي، على شكل موجات حتَّى يصل إلى الأذن.

وعليه فإن الحرف هو صورة الصوت (فونيم جرافيم) والصوت وحدة نطقية والحرف وحدة كتابية.

يعرِّف ابن سينا الأصوات الصامتة بالحروف المفردة كناية عن أنها تأخذ البنيوية الهندسية للصوت المكتوب؛ ويصف لنا حدوث الصوت بقوله: "أمَّا حال التموج نفسه من جهة اتصال أجزائه وتماسها أوسطها وتحتها فيفعل الحدة والثقل، أمَّا الحدة فيفعلها الأولان، وأمَّا الثقل فيفعله الآخران.

أمَّا حال التموج الهيئة التي تستعيدها في المخارج والمحابس"[1].

ونفهم من هذا النص أن حدوث الصوت في حالة التموج يتجه إلى اتجاهين. وتلك هي الثنائية، حركة عضوية مزدوجة.

هي حركة ونَفَس، الأولى تتصل بعملية النطق والثانية تتصل بصفة الحركة، وتختلف الأصوات اللُّغوية باختلاف الشكل والتجويف الداخلي لأعضاء النطق.

"فلنقرر جدلاً أن الصوت شيء بسيط، ولكن هل هو يصنع اللُّغة؟ كلاَّ، فهو ليس سوى أداة للفكرة، وهو لَمْ يوجد من أجل ذاته، ومن هنا ينشأ تقابل جديد وهام، إن الصوت من حيث كونه وحدة صوتية نطقية مركبة، يكون

١/ ابن سينا، القانون في الطب: ط٣، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ص٣٤.

بدوره مع الفكر وحدة مركبة عضوية ذهنية، وليس هـــذا هـــو كـــل مـــا في الأمر"[١].

ونفهم من ذلك أن الصوت والفكر يؤديان إلى تكامل بنيـــوي، بحيـــث يشكل بنيوية الصوت في تركيبه إلى اقتران الرمز للدلالة والحرف رمـــز لدلالـــة الصوت.

ويرى الباحث أن العلاقة بين الصوت والحرف علاقة الـــدال والمـــدلول وعلاقتها طبيعية.

"الحرف هيئة الصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع"[٢].

الحرف العارض يقصد به: الصوت العارض. كما أن هناك صوتاً جوهراً وآخر عارض وذلك مفهوم من المصطلح المنطقي (الجوهر والعـــرض) وكلمـــة عارض أن هذا الصوت مؤقت وليس حدوثاً دائماً مجمـــداً ويقصـــد مؤقـــت بالأصوات العارضة (الحركات) الصوائت.

كما يدلنا ابن سينا بأن الأصوات تميز فيما بينها بالنسبة لإدراك الأذن لها وتلك وظيفة فيزيائية بحتة.

ويرى الباحث أن ابن سينا قد ربط بين الصـــوامت والصـــوائت. وإن كانت الحركات لا تكون إلاَّ بالصوامت بشكلٍ عارض ويدخل في ذلك تقدير الحركات الإعرابية في بعض الصوامت (المقصور، المنقوص).

١/ عبد الصبور شاهين، في علم اللُّغة العام: ط٧، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ص٣٢.

٢/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦.

"الحروف بعضها في الحقيقة مفردة وحدوثها عن حبسات تامة للصوت أو للهواء الفاعل للصوت يتبعها إطلاقات دفعة وبعضها مركبة وحدوثها عن حبسات غير تامة لكن يتبعها إطلاقات"(١).

وهنا يشير إلى طريقة السمع لفهم إدراك النطق ويقصد بالتركيب الازدواج في عملية النطق ويكون في التركيب الانفجاري والاحتكاكي مثال صوت (الجيم) صوت مزودج فيه يحبس الهواء خلف نقطة الالتقاء مقدم اللسان بالحنك الصلب (الغار) ثم يتم انفصال العضوين ببطء مِمَّا يؤدي إلى احتكاك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين. وكذلك الانفجارية في (الفاء).

"وهذه المفردة تشترك في أن وجودها وحدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس وزمان الإطلاق.

وذلك أن زمان الحبس التام لا يمكن أن يحس فيه بصوت حادث عن الهواء وهو مستكن بالحبس، وزمان الإطلاق لا يحس فيه بشيء من هذه الحروف لأنها لا تمتد البتة إنما هي مع إزالة الحبس فقط"(٢).

فهناك فارق بين صوتي (الغين والقاف). فالغين من الأصوات الصامتة من أقصى الحنك، احتكاكي مجهور. فيأخذ فترة زمانية (والكاف) كذلك.

الغين حبسه حبس تام، وينطق برفع أقصى اللسان بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك. وبحيث يكون هناك فراغ ضيق يسمح للهواء بالمرور مع حدوث احتكاك وتتذبذب معه الأوتار الصوتية.

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦.

٢/ المرجع السابق: ص٢٣٦.

(الكاف) باعتباره صوت ينطق من أقصى الحنك فهو صوت وقفي مهموس. يضغط الهواء لمدة من الزمن. ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فيحدث نوع من الانفجار الوقفي[1].

ويوضح لنا الإدراك السمعي، ومعرفة طريقة النطق به، وطريقة خروج الهواء ويصير بصورة واضحة إلى الأصوات السواكن (الصوامت). والأصوات الحركات (الصوائت) يشير إلى الحبس التام للصوامت، والجزئي للأصوات اللينة (حبسات غير تامة لكن يتبعها).

إذ إن التميز بين الصوامت والصوائت ودراسة العلاقات بينهما هذا في شأن الدراسة البنيوية؛ بل يشير إلى تلك العلاقة بقوله: "... وحدوثها عن حبسات غير تامة لكن تتبعها إطلاقات"[2].

أي تتبعها في حدوث الصوامت ومشاركتها في أداء مهمتها النطقية. ويشير إلى الأصوات مباشرة بصورتها الرمزية بعبارة (الحروف) "والحروف المفردة هي: (الباء، التاء، والجيم، الدال، الضاد، الطاء، القاف، الكاف، اللام، الميم، والنون) ثم سائر ذلك مركب يحدث عن حبسات وإطلاقات ولك أن تعدها عداً"[3]. يقصد بالمفردة هنا الأصوات الانفجارية.

بيَّن ابن سينا بذكر الأصوات المفردة مراعياً الجانب الشكلي لرمز الصوت في بنيته (ب، ت، ج، د، ض، ط، ق، ك).

١/ يُنظر، محمود عكاشة، أصوات اللُّغة: م الأكاديمية للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٥٨.

٢/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦.

٣/ المرجع السابق: ٢٣٦.

(**الباء**) من الأصوات التي لا يفتح لها الفم في النطق، وهي من الأصوات التي ترقق فتحتها، أو ضمتها، أو كسرتها عند النطق بها وهي صوت صامت شفوي انفجاري مجهور.

(**التاء**) من الأصوات الصامتة ترقق حركاتها عند نطقها فتحاً وكسراً وضماً. وتقبل إمالة الألف بعدها في نطقها الخاص.
والتاء صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس، وفي نطقه يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ومقدم اللثة فيحدث نوعاً من الانفجار.

(**الجيم**) صوت الجيم صوت مركب؛ وهو الصوت العربي الوحيد الذي له صفتان: صفة الانفجار، والاحتكاك.
يتم إنتاجه عن طريق اتصال مقدم اللسان بمنطقة الغار (الحنك الصلب) اتصالاً محكماً تعقبه وقفة قصيرة يليها تسريح بطيء للهواء مِمَّا ينتج صوتاً يجمع بين الانفجار والاحتكاك[1].

(**الدال**) وهو صوت صامت لثوي انفجاري مجهور. وفي نطقه يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدمة اللثة ويضغط الهواء عند نطقه مدة من الزمن، ثم ينفصل فجأة تاركاً نقطة الالتقاء فيحدث صوت انفجاري مجهور.

(**الضاد**) ينطق بنفس الطريقة التي ينطق بها صوت الدال مع فارق واحد هو أن مؤخر اللسان يرتفع نحو الطبق (الحنك اللِّين) يقع خلف الغار. وهو أسناني لثوي انفجاري مجهور.

١/ يُنظر، أحمد مُختار عمر، دراسة الصوت اللُّغوي: القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨١م، ص٢٧١.

ينفتح معه الوتران الصوتيان ويهتزان، وفي نطقه يتأخر قليلاً نحو الجـــدار الخلفي. ويكون اللسان مقعراً بارتفاع أقصاه وطرفه. فيحدث الإطباق أو التفخيم.

(**الطاء**) هو صوت صامت لثوي انفجاري مهموس. ينطق بنفس الطريقة التي ينطق بها صوت التاء، مع فارق واحد هو أن مؤخر اللسان يرتفع نحو الطبق، وتقريبه من الجدار الخلفي، والطاء صوت مفخم والتاء مرقق.

وفي التراث العربي اللُّغوي القديم وصفت الطاء بأنها صوت مجهـــور وفي نظرهم أنها انفجارية[1].

(**القاف**) وهو صوت صامت لهوي انفجـــاري مهمـــوس. وينطـــق في اللهجات العامية صوتاً حنكياً انفجارياً مجهوراً عند الحنك اللِّين: (قلـــم: قلم: كال) وينطق أحياناً في اللهجات من الحنجرة مثل الهمزة وخاصة في بدو السعودية.

(**الكاف**) هو صوت ينطق من الحنك الصلب (الغار) ثم ينطق برفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق وإلصاقه به، إلصاق الطبق بالجدار الخلفي للحلـــق يسد المجرى الأنفي[2] مع انفتاح الأوتار الصوتية؛ مِمَّا يجعلها لا تهتز عند مرور الهواء بها، ثم يضغط الهواء لمدة من الزمن، ثم يطلق سراح المجـــرى الهوائي فيحدث انفجار صوتي.

ومن ثم يتناول ابن سينا الأصوات (اللام والميم): "ثم سائر ذلك مركـــب

١/ ويرى كمال بشر بأنَّ الطاء في الزمن القديم كانت تنطق مجهورة بما يشبه الضـــاد الحاليـــة نظيراً للدال الحالية؛ كمال بشر، علم الأصوات: دار غريب، ٢٠٠٠م، ص٢٥١.

٢/ يُنظر، تمام حسان، مناهج البحث في اللُّغة: دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م، ص٩٥-٩٦.

يحدث عن حبسات وإطلاقات ولك أن تعدها عداً"[1].

أمَّا صوت (**اللام**) فينطق بأن يتصل طرف اللسان باللثة ويرتفع إلى أصول الأسنان العليا بحيث توجد عقبة في الوسط -وسط الفم- تمنع مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أو من أحدهما وهذا هو معنى (لثوي جانبي).

ويشبه صوت اللام الحركات الإعرابية (الفتحة، الكسرة، الضمة) في قوة الوضوح السمعي؛ ولكنه مع الحركات يخرج الصوت من وسط الفم ومع سكون اللام يخرج الصوت من جانبي الفم. وبهذا يسمى (اللام) شبه حركة. ومِمَّا يقرب صوت (اللام) الحركات كونها صوتاً مجهوراً.

صوت (الميم) وهو صوت شفوي أنفي مجهور، وينطق بانطباق الشفتين انطباقاً تاماً. فيحبس الهواء حبساً تاماً في الفم، وبخفض الحنك الأقصى (اللِّين) فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عن طريق الأنف. بسبب ما يعتريه من ضغط، ويشبه صوت الميم الحركات في أهم خواصها وهي الوضوح السمعي. فالهواء مع صوت الميم يخرج حراً طليقاً مثل الحركات تماماً، ولكنه مع الحركات يخرج من وسط الفم، ومع الميم يخرج من الأنف.

ولهذا يسمى صوت الميم (شبه حركة) ومِمَّا يقرب الميم من الحركات كونها صوتاً مجهوراً[2].

أمَّا صوت (**النون**) فهو صوت صامت: صوت أسناني لثوي أنفي. وينطق

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦.

٢/ يُنظر، محمود عكاشة، أصوات اللُّغة: ص٧١.

باعتماد اللسان على أصول الثنايا العليا مع اللثة، ويخفض معـه الحنـك اللّـين (الطبق). فيتمكن الهواء الخارج، من الرئتين من المرور عن طريق الأنف.

ويشبه صوت النون الحركات في أهم خواصها؛ وهي قـوة الوضـوح السمعي. فالهواء مع صوت النون يخرج حراً طليقاً مثل الحركات تماماً. غـير أن الهواء مع الحركات يخرج من وسط الفم ومع النون يخرج من الأنـف. ولهـذا يسمى صوت النون (شبه حركة).

حرف (النون) من حروف التصريف العربية. فالنون علامـة المضـارعة للمتكلمين مثل: نحن، نسافر، وضمير النسوة، مثل: النسوة يكتبن.

وتكون مع الأفعال الخمسة وكذلك في التثنية والجمـع، مـع الأفعـال المضارعة مثل: يكتبان، تكتبان، تكتبين، تكتبون.

وتكون النون للوقاية. مثل: يضربني. وتكون للتوكيد في مثـل: يلعـبن، يلعبان، وتكون ضميراً لجماعة المتكلمين مثل: لنا، إننا، كنا.

ونجد أن أصوات الإطباق مثل: (الضاد، الطاء) إنما كانت تحس أن الفـم امتلأ بها، وذلك صوت الطاء.

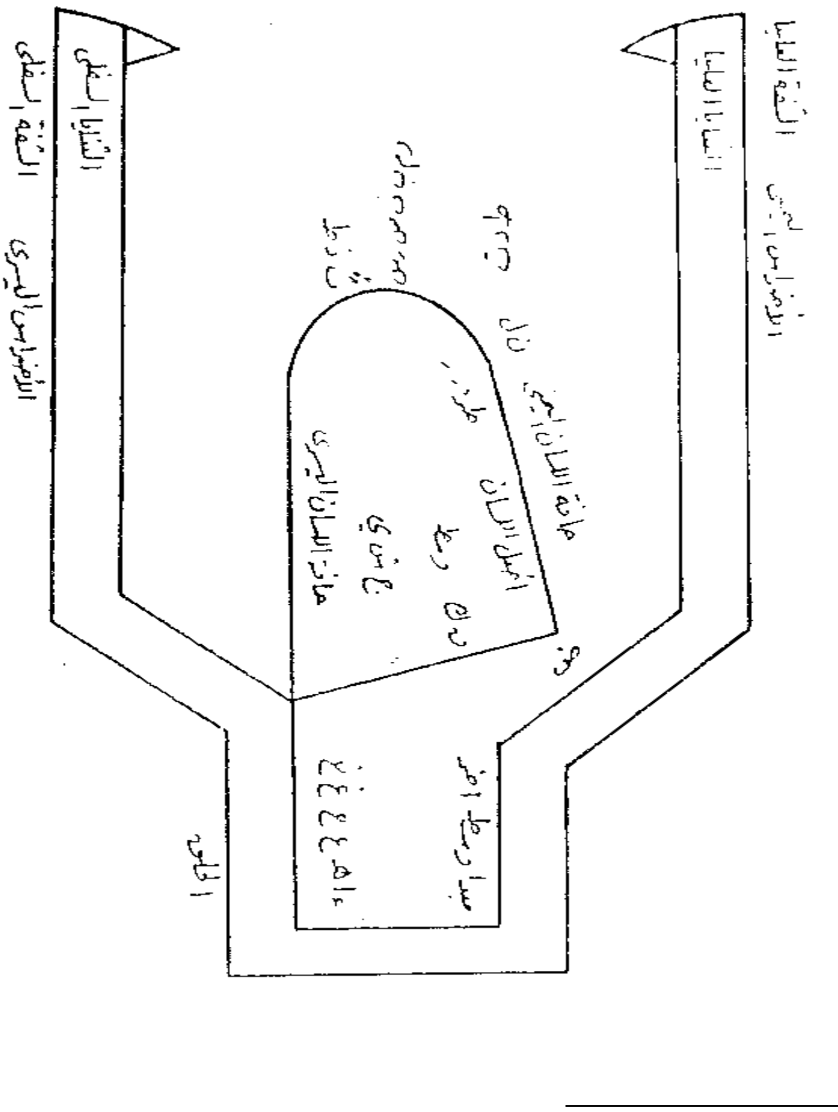
وإنَّ نطق الأصوات (القاف، الطاء، الباء) ساكنة لا يمكنك إلاَّ بصـوت زائد أو نبرة. وذلك لانضغاط هذه الأصوات في مواضعها. وتعرف هذه الحالـة بـ(القَلْقَلة) أي الأصوات المشربة، وجمعت في عبارة (قطب جد)[1] وعند نطقنا صوت الميم والنون والتنوين، نحس أن النَّفَس يحدث صوتاً مُميزاً مـن الأنـف، صوت نغمي يعرف بـ(الغُـنَّة).

١/ يُنظر، أبو عبد الله الحسن، الحجة في القراءات السبع: ط١، تحقيـق عبـد العـال مكـرم، دار الشروق، بيروت، ١٩٧١م، ص٤٧.

وعند نطق صوت (الضاد) تحس أن النَّفَس يجري ويتردد بــين جــانبي اللسان حتَّى طرفه"[1].

هذه هي صفات الأصوات. أمَّا المدخل لمعرفة مخارجه قد وضح من خلال التشريح. فالدراسة البنيوية تقتضي معرفة الجهاز الصوتي من خلال ثنائية المخرج والصفة. وهو مبدأ البنيوية الأول في تحليل العناصر اللُّغوية.

مخارج الحروف عند السكاكي[2]



١/ د. محي الدين رمضان، في صوتيات العربية: مطبعة الرسالة، عمان، ١٩٧٩م، ص٦٧.

٢/ أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم: ط وتغليف دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٣.

فالغاية من معرفة المخارج هي: النطق السليم لمعرفة كلام العرب وألفاظهم والوصول إلى طرق التشكيل الصوتي؛ وربطها بالصفة، تلك هي أهداف الدرس البنيوي.

فالأصوات اللُّغوية المنعزلة لا تحلل على انفراد إلاَّ بنوع من التجديد فلا يتكلم أحدٌ إلاَّ بمركبات في الأصوات اللُّغوية.

ومن ثم ظهر الدرس اللُّغوي الحديث يفرق بين دراسة الصوت إلى قسمين:

١/ دراسة الجانب التطبيقي والفيزيائي والسمعي.

٢/ دراسة الجانب التطبيقي: وهو دراسة لنظم الأصوات.

ويرى الباحث أن ابن سينا هو رائد علم الصوتيات دون منازع، وعلم الصوتيات يدرس الأصوات لمعرفة خواصها النطقية والفيزيائية (طبيعية).

"خص ابن سينا أصوات العربية بفصل في رسالته في الأسباب الجزئية لحرف من حروف العرب، وقد عالج ابن سينا في هذا الفصل الأصوات صوتاً صوتاً، على الترتيب: الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الصاد، السين، الضاد، الزاي، الطاء، التاء، الدال، الياء الصامتة لمصوتات الألف، الفاء، الباء، الميم، النون، الواو الصامتة، الألف الصغرى والكبرى، الواو الصغرى والكبرى"(١).

ولعل هذه الأصوات التي ذكرت تندرج في الجهاز النطقي التي تفتح عليها الحنجرة، وتجويف الحلق، وخاصة، تجويف الفم. وجوانب هذه التجاويف، جميعها من أقصى الحلق إلى الشفتين.

١/ أحمد مُختار عمر، البحث اللُّغوي عند العرب: ص١٠٨.

التحليق هو: اقتراب مؤخرة اللسان من الجدار الخلفي من الحلق؛ نتيجة لتراجع اللسان بصفة عامة؛ ووجود بعض الفراغات داخل الجهاز النطقي. وينتج عن ذلك وجود الأصوات الصفرية في حالة اتصال مقدمة اللسان بالحنك الأوسط، وحدوث فراغ رنان يغير طبيعة الصوت.

"وأول ما بلغت في ترتيب ابن سينا للأصوات ما يأتي:

١/ تمييزه بين السواكن والعلل، وتسمية الأولى صوامت والثانية مصوتات.
٢/ تمييزه بين نوعين من الواو والياء، فنوع أدرجه في الصوامت، ونوع أدرجه في المصوتات.
٣/ تمييزه بين الحركة القصيرة والحركة الطويلة الصغرى والكبرى.
٤/ اتباعه الطريقة العربية التي ترتب الأصوات من الداخل إلى الخارج"[(١)].

ونفهم من ذلك أن الازدواجية الصوتية هي أساس منشأ الصوت. وعن طريق الثنائية قامت أسس البنيوية في نطق الصوت المفرد "وهذه المفردة تشترك في أن وجودها وحدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس، وزمان الإطلاق، وذلك أن زمان الحبس التام لا يمكن أن يجيء فيه بصوت حادث عن الهواء وهو مستكين بالحبس؛ زمان الإطلاق لا يجيء فيه بشيء من هذه الحروف؛ لأنها لا تمتد إليه البتة. إنما هي مع إزالة الحبس فقط.

أمَّا الحروف الأخرى، فإنها تمتد زماناً تاماً وتفنى مع زمان الإطلاق. التام وإنما امتد الزمان الذي لا يجتمع فيه الحبس مع الإطلاق"[(٢)].

١/ أحمد مُختار عمر، البحث اللُّغوي عند العرب: ص١٠٨.

٢/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٢٦.

أشار ابن سينا في هذا النص إلى الاستغراق الزمني للظاهرة الطبيعية التي يندرج معها ظاهرة الصوت، والاستغراق الزمني في وصف الصوت ويقصد بذلك الاحتكاك.

فالكلام عبارة عن اتصال مستمر في النطق من الناحيتين: الفيزيائية، والنفسية في مرحلة الحبس، ومرحلة اكتمال الحبس، ومرحلة الإطلاق في الأصوات الصامتة. ذات الطبيعة الانفجارية مثل: (الباء، والأصوات الاحتكاكية مجهورة كانت أم مهموسة، الغين، الخاء).

تدرك الأصوات الوقفية المفردة (الباء، الدال) بعد إطلاق حبسها وانفجارها. وتحدث كذلك عن الصوامت غير الوقفية؛ حيث يمتد حدوثها بزمن أطول من الوقفية مثل: الطاء.

ولقد أشار ابن سينا إلى الإدغام في قوله: "أمَّا الحروف الأخرى فتمتد زماناً وتفنى مع زمان الإطلاق التام، في زمان لا نجمع فيه الحبس مع الإطلاق"(١).

ونفهم من ذلك أن زمن الحبس هو الذي تحدث فيه الأصوات الصامتة. وهذا يميز الصوت اللُّغوي عن الصوت الطبيعي. فالصوت الطبيعي لا حابس له أمَّا الصوت اللُّغوي فله حابس في جدار الجهاز الصوتي، وأيضاً ما يميز الصوت عن النفس هو الاصطدام بالجدار الصوتي. علماً بأن هناك أصواتاً لا انحباس لها في الجدار الصوتي بل انحباس في الفم وهي الأصوات المعيارية (الحركات الصوائت).

"الفتحة حركة مشبعة وصائت وسطي قصير، يكون اللسان معها مستوياً في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه؛ حيث يبقى الفم مفتوحاً بشكل

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٢٦.

متسع، وحجرات الرنين فيها كبيرة. أمَّا الشفتان معها فتكونـــان مســـطحتين منفرجتين.

الكسرة حركة ضيقة وصائت أمامي ويكون اللسان معها أقل ارتفاعاً منه مع حركة جونز المعيارية ومعها يرتفع مقدم اللسان تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ممكن؛ مع انفراج الشفتين"(١).

"الضمة: حركة خلفية ضيقة، تتكون حين يصبح اللسان أثناء تحقيقهـــا أقرب ما يمكن من الحنك اللِّين... أمَّا الشفتان تكونان مفتوحتين فتحاً خفيفـــاً ومتقدمتين نحو الأمام"(٢).

وتلك هي الأصوات المعيارية التي تقوم عليها دراسة اللُّغات واللهجات في كل لغة أو لهجة.

أمَّا الأصوات اللُّغوية فتتألف من ظواهر تنتمي إلى عالم الطبيعة والمـــادة وجب أن نعتمد -في دراسة هذا الجانب منها- على العلوم التي تعـــالج فيزيـــاء الصوت، وعلم التشريح، وعلم وظائف الأصوات.

أمَّا دراسة الظواهر المتعلقة بالجانب النفسي والعصبي فلا بدَّ من الاعتماد فيها على علم النفس والفرع الخاص بعلم النفس الفيزيائي خاصة. ولا بدَّ مـــن ذلك للمشتغلين بعلاج أمراض السمع والكلام. دراسة الصـــوتيات. ويتطلـــب علاج أمراض السمع معرفة دقيقة بالخصائص الفيزيائية لأصوات الكلام.

البنيوية تشرح لنا العلاقات المتداخلة عندما نسمع الصوت عندما يخـــرج الصوت في الاهتزاز فهي إجابة لاهتزاز جزيئات الهواء الملامسة لها. وتحدث هذه الظاهرة؛ نتيجة لاهتزاز جسم من الأجسام على نحو يؤثر على العلاقـــات بـــين

١/ عبد السلام المسدي، قضايا التعليم اللُّغوي: ص١٣٨.

٢/ عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ص٣٢١.

جزيئات الهواء المحيطة بهذا الجسم. وهذا ما يؤكده ابن سينا بقوله: "أمَّا الغين فهو أخرج من ذلك يسيراً وليست تجد من الرطوبة ولا من قوة انحصار الهواء ما تجده الخاء والحركة فيه إلى قرار الرطوبة أميل منها إلى دفعها إلى الخارج؛ لأنَّ الحركة فيها أضعف. وهو أنها تحدث في الرطوبة الحنكية كالغليان والاهتزاز"(١).

عندما تتحرك جزيئات الهواء تحت تأثير اهتزاز جسم ملامس لها ينتشر الصوت فيتولد ما يسمى بالموجة(٢) الصوتية *Sound Wave*.

ولكي ندرك الكيفية التي ينتشر بها الصوت في الهواء. علينا أن نتأمل طبيعة حركة جزئي الهواء عند حدوث الموجة الصوتية؛ إن حركة جزئي الهواء تتم إلى الأمام وإلى الخلف حول النقطة التي تفترض أنها نقطة الثبات. هو (مخرج الصوت) حيث الاهتزاز.

"ويكون الاهتزاز في تلك الرطوبة؛ أكثر منه في الخاء والغين"(٣).

ويرى الباحث أن هذه الأصوات نتاج ثنائية النطق بين الهواء الخارج من الرئتين، واحتكاك مؤخرة اللسان بالحنك اللِّين، وتظهر الرطوبة.

تشريح الحنجرة واللسان:

هناك علاقة بينهما هي أن الأول مصدر الطاقة لتحريك الثاني، فالتكوين التشريحي لا مفر من وجوده في قائمة الدرس البنيوي. وبه نعرف مخارج الأصوات، والعوامل التي تؤدي إلى الأصوات الناتجة بحيث نحدد موضع كل صوت والعامل المؤثر فيه.

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦.

٢/ يُنظر، بروفيسور محجوب العبيد طه، فيزيائية الصوت: جامعة الرياض، ١٩٨٨م، ص٤٥.

٣/ أحمد مُختار عمر، البحث اللُّغوي عند العرب: ص١١١.

وندرس الظاهرة الصوتية باعتبارها حدثاً لغوياً منطوقاً مع بيان مخرجه الذي صدر منه، والذي يعرف بالتشريح الوظيفي لجهاز النطق.

ثمة مجموعة من الأعضاء في جسم الإنسان تشارك بعدد مباشر وغير مباشر في إصدار أصوات الكلام.

فتلك الأعضاء لها وظائف في حياة الإنسان (بيولوجية) أساسية تتوقف على انتظام أدائها للإنسان كما أن لها وظائف أخرى هي وظائف النطق الكلامي تسمى أعضاء النطق أو جهاز النطق.

فالدراسة البنيوية تقوم بالوصف التشريحي لهذه الأعضاء، وبالكيفية التي تؤديها وظيفة التنفس. وهي أولى الوظائف وأكثرها عُلقة بعملية النطق.

الحنجرة:

"فالحنجرة فإنها مركبة من غضاريف ثلاثة:

أحدها موضوع إلى قدام يناله الحبس في المهازيل عند أعلى العنق تحت الذقن. وشكله شكل القصعة حديثه إلى خارج وإلى قدام، وتقعيره إلى الداخل وإلى الحلق. ويسمى (الغضروف الدرقي) و(الترس) والغضروف الثاني خلفه مقابل سطحه، وسطحه متصل بالرباطات يمنة ويسرة عنه إلى فوق ويسمى (عديم الاسم)"[1].

بدأ ابن سينا بالحنجرة فهي تقوم بوظيفتين أساسيتين: تقوم بدور الصمام الذي يحمي مَمرّ الهواء إلى الرئتين من تسلل أي جسم غريب إليها أثناء البلع.

والوظيفة الثانية هي العضو الأساسي في عملية التصويت[2].

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦.

٢/ يُنظر، أحمد مُختار عمر، البحث اللُّغوي عند العرب: ص١١٢-١١٣.

قضاريف الحنجرة هي التي تقوم بجـــل الـــدور في عمليـــة التصـــويت *Phonation*[1].

ويظهر الغضروف الدرقي يعني الجزء البارز (تفاحة آدم) والدرقي نســـبة إلى الدرق، وترسي نسبة إلى (الترس) وكلاهما يعني (درقي) و(ترس) كلمتـــان صفة أي شكل الغضروف يشبه شكل الدرع.

الرباطات: جمع رباط، هي الأغشية تقابل المصطلح الطبي (*Ligament*) وتقوم مجموعة من العضلات الدقيقة بتحريك غضاريف الحنجرة؛ ويؤدي ذلك إلى حدوث تغير في العلاقات المتبادلة بين هذه الغضاريف[2].

وأطلق على الغضروف الحلقي الذي لا اسم له: (عديم الاســـم) يعـــني (المزمار)[3] وهو غضروف مطاط يشبه ورق الشجر ويقع في مقدمة الحنجـــرة وخلف مؤخرة اللسان.

الحنجرة: عبارة عن حجرة واسعة يتحول فيها الصـــوت إلى كـــلام[4] مسموع واضح، فالحنجرة هي صلة بين الرئة والتجاويف (الفمي والأنفي).

"والغضروف الثالث كقصعة مكبوبة عليها وهو منفصل عـــن الـــدرقي

١/ المهازيل (النحفاء) جمع نحيف، يُحيط بها إطار في الغضاريف يرتبط بعضها بعض بمفاصـــل وأربطة وأغشية، وتعد الأغشية المبطنة للحنجرة امتداداً للأغشية المبطنة للبلعوم من أعلى.

٢/ مقابلة شخصية، بروفيسور محمد عبد الرحمن أرباب، اختصاصي جراحة المخ والأعصاب، جامعة الخرطوم، بمنزله بالمعمورة، وهو أستاذ جراحة المخ بجامعة الخرطوم، مـــن مواليـــد نيالا، ١٩٥٤، المقابلة يوم ٢٠٠٤/٨/٣م.

٣/ عديم الاسم: يُنظر، أحمد مُختار عمر، البحث اللُّغوي عند العرب: ص١١٢.

٤/ المقابلة الشخصية مع البروفيسور محمد عبد الرحمن أرباب: ٢٠٠٤/٨/٣م.

ومربوط الذي لا اسم له، من خلف بمفصل مضاعف يحـــدث مـــن زائـــدتين وتصعدان من الذي لا اسم له وتستقران في نقـــرتين لـــه، ويســـمى: المكـــبي والطرجهاري (كلمة فارسية)"[١].

فالغضروف الثالث هو أكبر غضاريف الحنجرة ويشبه شكل [V] وهـــو ما يقابل في التشريح الحديث بكلمة (*any tenoid*) ويقصد بها الكوب المقلوب أو فم الإبريق. "وكلمة (*any tenoid*) صـــيغة نســـب، والكلمـــة اليونانيـــة (*anytaina*) وتعني المفرقة التي يصب بها الطعام أو السوائل"[٢]، والذي عبر عنه طرجهاري -إن نظرت إليه من أعلى فستكون الناحية المفتوحـــة إلى الخلـــف- ويرى رأس الزاوية واضحاً عند الرجال بالبروز الحنجري.

وتقوم الأغشية المخاطية بشد الغضروف الدرقي من أعلى الفم اللامـــي، ومن أسفل الغضروف الحلقي. وبهذا تؤثر حركة أي مكـــون مـــن مكونـــات الحنجرة الصوتية[٣].

ولعل هذا الغضروف الثالث مزدوج أي له حالة يكون فيها مختلفاً عـــن الآخر. كما يمكننا أن نستنتج من عملية التصور وصفاً لضيق الحنجرة الأفقي أي تقارب وتباعد الحبلين الصوتيين بعضهما عن بعض. وتحـــدث عمليـــة الجهـــر والهمس في الدرس الصوتي.

كما نفهم أن غضاريف الحنجرة تقوم بدور أساسي في عملية التصويت ولذلك كان من الضروري معرفتها، ومعرفة تراكيبـــها، ومعرفـــة قـــدرتها في

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦.

٢/ يُنظر، ابن سينا، القانون في الطب: ج٢، ص٢٢٥.

٣/ مقابلة شخصية مع البروفيسور محمد عبد الرحمن أرباب: ٢٠٠٤/٨/٣م.

التحرك. فيلخص لنا ابن سينا أنواع عضلات الحنجرة ووظائفها في تقديراته:

١/ عضل يضم الدرقي الذي لا اسم له وهو المزمار.

٢/ عضل يضم الطرجهاري، وهو الكأس المقلوب (٨).

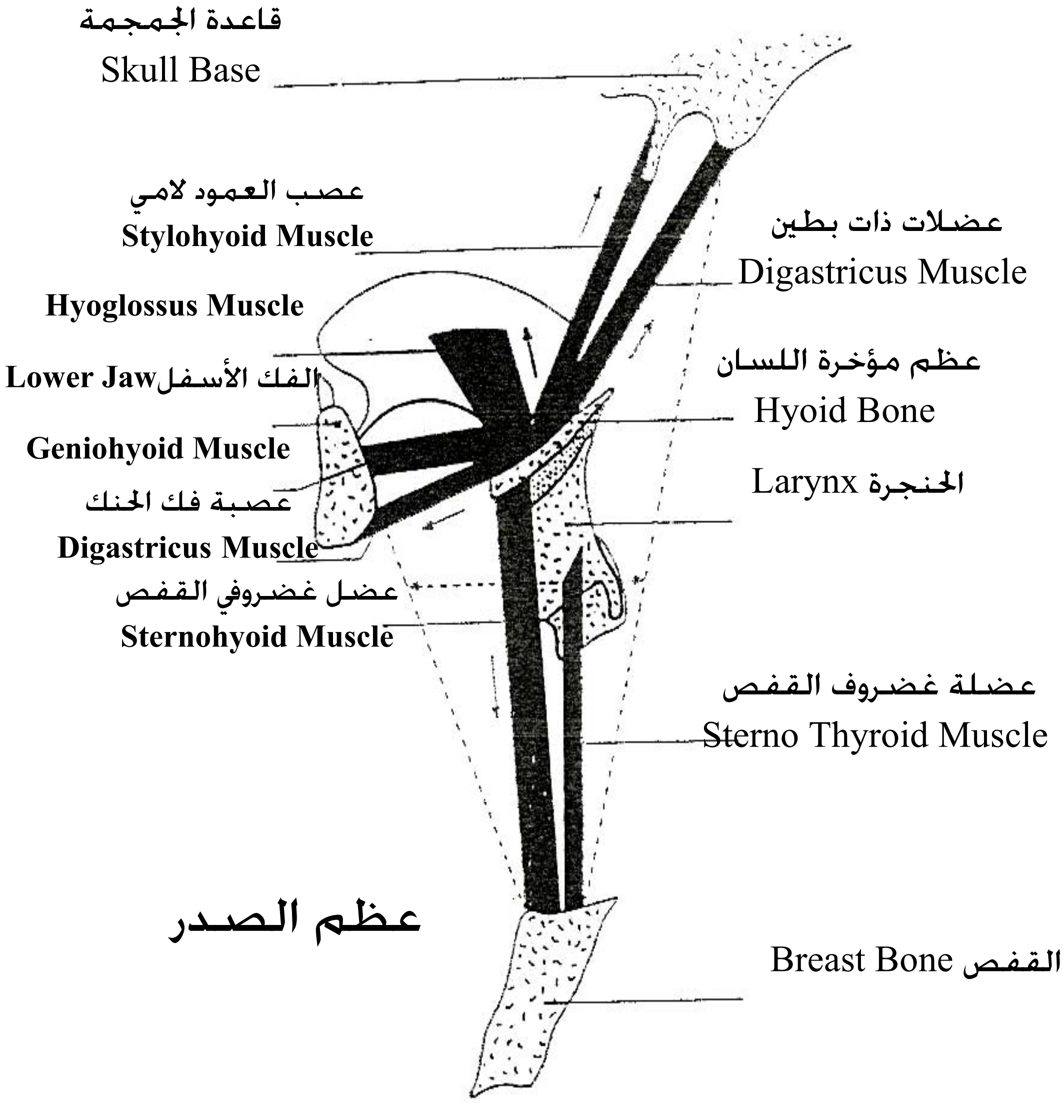
٣/ عضل يبعد عن المزمار، لعله يقصد به العنق.

"فإذا تقارب الذي لا اسم له من الدرقي حدث منه ضيق الحنجرة وإذا تنحى عنه وباعده حدث منه اتساع الحنجرة، وفي تقاربه وتباعده يحدث الصوت الحاد والثقيل"[١].

تلك هي عملية الجهر عند اقتراب الوترين الصوتيين وعكسه الهمس، وتظهر هنا ثنائية الحركة في البنيوية من خلال الجهر والهمس فكلمة من زائدتين يقصد بها الأوتار الصوتية (الوترين الصوتيين).

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦.

نـمـوذج يـوضـح الـغـضـاريـف وعـلاقـتـهـا بـالحـنـجـرة[١]



العضلات الموسعة للحنجرة هي:

عضل قصي لامي *Stemnohyoid*.

مجموعة العضلات القابضة *Groupe Tenseur*.

وهي عضلة واحدة تضم الحلقي إلى الدرقي *Crico thyrielien*.

مجموعة العضلات الفاتحة للحنجرة *Groupe dilatateur*.

١/ رسم يوضح الحنجرة وملحقاتها: جامعة الخرطوم، كلية الطب.

وهي عضلة واحدة خلفية بين الحلقي -وهي عضلة المزمار- تقوم بالضغط على الحنجرة وخفضها إلى أسفل في إنتاج الصوت.

وبذا يكون الوتران الصوتيان بمثابة الشفتين يتمتعان بقدرة كبيرة على إحداث أنماط متنوعة ودقيقة من التداخل لمجرى الهواء، وذلك بفضل تكوينها الغشائي والعضلي[١].

تشريح اللسان *The Tongue*:

"وأمَّا اللسان فتحركه بالتخفيف ثماني عضلات. منها عضلتان من الزوائد السهمية التي عند الأذن يمنة ويسرة وتتصلان بجانبي اللسان... ومنها عضلتان تأتيان من أعالي العظم الشبيه بلام، وتنفذان وسط اللسان، فإذا فتحتا جذبتا جملة اللسان إلى قدام فتبعها جزء من اللسان وامتد وطال. ومنها عضلتان من العضلين السافلين من أضلاع هذا العظم ينفذان بين المعرضين والمطولين ويحدث عنهما توريث اللسان"[٢].

لقد اجتهد ابن سينا اجتهاداً عظيماً في تشريح اللسان وهذه الدراسة تختص بعلم وظائف الأعضاء.

اللسان هو عضو نطق متحرك يقوم بدور رئيس في نطق الأصوات اللُّغوية وله أقسامه: طرف اللسان هو الجزء الأمامي المتقدم، وهو زلق نشيط في عملية النطق.

١/ المقابلة الشخصية مع البروفيسور محمد عبد الرحمن أرباب: ٣/٨/٢٠٠٤م؛ ومِمَّا يحمد لابن سينا أنه يقدم لوصفه العلمي بجمل موجزة شاملة أو عبارات تعطي صورة كاملة.

٢/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦.

الوسط: هو الجزء من اللسان الواقع بين المقدم والمؤخر ويشترك مع المقدم في الأصوات الصفرية.

المؤخر: هو الجزء من اللسان الواقع في المؤخر: هو يلامس سقف الحنك الصلب عند نطق الكاف. كما أنه يقترب من آخر الحنك الصلب أحياناً عند نطق (ظ، ص) عند التفخيم.

كما نجد آخر المؤخر من اللسان يقترب من الجدار الخلفي للحلق ويساعد في نطق الأصوات الخلفية (ح، ع).

"ونحن نقسم اللسان بالنظر إلى هيئته وموضعه من الحلق والفم، وبالمقابلة بفوائد اللُّغة والتشريح إلى:

طرف مسترق مرسل في أدنى الفم، ومؤخرة غليظة في أقصاه، وإلى حافتين مِمَّا يلي الأضراس يمنة ويسرة ... وينتهي اللسان فيما يلي الحلق برأس غليظ مدملج تلاحمه السليلة التي تحيط البلعوم ويلزق به لسان العلعمة"[1]. يعني أن مقدم اللسان ينتهي بفصلة مدببة مثل سن الإبرة.

لاشك أن عضلات اللسان الداخلية تقوم بتشكيل اللسان في أشكال مختلفة مثل التحليق، التطويل.

أمَّا العضلات الخارجية فتقوم غالباً بوظائف جذب وشد اللسان خاصة في الأصوات الشفوية.

فاللسان عضلة واحدة تقوم غالباً بوظائف مختلفة في النطق -وساهم في

١/ د. جعفر ميرغني، الجرس اللسان العربي: معهد الخرطوم الدولي، الخرطوم، ١٩٨٥م، ص٤٣.

النطق بطرق شتى- مثال القفل الكامل لمر تيار الهواء، كما في (ت، ك)، والقفل الجزئي كما في (ن)، والقفل المكرر كما يوجد في (الراء).

تشريح الأنف *Nasalcovity*:

"وأمَّا إذا كان حبس تام غير قوي، وكان ليس بالحبس كله عند المخرج بين الشفتين، ولكن بعضه إلى هناك إلى ناحية الخيشوم حتَّى يحدث الهواء عند اجتيازه الخيشوم والفضاء الذي في داخله دوياً حدث الميم"(١).

الأنف هو عضو تجويفي -وأحد تجاويف الرنين- يمر الهواء تياراً أثناء النطق.

فقد يمر التيار من التجويف الفموي أو من التجويف الأنفي -تتعلق عملية النطق بأربعة تجاويف- التجويف الرئوي، والتجويف الحلقي، والتجويف الفموي، والتجويف الأنفي. وتتعلق مهمة التجويف بعملية خروج الهواء ودخوله (شهيق وزفير) في عملية نطق الصوت.

ويقول ابن سينا: "فإن الأنف تعين في تقطيع وتسهيل إخراجها في القطع لئلا يزدحم الهواء كله -عند المواضع التي يحاول فيها تقطيع الحروف بمقدار- فهاتان منفعتان في واحدة ونظير ما يفعله الأنف في تقدير هواء الحروف وهو ما يفعله الثقب المثقوب مطلقاً إلى حلق المزمار، ولا يتعرض له بالسد"(٢).

ويرى الباحث أنا ابن سينا قد حدد دراسة فحص الأصوات في هذا النص عند دراستنا للتجاويف الأنفية.

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦.

٢/ ابن سينا، القانون: ص٢٧.

١/ تفحص موضع النطق وعمل الأعضاء على إخراج الصوت، وهي أمور تتعلق بالمخرج.

٢/ تفحص العائق الصوتي وتأثيره على درجة انفتاح الآلة المصوتة أو درجة إقفالها.

٣/ النظر في الأحداث الخاصة التي ترافق اجتياز العائق وكيفية التلفظ به.

هكذا ظهر لنا ابن سينا بأنه طبيب وأستاذ سريري في علم الأصوات ورائد الدراسات الصوتية في علم الصوتيات (*Phonetics*) دون منازع.

علماً بأن علم الصوتيات هو مدخل البنيوية -لدراسة علم تنظيم الأصوات وعلم وظائف الأصوات للدراسة الصَّرفية (مورفيمية)- عند أستاذنا ابن جِنِّي.

المبحث الثاني
ابن جِنِّي - الدرس الصَّرفي *Morphology*

ابن جِنِّي[1]:

تتألف اللُّغة من أصوات تدخل في تنظيم طبيعته الصوتية، وتقوم بذاته ولا تحتاج في تحليله إلى عناصر غريبة عن طبيعته؛ ولا تقتصر دراسة الكلــم علــى دراسة مخرج الصوت وصفته (فوتيكا *Phonetic*)، بل تتعداها إلى أبحاث تنظيم الأصوات أو وظائف الأصوات (فونولوجي) التي تحدد وظــائف الأصــوات، وخضوعها لقواعد مُعيَّنة في تجاورها وارتباطها وعلائقها المتبادلة.

وتلك هي الدراسة البنيوية التي يقصدها البحث.

إن الناظر في أمهات كتب التراث العربي المتمعن في تفاصيله وجزئياتــه يلاحظ أنها تجمع بين القواعد، والجهاز النطقي.

فإن ابن جِنِّي رائد في دراسة تنظيم المقاطع وكيفية تراكيبــها الصــرفية. (المورفيمي) الفارق بين علم الصَّــرف وعلــم تنظــيم الأصــوات (المــورفيم الفونولوجي) يظهر من خلال الدرس البنيوي للأصوات.

١/ هو: أبو الفتح عثمان بن جِنِّي- أبوه رومي- جِنِّي بكسر الجيم وتشديد النون وســكون الباء علم رومي معرب "كِنِّي" ومعناه كريم أو نبيل، وُلِد بالموصل قبل الثلاثين وثلاثمائة في الهجرة ٣٢٢هــ درس في مساجدها النحو، واللُّغة، والصَّــرف، والأدب، والقــراءات وكان تلميذاً لأبي علي الفارسي، شيوخه أبو بكر محمد بن الحسن هو من القُرَّاء وكــان راوية لثعلب وقد قرأ القرآن الكريم عليه ومجالس ثعلب. وأكثر النقل عنه في معظم كتبــه خاصة الخصائص٣٨/١ من مصنفاته: الخصائص والمنصف في كتاب التعريب شرح فيــه كتاب المازني في التصريف وسر صناعة الإعراب؛ (بغية الوعاة: ١٣٢/٢)؛ (نزهة الألباء: ص٣٣٢).

علم الفونولوجي يقوم بالتحليل الوظيفي.

ويرى الباحث أن علم الفونولوجي يبدأ بدراسة (الفونيم) ثم دراسة الصوت الصوتي (الفونيم) وينتهي عند المقطع.

أمَّا علم الصَّرف (المورفيم) فيبدأ بالمقطع –مع مراعاة أن المورفيم هو أصغر وحدة صوتية ذات دلالة– والمورفيم لا يقبل التجزئة[1] مثال كلمة (المدرسون) هذه كلمة لها وضعها الصَّرفي –كلمة– لكن هذه الكلمة بها عدة مورفيمات هي:

١/ ال: أداة التعريف.

٢/ الواو والنون علامة الجمع –جمع المذكر السالم– فالدراسة الفونولوجية تعين وظائف هذه الأصوات في التنظيم الصوتي (المورفيم التصريف مقيد سابق) والواو والنون (مورفيم مقيد لاحق).

أمَّا الدراسة الصَّرفية (المورفيمية) فتبدأ من المقاطع.

إن المقاطع الصوتية هي المقابل الثاني لدراسة الهوية الصوتية والتي تشكل أسس الدرس الصَّرفي (المورفيمي) اللُّغوي.

المقاطع الصوتية:

لا تعكس الكتابة صور التنظيم الصوتي بشكل صحيح؛ لأنَّ اللُّغة المكتوبة تمثل انعكاسات الأصوات.

١/ يُنظر، محمود السعران، علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربي: دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ص٨٦.

تتكون كل لغة من وحدات صوتية صغيرة، مكونة من حركات (صوائت وصوامت) تنظم فيما بينها لتؤلف وحدات كبرى، والأصوات البسيطة المفــردة هي الوحدة الدنيا والوحدة التي تلي الأصوات البسيطة هي المقطــع *Syllable*، وهي من أهم الوحدات اللغوية.

أمَّا اللُّغة المحكية فتمثل انعكاسات الأصوات من حيث الكم والكيف معاً.

ويحس المتكلم أن الأصوات التي ينطق بها تدخل في شكل رموز مقاربــة لنطقه. وهنا تبدأ الأصوات لتكوين تلك المقاطع.

"المقطع هو وحدة صوتية أكبر من الفونيم (عادة) وأصغر من المــورفيم (عادة) ولكن المقطع قد يكون فونيماً واحداً مثل (a') في: (*able*) وقد يكــون المقطع مورفيماً واحداً مثل (a') في: (*a book*) وللمقطع نواة أو مركــز هــو الصائت"[(١)].

يشكل نظام العربية الصوتي والصرفي من الفونيمات في أصــولها الثنائيــة والثلاثية، والتنوع البنائي للأفعال والأسماء والصفات، يجرى على ذلك ســلوك تنافس وإحكام تركيبي دقيق شدة وحدة اللُّغة[(٢)].

ولنتمكن من وصف النطق في اللُّغة والموازنة بين صورة لا بدَّ من تحليــل الكلام أي تقسيمه إلى وحدات تيار الحركات المخرجية المتواصل والأصــوات الناشئة عنها.

١/ محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللُّغة: دار فلاح، الأردن، ٢٠٠٠م، ص٦٠.

٢/ يُنظر، د. فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة: عــالم الكتــب الحــديث، الأردن، ٢٠٠٤م، ص١٠٢-١٠٣.

ويتولد عن تحليل المقطع أجزاؤه التي هي نقاط متعاقبة في سلسلة الحركات المعقدة التي تكونه.

تنقسم الأجزاء إلى حركات (*Vowels*) وصوامت (*Consonants*)[1] أساس المقطع انقباض فجائي للعضلات عند خروج الهواء من الرئتين والمقاطع العربية هي:

١/ حبيس+ طليق قصير: (بَ) ص ح.

٢/ حبيس+ طليق طويل: (ما) ص ح ح.

٣/ حبيس+ طليق قصير+ حبيس: (مَنْ) ص ح ص.

٤/ حبيس+ طليق طويل+ حبيس: (بابْ) ص ح ح ص.

٥/ حبيس+ طليق قصير+ حبيس+ حبيس: (بنْتْ) ص ح ص ص.

٦/ حبيس+ طليق طويل+ حبيس+ حبيس: (مادّ) ص ح ح ص ص[2].[3].

المقاطع العربية ضرب ينتهي بصوت ساكن، ويسمى مقفولاً (*close*) والآخر بصوت صائت طويل أو قصير ويسمى مفتوحاً (*open*) مثال المقطع الأول والثاني. لا مناص من أن تتوافر لدارس اللُّغة مجموعة من المصطلحات والمفاهيم للتحليل البنيوي.

كلمة حبيس تعني الصوت الساكن الصامت، وكلمة طليق تعني الحركة

١/ يُنظر، كمال بشر، علم الأصوات: ص٢٧١.

٢/ يستبدل تمام حسان مصطلح ح ح بمصطلح (م).

٣/ يُنظر، د. فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة: ص١٠٠-١٠١.

الإعرابية مطلقاً. كلمة طليق طويل تعني: صوت الصائت اللِّين: الألف، والواو، والياء.

"... فما قلبوا فيه الواو ياء: (ديَّار، قـــيَّام) وإنما الأصل: (ديوار، قيوام) ولكنهم قلبوا الواو للياء الساكنة قبلها كما قالوا: ميِّت، سيِّد. إنها أصل: ميّوت، سيّود"(١).

ديوار: الدال: صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور. الياء: صوت غاري مجهور. الواو: صوت شفوي لين. الألف: صوت صائت لين هوائي. الراء: لثوي مكرر. قالوا ديار تتكون الكلمة من مقطعين:

(دِ/يار) ص ح/ص ح ح ص. المقطع الأول هو المقطع الأول من حبيس+ طليق قصير. والثاني من نوع المقطع الرابع: حبيس+ طليق طويـــل+ حبـــيس. كذلك قيام: ص ح/ص ح ح ص.

أمَّا كلمة ميِّت: مييت: ص ح ص/ص ح ص.

كلمة سيود: ص ح ص/ود: ص ح ص. المقطع الأول من النوع الثالث من المقاطع العربية، ونرى ابن جِنِّي قد سعى إلى ضبط الأصوات عـــن طريـــق البنيوية التقطيعية وإثبات علاقة المقاطع فيما بينها في نسق بنيوي ممتاز. ويقول: "ومنه ما يكون للمد يعني الـــواو في (عجـــوز وعمـــود) الألـــف في كتـــاب وسراج"(٢).

الفعل عَجَز: ص ح/ص ح/ص ح= مقطوع مفتوح.

١/ ابن جِنِّي، المنصف لكتاب التصريف للمازني: تحقيق محمد عبد القـــادر عطـــا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٣٠٠.

٢/ ابن جِنِّي، المنصف: ص١٤.

وكلمة عجوز تتكون من مقطعين: عـَ: ص ح/ جـوز: ص ح ح ص. تتكون من المقطع الأول والمقطع الرابع. المقطع الأول مفتوح والمقطع الثاني متوسط مقفول.

أمَّا كلمة كِتاب: كـِ/ص ح/. تاب: ص ح ح ص/ مقطع أول صغير مفتوح ومقطع ثاني مقفول.

سِراج: ص ح/ ص ح ح ص/.

ومن خلال هذه الدراسة البنيوية للمقاطع وهو أن الحد الأقصى للمقطع هو ثلاثة صوامت.

أمَّا الحد الأدنى فهو صوت صامت واحد، ونلاحظ أن الصوت الصائت لين، وهو شرط أساسي في بنية المقطع؛ كما أن حركة الصوت الصائت تلي الصوت الصامت.

"اعلم أن الثلاثي على ضربين: أحدهما يتفق ذوقه ويسقط عنك الشكل في حروفه أصله كضرب، وقتل، ما تصرف منهما، فهذا ما لا يرتاب به، في جميع تصرفه، نحو ضارب ويضربُ، مضروب، قاتل وقتال "ونحو ذلك، فما كان هذا مجرداً واضح الحال من الأصول، فإنه يحمي نفسه وينفي الظنة عنه"[1].

وهنا يشير إلى الثلاثي وتقسيماته من حيث الاشتقاق المقطعي قوله: يسقط حركة، أي هناك حركة تتغير بحركة أخرى في المقطع.

وفقاً للتركيبة البنيوية فهي تؤدي دوراً وظيفياً، وعلاقة الكلمة المشتقة بأصولها الثابتة.

١/ ابن جنِّي، الخصائص: تحقيق محمد علي النجار، م دار الهدى للبيان، ج٢، ص٤٤.

ضَرَبَ ثلاثة مقاطع (ضَ/رَ/بَ): ص ح/ص ح/ص ح/ مقطع مفتوح وهو المقطع الأول مكرر.

أمَّا كلمة ضارب: ضا: ص ح ح/. رِب: ص ح ص. من مقطعين الأول مفتوح والثاني مقفول.

أمَّا كلمة ضالِّين تتكون من المقاطع الآتية:

ص ح ح ص/ص ح ح ص. وهو المقطع الرابع مكرر.

أمَّا كلمة يضرب: ص ح ص/ص ح/ص ح. فمن ثلاثة مقاطع: مقطع أول مقفول ومقطعين هما المقطع الأول مكرراً.

كلمة مضروب: ص ح ص/ص ح ح ص. مقطعين مقفولين.

وكلمة قتال: ص ح/ص ح ح ص.

وهنا يظهر لنا التقطيع وعلاقته بجذور الكلمة. فكلمة ضارب، مضروب صفات مشتقة من أفعال. وأن العلاقة عرفية من حيث التجاوز بين المفردات في اتحاد أصولها.

"إن المقطع هو عدو الأصوات التي يمكن أن يخرجها الإنسان في دفعة واحدة من دفعات الزفير"(١).

ولعل الدراسة البنيوية للمقاطع هي الوسيلة التي تحدد معالم الكلمة فالمقطع هو: أساس من أسس التحليل اللُّغوي. كذا لَمْ يعد أحد الآن أن ينظر

١/ عبد العزيز الصبغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٢٧٨.

إلى المقطع على أنه ظاهرة صوتية لا حدود لها. فالمقطع هو تتابع الفونيمات في اللُّغة.

"أمَّا ما كان على فعْلى من ذوات الياء فإن ياءه تقلب واواً إذا كان اسماً، وتترك ياء على هيئتها إن كان نعتاً"[1].

مثال الاسم: فتوى، تقوى، دعوى. الأصل أي أصل الكلمة: تقي، وعند تحويلها إلى اسم نقول: تقوى.

فإبدال الياء واواً دلالة على أن الاسمية أمكن في الثبوت والاستقرار في مضمون الفهم. أمَّا النعت فهو شيء عارض.

كما أن الواو صوت شفوي مجهور، والياء صوت غاري متوسط مجهور.

تقوى: ص ح ص/ص ح ح. ونلاحظ هنا أن الواو صوت صامت ويعتبر حبيساً، والكلمة من مقطعين: مقطع أول هو المقطع الثالث والمقطع الثاني. فالدراسة البنيوية هنا توضح لنا علاقة الصوت الصامت (الواو) بالصوت الحبيس طويل الياء في الآخر.

كلمة تقيا: ص ح ص/ص ح ح. كلمة تقى: ص ح ص/ص ح ح.

الأصوات: الواو الياء في هاتين الكلمتين هي أصوات صامتة وليس بصائت لين. وقال الفرَّاء: "... إن الواو إنما حذفت من (يعد ويزن) لأنهما متعديان"[2].

فالدراسة البنيوية تقتضي أن تحلل الكلمة عن طريق المقاطع الصوتية.

١/ المبرِّد، المقتضب: البابي الحلبي، ج١، ص١٧٠.

٢/ ابن جِنِّي، المنصف: ص١٨١.

الدراسة الصَّرفية تقول: (يوعد) حذفت الواو، لوقوعها بين ياء وكسر، وهما ضدان للواو فصارت الكلمة تَعِد في وزن المضارع يزن ولا يقال: يوزن.

أمَّا الدراسة البنيوية فترى وجود صوتي لين صائتين في مقطع واحد لا يجوز عند التقطيع: يوعد: ح ح ح ح. لابتدأ العربية الأصوات الصائتة. ولا الصوت الصائت لين: فكلمة **يوعد**: الياء: صوت غاري، والواو: صوت شفوي، وكلاهما مجهور، وهناك أصوات معيارية. فكلمة يوعد (*Yiu:?udi*) لايستقيم النطق في الكلمة.

فكلمة **يعد**: الياء صوت صامت ثم من بعد الكسرة صوت معياري بدأ الكلمة بالساكن ثم الصائت القصير يعِدُ: ص ح/ص ح/ ص ح. كلمة مكونة من ثلاثة مقاطع هو المقطع الأول مكرر. وهو مقطع مفتوح.

"أمَّا ما كان لحقته تاء التأنيث من الأبنية أي على أحرف هذه الأبنية فعلى ضربين: أحدهما ما يكون اسماً غير صفة، والآخر ما كان صفة ويبتدأ بما كان غير صفة.

أمَّا إن كان على فعْله، فإن جمعه في أدنى الألف والتاء وفتح العين منه حَفْنة حفنات، وجمرة جمرات"[(١)].

تتكون الكلمتان من مقطعين متوسطين كل منهما مقطع مقفول.

حَفْنة: ص ح ص/ص ح ص.

جَمْرَة: ص ح ص/ص ح ص.

١/ أبو علي الفارسي، التكملة: تحقيق كاظم بحر المرجان، دار الكتب، الموصل، ١٩٨١م، ص١٥٥.

الكلمتان من مقطعين هما المقطع الثالث مكرر مقفول.

كما في حفنات: ص ح ص/ص ح ح ص.

وكذلك جمرات: ص ح ص/ص ح ح ص.

تتغير الأمور في الدرس البنيوي حيث إن هناك زيادة في مبنى الكلمة فأصبحت الكلمتان في الأول مقطعاً ثالثاً مقفولاً. والمقطع الثاني أصبح مقطعاً رابعاً مقفولاً أيضاً.

وتؤكد لنا الدراسة البنيوية أن العلاقات بين المقاطع علاقات مترابطة ومن حيث أنها مقاطع مقفولة.

كما أننا نجد المقطع المقفول أقوى نبرة في الصوت البنيوي. ولعل ابن جِنِّي يشير إلى كيفية بناء الكلمة من خلال المقاطع الصوتية تمهيداً لوضعها بتحديد وظائف الأصوات الصامتة فيها.

ويرى بعض المحدثين(١) أن القدماء يرون أن الحرف يقتضي حركة لازمة له، وليست حركة مستقلة كعنصر من عناصر الكلام.

إلاَّ أن الدرس اللُّغوي الحديث -ينظر إلى الموضوع- بكل أبعاده الشمولية وأن البنيوية تقوم بالدراسة الجادة لتلك العلاقات في الأصوات فيما بينها.

وإن دراسة الكلمة صرفياً لا تتم إلاَّ بمعرفة المقاطع الصوتية. المقاطع تشمل الأصوات (الصامتة والصائتة) معاً.

فالحركة أي الصوت الصائت له قيمة في الدرس اللُّغوي، وهي أساس في بنية الكلمة.

١/ يُنظر، عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية: ص٦٤.

"اعلم أن (حاحَيْت، وعاعَيْت، وهاهَيْت) أصلها: (حَيْحَيت، وعَيْعَيْت، وهَيْهَيْت) وهي من مضاعف الياء ونظيره (قوْقيْت وضوْضيْت)، من مضاعف الواو، وإنما قلبوا الياء ألفاً شبيهاً بها"[١].

فمقاطع هذه المفردات على النَّحو التالي:

- حاحيت: ص ح ح/ص ح ص/ص ح. ثلاثة مقاطع، الأول هو المقطع المفتوح من المقاطع العربية المفتوحة، والثاني مقفول، والثالث مفتوح.
- عاعيت: : ص ح ح/ص ح ص/ص ح. ثلاثة مقاطع،الأول هو المقطع المفتوح من المقاطع العربية المفتوحة، والثاني مقفول، والثالث مفتوح.
- هاهيت: ص ح ح/ص ح ص/ص ح.
- حَيْحيت: ص ح ص/ص ح ص/ص ح. بدأت بمقطع مقفول، وانتهت بمقطع مفتوح.
- عَيْعَيْت: ص ح ص/ص ح ص/ص ح. نلاحظ أن المقطعين الأولين من نوع واحد.

"اعلم أن القلب إنما وجب في (سياط) ونحوه الأشياء تجمعت لا شيء واحد :

١/ منها سكون الواو في الواحد، والحرف الساكن ضعيف يقبل العِلَّة.

٢/ ومنها انكسار السين في (سِياط).

١/ ابن جنِّي، المنصف: ص٤٢٠.

٣/ ومنها وقوع الألف بعد الواو، الألف قريبة الشبه من الياء ومنـــها أن الكلمة جمع والجمع أثقل في الواحد.

فلَمَّا تجمعت هذه الأشياء المستقلة كلها هربوا من الواو إلى الياء يــدلُّك على أن مجموع هذه الأشياء هو الذي أوجب القلب لا الواحد منفرداً"(١).

وهنا إشارة واضحة لدراسة العناصر المشتركة في المكــون التركيـــبي للكلمة وتلك هي الدراسة الوصفية اللغوية. وكذلك نفهم أن المقطــع مــرتبط بعلاقات داخلية مشتركة بين المقاطع فيما بعضها ببعض.

كلمة سوْط وعند الجمع سوْاط: ص ح ص/ح ح ص. وجــود مقطــع صائت طويل في أول المقطع لا يجوز. وعليه قلب الواو لتصير صوتاً صامتاً بعــد أن كانت صوتاً صائتاً ليناً فنجد كلمة سِياط: ص ح/ص ح ح ص. الكلمة من مقطعين مقطع صغير مفتوح ومقطع وسط مقفول.

ويكون حبيس + طليق قصير + حبيس + طليق طويل + حبيس.

"أمَّا البدل أي النون في فعلان فعلى نحو سكران وغضبان وحيران. بــدل من همزة فعلاء واحد، نحو حمراء وصفراء، ومنها أن الحركة والسكون في فعلان فعلا وأن فعلا لذلك"(٢).

عند التقطيع نجد كلمة سكران: ص ح ص/ص ح ح ص. وغضبان: ص ح ص/ص ح ح ص. مقطعين مقفولين.

أمَّا مقطعا حمْرَاء، وصفراء: ص ح ص/ص ح ح ص. فمــن الملاحظــة

١/ ابن جنِّي، المنصف لكتاب التصريف: ص٣٤٢.

٢/ ابن جنِّي، سر صناعة الإعراب: دار الملايين، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٣٥.

فيهما أن الهمزة تنتهي بوجود الألف؛ لأنها صوت حنجري مع الألف صــوت هوائي وتبقي حركتها في الألف.

تتكون الكلمة من مقطعين: مقفولين.

"فإن كان المقصور رباعياً وألفه بدل غير زائد كان الوجه قلبها واواً تقول في مرمى: مرموي. ويجوز مرميّ بحذفها"[1]. فهي كلمة (رباعية) مقصور آخــر ألف لازمة قبلها فتحة.

والتقطيع: مرمى: ص ح ص/ص ح ص ص.

ويجوز مرموي: ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص. تتكــون مــن ثلاثــة مقاطع: مقطعين متوسطين، ومقطع صغير مفتوح.

ومن هنا تظهر لنا خصائص البنية المقطعية لبناء المفردة العربية على النَّحو التالي:

"١/ إن جميع الأشكال المقطعية العربية تبدأ بصامتين ومن ثم فلا وجود في العربية لمقاطع تبدأ بحركة.

٢/ إنه لا يلتقي صامتان في مقطع واحد في بداية الكلمة ولا في حشوها ولا في آخرها إلاَّ في حالة الوقف.

٣/ يقصر الحركات الطويلة في المقاطع المغلقة"[2].

فالدراسة البنيوية لطبيعة المقطع هي التي تحدد نوع المقطع.

١/ ابن جنِّي، اللمع في العربية: دار عالم الكتب الحديث، ١٩٨١م، ص٢٦٦-٢٦٧.

٢/ فوزي الشايب، أثر القوانين في بناء الكلمة: ص١٠٢-١٠٣.

ويرى الباحث أن الدراسة البنيوية للمقاطع لا تتناقض مع الأجزاء الـــتي تولف التنظيم اللُّغوي، بل تتعاون مجتمعة لتشكل وحدة متناسقة لبناء الكلمـــة صرفياً (مورفيم).

الدرس الصَّرفي (المورفيم):

"علم الصَّرف: هو العلم الذي يبحث في الوحـــدات الصَّـــرفية، أي في المورفيمات أو المرفيمات، وهو بذلك جزء من علم القواعد الذي يتكون مـــن علم الصَّرف والنحو... علم الصَّرف يبحث في بناء الكلمة"[١].

هناك فارق بين علم الصَّرف والمورفيم: علم الصَّرف يبحـــث في بنيـــة الكلمة كلها وهو يبدأ من المقطع.

أمَّا المورفيم فهو يبحث في الوحدات الصوتية الفونمات وهو أصغر وحدة صوتية ذات دلالة.

وهناك فارق آخر: الصَّرف في الكلمة. والكلمة تقبل التجزئة وعرفت أنها قول مفرد[٢].

أمَّا المورفيم فلا يقبل التجزئة، بل هو قادر على إيجاد المعنى الدلالي.

دراسة المورفيم في الدرس البنيوي وهو المـــورفيم *Morphology* الـــذي يختص بدراسة الصيغ وتنظيم الأصوات في نسق مُعيَّن يشكل موضوع الـــدرس اللُّغوي وعلاقته بالأصوات.

فالعلاقة بين المورفيم والوحدات الأخرى -الألفون- الفونيم، والمقطـــع هي جزء من النظام التعبيري اللُّغوي للكلمة.

١/ د. محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللُّغة: ص٩٧.

٢/ يُنظر، ابن هشام، قطر الندى: ص١٣.

وقد يتألف المورفيم الواحد من عدة فونيمات في الكلمة الواحدة مثال (الجامعة) مورفيم التعريف (ال) ومورفيم جامع، ومورفيم التأنيث تاء التأنيث.

من خلال الدراسة تظهر لنا أن البنية المقطعية للاصقة (ال) تتكون من ثلاثة فونيمات على النَّحو: ص ح ح ص، إذ أن الهمزة لا توجد سواء كانت قطعاً أم وصلاً؛ لأنَّ البنية المقطعية لا تتحمل ذلك وأن الهمزة فونيم صامت (*Consonant*) شأنه شأن بقية الصوامت وعندما تسقط في الدرج تكون (ألفون *Allophone*)[1].

إن بيان وظيفة الكلمة صرفية تختلف من الكلمة المورفيمية.

فالكلمة المورفيمية وظيفتها تناول التحليل في مستوياته كافة من الفونيم إلى كماله مورفيم -وهي وظيفة تركيبية- فكلمة (فلك) تطلق على المفرد - الجمع والمذكر والمؤنث- هي مورفيم حر، وهي تحمل قابلية الدلالة على المورفيمات المذكورة سابقاً وذلك عند وضعها في السياق البنيوي.

وقد يكون المورفيم من كلمة واحدة: (سين، سوف) التي تستخدم للتسويف وقد يكون مورفيم من فونيم صامت مثال: ذهبتْ، تاء التأنيث الساكنة.

وقد يكون المورفيم من مقطع صغير: قمتُ، قمتَ، قمتِ. هي تاء المتكلم بصورها الثلاث.

فعلم المورفيم يتولى دراسة بنية الكلمة دراسة صرفية، لكن يختلف عن صرفية النحو العربي.

١/ يوسف الخليفة أبو بكر، محاضرات في معهد الخرطوم الدولي: ١٩٨٥م.

"مفهوم البنية في ذاتها مفهوم مجرد، ودور العلاقة في تحديد نوع البنية ونوع طرفيها يجعل العلاقة أكثر تجريداً من البنية، فالبنية اللغوية متى كانت مجردة كانت شكلاً أجوف. فالطرفان محلان لا تجسيد لهما وإنما تحدد المحل بالنسبة إلى الآخر بحسب وظيفته بالنسبة إلى الآخر في تكوين البنية"[١].

لا شك أن العربية لغة اشتقاقية. وإن اعتمدت منابع أخرى فإنها تصوغ للمعاني المتعددة أبنية متنوعة من الجذر الواحد. ومن هذا النص نستطيع وضع عدة مورفيمات تركيبية في بنية واحدة.

أولاً علامة التثنية في المثنى الألف والنون في حالة الرفع. والياء والنون في حالتي النصب والجر.

مثال: الولدان.

مورفيم التعريف مورفيم قصير سابق[٢]. الألف والنون مورفيم الرفع مقيد لاحق. وكذلك الياء والنون في حالتي النصب والجر (مورفيم لاحق) كذلك كلمة مسلمون جمع مذكر سالِم. الواو والنون مورفيم الرفع لاحق وكذلك الياء والنون في حالتي النصب والجر مورفيم مقيد.

كلمة الجمع جمع التكسير مثل رجل: رجال. رجال: مورفيم صوتي داخلي فهي مدة الفتحة لتغير المفردة اللفظية.

رجل: رجيل. ياء التحقير مورفيم صوتي، (مورفيم داخلي)، الإضافة.

١/ محمد صلاح الدين الشريف، الشرط والإنشاء النحوي لكون: جامعة منوبه، تونس، ٢٠٠٢م، ج١، ص٢٨٦.

٢/ سابق في *prefix* الوسط حشو *infix* الأخير لاحق *sufix*.

أستاذي: ياء النسب مورفيم مقيد لاحق.

هذا النص نشير فيه إلى المورفيم المقيد والمورفيم الداخلي، والمورفيم الحر.

أنواع[1] المورفيم[2]:

١/ المورفيم الحر *Free Morpheme*:

وهو عبارة عن وحدة صرفية مستقلة، أو تركيب (*Formant*) يشمل الكلمات المفردة المستقلة، ضمائر الرفع المنفصلة.

٢/ المورفيم المقيد *Bound Morpheme*:

وهو كل وحدة صرفية متصلة بالكلمة، وارتبطت مع المورفيم الحر، ويشمل علامتي الرفع في المثنى وجمع المذكر السالم، وكذلك علامتي النصب والجر في المثنى وجمع المذكر السالم، وأحرف المضارعة، وياء النسب والإضافة، ومورفيم الطلب السين وسوف. استفعل (سوف يعمل). ومورفيم التعدي صيغة أفعل، وله أمثلة في اللُّغة الإنجليزية *Replay*، *Boos*، *Unlucky*.

٣/ المورفيم الصوتي- الداخلي:

يمثل في العربية في جمع التكسير والتصغير ويسمى الحشو (*infix*) ومثاله في الإنجليزية: *Man*، *Men*.

"فإن كانت (الواو) ساكنة قبلها ضمة قلبتها لضعفها ياءاً لينة تقول في عجور: (عجير) وفي عمود: (عميّد)"[3].

١/ هناك نوع من المورفيم نادر الاستعمال يسمى المورفيم المفرغ، مثال: (*Children*) قياساً يجمع: (*Oxen*)؛ يحتاج إلى مناقشة في العربية.

٢/ يُنظر، عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ص٤٢٦-٤٢٨.

٣/ عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ص١٨٠.

فكلمة قِنْديل عند التصغير تكون: قُنيديل، فنرى أن الكسرة في القاف انقلبت إلى ضمة مع وجود ياء التصغير، فالدراسة هنا دراسة مورفمية من حيث دلالة الصيغة، وإن الياء مورفيم صوتي داخلي (*Infix*) ومشاركة الضمة الياء في تكوين شكل الكلمة.

٤/ المورفيم الإسنادي *Zero Morpheme*:

ويسمى المورفيم الصغرى ويختص هذا المورفيم بأنه مورفيم تركيبي لا وجود له في الرسم الكتابي. إنما هو صورة في الذهن مثال الضمائر المستترة والصيغ في المشتقات والإسناد في الجملة. مثال: أنت فعلت، مورفيم الغائب، ومنه المورفيم الصفري المفردات الآتية: (مفعال، مفعل، مفعيل، فعال، فعول) وهي صيغ المذكر والمؤنث[١].

المورفيم تركيبة صرفية لها زمن لغوي، كأن يقال: "أمَّا الزمن الصرفي فهو ما تقدمه معطيات النظرية الصرفية العربية ومعاييرها عن طريق اعتماد ما يدور حوله من اللواصق (المورفيمات) والسوابق، والدواخل، وهذا الزمن يوصف دائماً خارج السياق. وعلى هذا فالأزمنة العربية أزمنة صرفية، تعامل معها النحاة والصرفيون على السواء من خلال ثلاثيتها المعروفة (الماضي والمضارع والأمر)"[٢].

ويرى الباحث أن الزمن صيغة صرفية له دلالته في السياق العربي أمَّا الزمن في اللُّغة الإنجليزية فيظهر من خلال انشقاق الكلمة وتصريفها مثال: (*do, did, done*) مضارع، وماضي، ومستقبل.

١/ يُنظر، أشواق النجار، دلالة اللواصق التصريفية في العربية: ط١، عمان، ٢٠٠٦م، ص١٧٣.

٢/ يُنظر، أشواق النجار، دلالة اللواصق التصريفية في العربية: ص١٧٣.

"ضرب مثال الماضي فإذا أردت المضارع قلبت إلى يضربُ... الخ. يريد به بيان ضروب التعبير، في هذه الكلمات حين تصرفها"[1].

ونفهم من هذا النص أن كلمة ضرب في التحليل البنيوي مورفيم حر وعند اتصالها بأحرف المضارعة أصبحت مورفيماً مقيداً سابقاً. كما أن الفعل الماضي المبني للمجهول تحدث به بعض التغييرات بضم أوله وكسر ما قبل الآخر. وهذا نوع من أنواع المورفيم الداخلي، كُسِر الزجاجُ. مثال آخر: أعطيتُ محمداً قلماً. التاء تاء المتكلم مورفيم مقيد. محمداً وقلماً مورفيم حر. محمد فاعل في المعنى. قلماً مفعول في المعنى وذلك بفصل المورفيم المقيد تغيرت الكلمات التي يقصدها ابن جنِّي.

"قولهم نحو ذلك: ميزان وميعاد، تقلب الواو ياء، يدلُّ على أن الكسرة لَمْ تحدث قبل الميم، لأنها لو كانت حادثة قبلها لَمْ تك الواو فكان يجب أن يقال: مِوْزان، ومِوْعاد، وذلك أنك إذاً إنما تقلب الواو ياء للكسرة التي تجاورها من قبلها"[2].

وهنا نلاحظ الواو ساكنة غير مشددة وقبلها كسرة والأصل مِوْزان، وموعاد، موقات، بدليل الوزن، والوعد، والوقت، فلذلك قلبت الواو ياءاً[3].

يرى الباحث أن هذه الدراسة تشمل الجانب المقطعي والجانب المورفيمي أصل الفعل: وزن، وعد.

وجود الميم في أول الكلمة موزن، موعاد، مورفيم مقيد سابق ووجود الألف في وسط موعاد مورفيم صوتي (حشو).

١/ ابن جنِّي، المنصف: ص٢٧٤.

٢/ ابن جنِّي، الخصائص: ج٢، ص٢٢.

٣/ يُنظر، عباس حسن، النَّحو الوافي: ط٣، دار المعارف، القاهرة، ج٤، ص٧٧٨.

الواو موجودة قبل المورفيم السابق، ووجود كسر وهي صوت صائت بعد الواو الصائت لين يحدث خللاً في النطق؛ ولذلك استبدلت الواو بالياء؛ لأنَّ الواو والميم صوت شفوي من مخرج واحد.

وقد يأتي المورفيم أقوى ويستدل عليه من طبيعة الائتلاف بين عناصر التركيب في البنية. مثال: أرضعت الصغرى الكبرى.

فهنا لا يظهر التركيب في الاسمين أيهما هو الفاعل وهنا يرجع إلى طبيعة الكلمة وفق تسلسلها السياقي.

لكي نستدل على فاعلية الفاعل ومفعولية المفعول، فالوظيفة النحوية حددت على أساس موضوعية المورفيم، أو موقعيته. وهنا يدرك الفاعل والمفعول من خلال المقام السياقي.

"كل اسم كانت في أوله ميم زائدة -مِمَّا ينقل ويعمل به- فهو مكسور الأول نحو: مطرقة، ومروحة. إلاَّ ما استثني من ذلك فهذا لا يفرقه إلاَّ من يعلم أن الميم زائد، لا يعلم ذلك إلاَّ من طريق التصريف"(١).

قد يكثر المورفيم المقيد السابق في معظم الآلات غسيل: مغسلة، مكنسة، وتلحقها مورفيم التأنيث هي التاء.

والمقيد اللاحق للأسماء الصحيحة والمنقوصة دون حدوث أي تغيير في البنية نحو زنيبات، قاضيات، أمَّا عند التصاقها بالأسماء المنهية بلاحقة التاء فتحذف التاء منها نحو: فاطمة: فاطمات مع تعويض تاء محذوفة.

فالدراسة البنيوية تقتضي أن تدرس الكلمة من فعلها إلى وصفها الحالي فهي دراسة لكل العناصر التي تشمل التركيب اللُّغوي.

١/ كمال بشر، دراسات في علم اللُّغة: ص٩٠.

مطرقة اسم للآلة من الفعل طرق، راح منها اسم الآلة مروحة. المـــورفيم هنا يحدد الوظيفة الدلالية للمفردة اللفظية.

وللنظم علاقة وثيقة بالمورفولوجيا وذلك لأنَّ التركيبات المورفولوجية في اللُّغة عادة ما تحكمها إلى درجة كبرى الترتيبات النظمية، أي الترتيبـــات الـــتي يتبعها الكلام، ولأنَّ الوحدات التي تبنى منها الجملة تتكون من كلمات على أنها أعضاء من أقسام شكلية (اسم، صفة، فعل... الخ).

لذا فإن المورفيم يغير وحدة الموضوع في الصيغ الصَّرفية، تختص مجموعـــة الصور داخل أبنيتها التركيبية؛ وتؤدي إلى تغير المعنى الدلالي المـــتغير. "يتكـــون (المورفيم) من الفونيمات اللُّغوية المختلفة، حيث ترتبط أصوات الفونيمـــات في تنويعة لا نهائية لشكل المورفيمات... وفي اللُّغة العربية يتكون (المـــورفيم) تبعـــاً لعدة قوانين، صوتية ولغوية"[١].

إن دراسة المورفيم تحدد لنا التعريف بالمباني الصرفية[٢]. ومعانيها الوظيفية وهي:

١/ الوظائف الصَّرفية للكلمة. ٢/ الوظائف النحوية للكلمة.

ويلحظ من ذلك أن (المورفولوجيا) تهتم بدراسة بنية الكلمة من حيـــث تصريفها، للدلالة على الزمن، والتذكير، والتأنيث، والإفراد والتثنيـــة والجمـــع، ويتحقق ذلك عن طريق اللواصق التصريفية كالألف والنون (ان) للدلالة علـــى التثنية، والهمزة للتعدية، والسين للاستقبال، ويصب علم الصَّـــرف في حقلـــين كبيرين هما: التصريف والاشتقاق.

١/ د. وفاء محمد البيه، أطلس أصوات اللُّغة العربية: ص١٢٦.

٢/ يُنظر، حلمي خليل، الكلمة دراسة معجمية لغوية صوتية: الجامعـــة الإســـكندرية، د.ت، ص٥٧.

أمَّا الوظائف الصَّرفية للكلمة فتعني المعاني المستفادة من الأوزان المجـــردة مثل: اسم الفاعل -فاعل اسم المفعول- مفعول الفعل المتعدي بالهمزة، وظيفـــة المورفيم تقسيم الكلمة إلى عناصر ثم يقوم بتصنيف العناصر المكونة لهـــا علــى المستوى الصوتي -الفونولوجي- حيث التعرف على الفونيمات المكونة لها.

كما قد يكون المورفيم جزءاً من البنية الإعرابية المستعملة كما ظهر لنا في التثنية والجمع. كما أن دراسة المورفيم لها محاور مهمة هي:

أ- **المورفيم**: ينقسم إلى متصل ومنفصل، المتصل بقي به المقيد والداخلي هو الذي يساعد على معرفة هياكل التوزيع في الكلمة، يقوم على الموقعية والبنية.

ب- **المكونات المباشرة**: وهي الأجزاء التي تم تحليلها، في الكلمة.

جـ- **التحويلات**: وتهدف إلى الكشف عن الثوابــت والمــتغيرات في النظام اللُّغوي، ويُقصد بها المورفيم الداخلي.

ولعل كتاب (**الخصـائص**) هو أثمن الكتب العربيــة في مجـــال دراســة الفونولوجي والمورفيم.

لا شك أن ابن جِنِّي عالِم ومحيط بهذا الفن من الدرس اللُّغوي.

فالبنيوية التي تبحث فيه البحث على المورفولوجيا التعريفية، تتضمنها أبنية (صـــرفية) ذات وظيفـــة نحويـــة (*Inflection Morphology*) أي إن المـــراد بالتصريف ليس علم الصَّرف البحت وإنما المقصود به هو تعريف البنية من حالة إلى أخرى في تنوع صوتي.

هناك لهجة عربية تسمى: لغة (أكلوني البراغيث)[1].

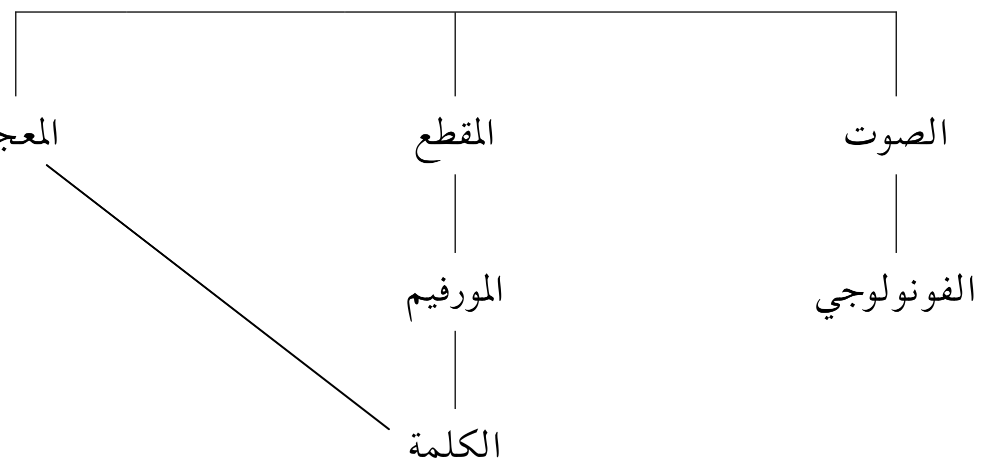
فالجملة تقوم على تركيب صوتي صرفي نحوي.

١/ يُنظر، ابن عقيل، ألفية ابن مالك: ج١، ص٣٥.

الإعراب: أكلوني: كلمة لها مدلولاتها في النحو العربي، تتركب من فعل، فاعل، مفعول. الواو: فاعل، وضمير المتكلم: مفعول. النون: للوقاية. البراغيث: بدل وبدل المرفوع مرفوع. الواو: مورفيم مقيد فاعل، ضمير المتكلم الياء: مورفيم مقيد مفعول. البراغيث: مورفيم حر بدل.

فدراسة البنيوية للمورفيم تمهد لدراسة الكلمة. وإذا كان للمورفيم وظيفة على مستوى التركيب (فإن اللواصق سابق ولاحق) أيضاً لها وظيفة مهمة داخل بنية تركيب الجمل (*The Syntactic Structure*) وعليه فإن اللواصق ترتبط على نحو متعلق بالتركيب. وتسمى الجذور الملتصقة بالكلمات المركبة (*Compound Words*)[1].

قال الرماني في تحديد التركيب: إن المركب من كلمتين بمترلة اسم واحد في شدة الانعقات.



رسم يوضح العلاقة البنيوية
بين الصوت والفونولوجي- المقطع والمورفيم[2]

١/ يُنظر، أشواق النجار، دلالة اللواصق التصريفية في اللُّغة العربية: ص١٦٠-١٧٣؛ ويُنظر، الرماني، الحدود في النَّحو: تحقيق مصطفى جواد، مؤسسة الصحافة، بغداد، ١٩٦٩م، ص٤٠.

٢/ الباحث.

المبحث الثالث

سيبويه[1]- الدرس النحوي *Syntax*

يتم تطوير معالجة الفروع اللُّغوية المختلفة الصَّرفية والنحوية الدلالية والمعجمية عن طريق الدرس البنيوي.

فالدراسة الصَّرفية (المورفيمية) تقوم بتحليل الكلمة إلى عناصرها الأولية الاشتقاقية والتنظيمية (الفونولوجية). ولكن الصَّرف لا يهتم بالصيغة من حيث نوعها شكل الحرف الأخير منها وتحديدها معرفة أم نكرة.

ولكن الدراسة البنيوية للكلمة تضعها في قوانين تؤدي إلى وظيفتها النحوية وتضعها في جملة تتكون من كلمتين أو أكثر. ومن ثم تحديد الوظائف النحوية لكل عنصر في الجملة (فاعلاً، أو مفعولاً، أو صفةً، أو حالاً، أو نعتاً). وربطها بالكلمات الأخرى عن طريق دراسة العلاقات المتداخلة بينهما وربط الضمائر بمراجعها. ويمثل ذلك كله تكون قمة الدرس البنيوي في إطار السياق اللُّغوي.

كما أن بنيوية التحليل الدلالي للغة يبنى على أساس تحليل الجملة تحليلاً شاملاً لكل عناصرها الصوتية والصَّرفية.

١/ هو: عمرو بن عثمان قنبر، وهو فارسي الأصل وُلِد بالبيضاء بالأهواز، توفي في شيراز ١٨٠هـ. تتلمذ على الأخفش الكبير يعقوب بن إسحق وعيسى بن عمرو الثقفي والخليل ابن أحمد الفراهيدي. وضع كتاباً في النحو سمي **(الكتاب)** وهو أول مصنف عربي يظهر في علم العربية، عقد المناظرات وهو أعلم الناس بالقراءات، ما زال **(الكتاب)** مصدر إشعاع العلوم العربية كلها. وكلمة سيبويه كلمة فارسية مركبة تركيباً مزجياً (سيب: تفاح)، (ويه: رائحة التفاح)؛ شرح السيرافي للكتاب: الترجمة لكتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون.

"إن قمة اللُّغة مرهونة بأدائها لِما يطلب منها في المجتمع، حيث تكون الوظيفة الرئيسية للغة التمكين من إيجاد حياة اجتماعية بين الجماعة الواحدة.

واللُّغة التي لا تنجح في أداءِ هذه الوظيفة لا تسمى لغةً إلاَّ مجازاً... لا تستطيع لغة من اللُّغات أداء مثل هذه الوظائف دون الاعتماد على التركيب اللُّغوي"[١].

فالتركيب اللُّغوي هو محور الدراسة البنيوية في كل مستوياتها. كما أن الصورة الصوتية اللُّغوية؛ تتضمن عنصرين أساسيين: العنصر الأول هو المعنى. أي: الحقيقة المدركة، وبالتالي يوجد ذلك في الكلمة. والثانية: العلاقة التي تنشأ بين المعنى والألفاظ وهكذا توجد في الكلمة والكلمة الأخرى.

مثال: الجامعة متطورة. فكلمة جامعة لها مدلولها الصوتي ولها معناها اللُّغوي والاجتماعي. ومتطورة كذلك، فالدراسة البنيوية تبحث -إضافةً إلى الدراسة الصوتية والصَّرفية- في علاقة الجامعة مع كلمة متطورة. فالتطور مسند إلى الجامعة وهو مسند مع إضافة مورفيم الميم السابق متطور عن طريق الإثبات في مورفيم (الميم).

ويقابل هذا الإسناد عن طريق دراسة النص الذي يتحقق في الصيغة كلمة (غير) الجامعة غير متطورة. التركيب المضاف إلى المسند ويقابل هذا الإسناد في الأزمنة.

مثال: كانت الجامعة متطورة، إسنادها إلى الزمن الماضي دون أن يكون هناك حدث، بل الدراسة البنيوية رابطة التطور، وليس بالحدث نفسه.

١/ د. صلاح الدين مصطفى بكر، النحو الوظيفي: دار الكتب الحديث، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٠٩.

وهكذا إن قولنا: ستطور الجامعة. هنا التطور مسند على سبيل (الإفراد). وعلى سبيل التثنية: الجامعتان متطورتان. وعلى الجمع: (الجامعات متطورات).

هذا الإسناد خبري تقديري ويقابل ذلك الاستفهام هل الجامعة متطورة؟ فالدراسة تقوم بدراسة تلك العلاقات المتداخلة في الجملة بكل الصور التركيبية.

فالبنيوية تقوم بترتيب الكلمات في جمل تدرس عناصر الكلمة، ووضعها في نظم الجمل. فتدرس النظم في جوهر هدفها.

وللنظام اللُّغوي علاقات وثيقة بهذه العناصر المركبة من الكلمات من حيث الموقعية أو التطابق أو الصوت. ويظهر ذلك في العلاقات الإعرابية في الجمل، وإسنادها بعضها إلى بعض.

وإذا كان التركيب اللُّغوي له قيمة اجتماعية فإن الإسناد أحد العمليات التركيبية، الإسناد وضع للصيغ في صورة مخصوصة "أكل الجمل العسل"[(١)]. ولا يوصف التركيب لغوياً إذا وضع في صورة مخصوصة يقوم فيها النحو *The Syntax*.

الجملة:

الجملة كلمات مجتمعة تؤدي دور المثير لتجلب الانتباه، والخبرة التي ارتبطت بها، في حين أن الخبرة التي تثيرها تجمع الكلمات فهي خبرة كاملة ذات ارتباطات متنوعة للموقف اللُّغوي.

هناك الجملة الكبرى؛ هي الجملة المكونة من جملتين أو أكثر، إحداهما مبتدأ أو فاعل أو خبر أو مفعول ثان لفعل ناسخ.

١/ هذه الجملة ليس لها قيمة تركيبية اجتماعية.

أمَّا مفهوم الجملة عند سيبويه فيعني الإسناد والمسند والمسند إليه، ويقول: "وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بداً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك"[(١)].

فتلك هي الجملة الإسنادية التي يقصدها الدرس اللُّغوي.

لقد تحدث النحاة عن الوصفية للجملة الإسنادية، والتي تعرف باسم المشتقات التي ترفع فاعلاً يسد مسد الخبر.

ويفهم من ذلك أن الجملة عند سيبويه مصطلح يدلُّ على وجود علاقة إسنادية بين اسمين، أو اسم وفعل، الإسناد هو نسبة إحدى الكلمتين إلى الأخرى فوجود هذه العلاقة هي الدراسة التي تقصدها سواء أكان الجملة أتمت بها الفائدة أم لَمْ تتم بها.

مثال: أقائم محمد. أقائم: مبتدأ. ومحمد: فاعل سد مسد الخبر فهنا ندرس العلاقة في الربط بين الوصف المشتق والاسم الذي يليه وهو فاعل -وموقع الاسم الوصف- والنظرة العامة أن الوصف يحمل مضمون الاسمية وله وظيفة الفعل. فالرابط بين العلاقة هو الإعراب.

هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية، "وهي تجري على ثمانية مجار: على النصب والجر والرفع والجزم والفتح والكسر والضم والوقف.

وهذه المجاري الثمانية يجمعن في اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح في اللفظ ضربٌ واحد، والجر والكسر فيه ضربٌ واحد، وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف"[(٢)].

١/ سيبويه، الكتاب: تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ص٢٣.

٢/ المرجع السابق: ج١، ص١٣.

ويفهم من ذلك النص مدى علاقة أنواع الإعراب بحركاته، وقد بدأ سيبويه بالنصب وهو أكثر استعمالاً ثم الجر فالرفع والجزم. وهذه الأنواع هي التي تكون الجملة في علاقات متبادلة فيما بينها كما أن هناك علاقة وثيقة بين الفتحة والكسرة حيث تنوب الفتحة عن الكسرة في الاسم الممنوع من الصَّرف، والكسرة عن الفتحة في جمع المؤنث السالم، وتلك علاقة إسنادية من حيث الوظيفة النحوية وتكون كل من الفتحة والكسرة في الأسماء مثال: مررت بأحمد، ورأيت الطالبات.

ومن الملاحظ هنا أن المسند إليه دائماً يكون اسماً عند تكوين الجملة، فالدراسة اللغوية له تتمثل في تركيب عناصر الجملة في الأداء الوظيفي في الدلالة فليس هناك أصل وفرع، بل دراسة شمولية.

فالدراسة تشمل دائرة المصطلح النحوي لجميع الأحكام التي تتصل بدراسة كل عنصر من عناصر التركيب في ضوء التحليل البنيوي.

"ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لَمْ يكن للاسم الأول بدّ من الآخر في الابتداء.

ومِمَّا يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبد الله منطلقاً، وليت زيداً منطلق؛ لأنَّ هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده"[1].

ونفهم من ذلك أن التضامن اللغوي يتأتى عن طريق طبيعة التركيب اللُّغوي لأنواع الإعراب، وكيفية ربطها بالبناء التركيبي للجملة.

ويبدو أن سيبويه يلجأ إلى أهمية الجملة المبدوءة بالفعل، الفعلية، وأهمية الفعل في الجملة، وإسناد الفعل للاسم.

١/ سيبويه، الكتاب: ص٢٣.

إن كلام سيبويه في هذا الشأن يشير إلى أهميـــة العلاقـــات المترابطـــة في الجملة، فوجود الاسم في أول الجملة دلالة على تأكيدها، أمَّا إن كان أولها فعل فهي دون شك سند إلى الاسم. وهو محور الدرس البنيوي في كشـــف العلاقـــة بينهما.

وإن تقديم الفعل على الفاعل، أو المبتدأ على الخـــبر، أو المفعـــول علـــى الفاعل في بعض الجمل؛ دلالة على أن العلاقات هي التي تنظم النص اللُّغوي.

ولذلك قسَّم النحاة الجملة إلى قسمين:

١/ **اســـمية**، تبدأ بالاسم.

٢/ **فعلية**، تبدأ بالفعل.

ولعل هذا التقسيم الثنائي يدخل في إطار ثنائية المبدأ للمنـــهج البنيـــوي. فالإسناد هو أهم أجزاء العملية التركيبية لأنه عماد التحليل في الدرس اللُّغـــوي. وهنا يساوي عنصر الإسناد في الجملة اسمية أو فعلية.

"وقولهم: الجملة لا تكون فاعلاً ولا نائباً عنه، جوابه: أن التي يـــراد بهـــا لفظها، يحكم لها بحكم المفردات؛ ولهذا تقع مبتدأ نحو: (لا حول ولا قوة إلاَّ بالله كتر من كنوز الجنة)"(١).

أمَّا الجملة الفعلية في صورتها البنيوية فتتكون من ركنين أساسيين:

الأول: الفعل أو الحدث.

الجملة الفعلية من خلال التحليل التركيبـــي يكون موضوعه لبيان علاقة الإسناد مع دلالة الزمن (الحدث) في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

١/ يُنظر، ابن هشام، شذور الذهب بتحقيق شرح الشذور: تأليف بركات يوسف صبور، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٢٣ في الهامش.

والثاني: الاسم المرفوع أو ما يقوم مقامه وهو الذي أسند إليه الوظيفة.

ويقسم المحدثون الجملة إلى ثلاثة أقسام[(١)]:

١/ **الجملة التامة الإسنادية**: الاسمية+ الفعلية+ الوصفية.

٢/ **الجملة المؤجرة**: الاسمية والفعلية+ الجوابية الموجزة.

٣/ **الجملة غير الإسنادية**:

أ- جملة الخالفة.	ب- الجملة التعجبية.
ج- جملة المدح والذم.	د- الندائية.
هـ- الجملة القسمية.	و- الجملة الإغرائية.

"واعلم أن المذكر أخفّ عليهم من المؤنث؛ لأنَّ المذكر أوّل. وهو أشدّ تمكُّناً، وإنما يخرج التأنيث من التذكير. ألا ترى أن (الشيء) يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أو أنثى، والشيء ذكر، فالتنوين علامة للأمكن عندهم والأخف عليهم، وتركه علامة لِما يستثقلون"[(٢)].

تأتي الجملة على صور مختلفة من صور التركيب فقد يكون الفاعل اسماً صريحاً أو ضميراً متصلاً، وتظهر العلاقات بينهما وتشمل المطابقة:

١/ المطابقة في النوع (التذكير والتأنيث).

٢/ المطابقة في الشخص (المتكلم، المخاطب، والغيبة).

١/ يُنظر، محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية: ط١، دار غريب، ٢٠٠١م، ص٧٨-١١٠.

٢/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص٢٢.

٣/ المطابقة (التعريف والتنكير).

٤/ المطابقة في العدد (الإفراد، التثنية والجمع).

الجملة الاسمية يتحقق معها الأربعة أو الثلاثة دون تحديد.

أمَّا الجملة الفعلية فيكفي تحقيق النوع فقط. وذلك لأنَّ الفعل مسند كما يشير النص إلى دراسة صوتية تركيبية في الجملة. فكلمة معلمٌ: تتكون على النحو التالي: سافر معلمٌ. وسافرت فاطمةُ.

نجد كلمة معلم اسم مفرد، يلحقه التنوين لتمكنه في الاسمية -التنوين صوت صائت- وهو صوت من عنصر الكلمة بالتالي عند إسناد الفعل له يجد حقه في النطق دون وجود عارض.

أمَّا جملة سافرت فاطمة: فنجد كلمة مؤنثة لها علامة وهي تاء التأنيث المتحركة وهي ممنوع من الصَّرف (التنوين) لوجود هذه التاء، علماً بأن بالفعل تاء أخرى وهي تاء التأنيث الساكنة. إذن وجود الفعل الذي لا يقبل التنوين ووجود الاسم المؤنث الذي لا يقبل التنوين أدى إلى خفة المذكر.

فالبنيوية تدرس العلاقة بين الفعل وفاعله وتركيبه مع بيان نوع الفاعل. المنع جاء لعلاقتين: العلمية والتأنيث من جانب. والجانب الآخر إسناد الفعل للفاعل المؤنث يقيد وجود تاء التأنيث الساكنة ثقلاً في المبنى.

"واعلم أن النكرة أحقّ عليهم في المعرفة وهي أشد تمكناً؛ لأنَّ النكرة أول، ثم يدخل عليها ما تعرّف به. فمن ثم أكثر الكلام ينصرف في النكرة"[1].

نفهم من هذا النص تنوع صيغ الجملة.

١/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص٢٢.

فالجملة قائمة على نوع من الدور والتسلسل لا يخرج منه البحث اللُّغوي. فالبنيوية تقوم بدراسة كل جملة وأنواعها، ودراسة علاقاتها الداخلية. وبهذا المفهوم نستطيع أن نضع الفارق بين الكلام والجملة.

والجملة تتضمن الإسناد سواء كان مقصوداً لذاته أم لا.

مثل الجملة التي تتكون من المبتدأ والخبر. والجملة هنا تشمل الإسناد الحقيقي هو المسند والمسند إليه، إضافة إلى الثنائية اللُّغوية.

مثال: في الدار صاحبها، الثنائية هنا في ربط الضمير بالمجرور. فتلك هي العلاقة الإسنادية.

أمَّا الكلام فمرهون بالسياق فهو "اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"[1]. فمعيار الكلام الإفادة. أمَّا معيار الجملة فهو كيفية تركيبها ونوع العلاقة الحاصلة من تكوين العناصر المركبة لها.

الأمثلة: زيد أبوه قادم.

١/ زيد ضرب /هو/.

٢/ الزيدان ضربا.

٣/ زيد جاء أبوه.

٤/ زيد سلب ماله.

فالجملة الأولى تتكون من ثلاثة أسماء ووصف (اسمين وضمير واسم فاعل). وهذه الجملة خالية من الفعل. إلاَّ أن هناك علاقة بين الفعل والوصف المشتق. (اسم الفاعل قادم)، وهي علاقة وظيفية.

١/ يُنظر، شرح ابن عقيل، ألفية ابن مالك: ج١، ص١٤.

وهناك علاقة بين الاسمين: زيد، أبو، هي الضمير. العلاقة هنا علاقة تلازمية علاقة مباشرة. كذلك هناك علاقة إعرابية وهي الرفع في كل من زيد أبوه.

أمَّا زيد ضرب /هو/ فالعلاقة بين الكلمتين في الجملة علاقة تضمنية يعني أن العلاقة بين زيد وهو ليست علاقة مباشرة، بل هي علاقة تقدير وتدخل في إطار الإسناد هي مسندة إليها وكذلك في كل الأمثلة الباقية.

ويظهر لنا أن الجمل السابقة قد تبدو مختلفة في شكلها الظاهر ولكنها متناسقة في تحليلها البنيوي. بجانب عنصري الإسناد تتضمن الجمل عادة عناصر أخرى متنوعة.

وتستند دراسة النحاة لعناصر الجملة إلى تصور عام لمختلف مكوناتها يتمثل في تصنيفها إلى ثلاث مجموعات كبرى: العمدة، والفضلة، والإضافة.

والإضافة نوعان: الإضافة بحروف الجر، والإضافة بالحروف الزائدة عن الجر.

وقد يكون لحرف الجر دلالة في التأويل والإضمار "ومن المنصوب بلازم إضماره قولك في التحذير: إياك والأسد، أي اتقِ نفسك أن تتعرض للأسد... والتحذير تقول إذا كنت تحذر إياك ومثله تقول نفسك وهو منصوب بفعل مضمر كأنك قلت إياك باعد أو إياك واتق نفسك، فحذف الفعل واكتفى بـ(إياك) عنه"[(١)].

هذا النص له دلالته من حيث التركيب إياك: ضمير نصب منفصل مفعول، والأسد مفعول ظاهر أي: وجود مفعولين في جملة واحدة أحدهما ظاهر

١/ ابن يعيش، شرح المفصل: م المنيرية، ج١، ص٢٥.

والثاني مضمر، أمَّا من حيث الدلالة فذلك شأن المدرسة التوليدية التحويلية فهي تقبل الإضمار(١).

فنظام الجملة على ضوء هذه الدراسة يسلك أحد خطين، أحدهما يجري على هذا النحو: مبتدأ (مسند إليه)+ خبر مسند متعلق ظرف بالجملة الاسمية.

على حين الثاني منهما يجرى: فعل (مسند)+ فاعل أو ما ينوب عنه مسند إليه+ مفعول به مباشر+ مفعول ظرفي جملة فعلية.

هذا النمط من الدراسة يفترض حتماً عنصري الإسناد والمحلات الإعرابية في الجملة المنجزة عنهما.

وهذه الدراسة البنيوية كفيلة وحدها بالاقتران بالعلامة الإعرابية الملائمة. وتقوم بدراسة عناصر الجملة بحيث لا عمدة ولا فضلة في هذا النص. إنما يقوم على الإسنادية، التخصصية، والتبعية(٢).(٣).

ولقد عدَّد النحاة (الوظائف) التي يمكن أن تؤديها الجملة، فتقوم مقام (المفرد) وهي: (الخبر، المفعول به، الحال، النعت، والمضاف إليه). "أنت جالساً أحسنُ منك قائماً، أي: في حالة جلوسه أحسن منه في حال قيامه"(٤).

نلاحظ هنا أن تركيب الجمل البنيوي يتنوع من جملة إلى أخرى. الجملة الأولى بها ضمير منفصل مرفوع وله الصدارة في الموقع الإعرابي.

١/ يُنظر، د. بكري محمد الحاج، أثر البناء الظاهر للجملة في التفسير الدلالي: م الجامعة الإسلامية، السودان، ١٩٨٨م، ص٢٢-٢٥.

٢/ التبعية الإسنادية الفاعلية+ التخصيص المفعولية- التبعية الجر- الإضافة.

٣/ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب الجمل في النحو: ص٤٠.

٤/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص١٦٤.

أمَّا كلمة أحسن منك قائماً. فنجد اسم الفاعل جالس وصفاً أسند إلى الضمير أنت. ونجد جملة تتكون من اسم تفضل ووصف وضمير جر هو (الكاف).

لا شك أن ضمير الرفع المرفوع أقوى، ويحتمل الإسناد أمَّا الجملة الثانية بأن الضمير المجرور قد أسند إليه اسم التفضيل. فعلاقته علاقة بنيوية.

"هذا باب ما تكون فيه: (أنت وأنا ونحن وهو وهم وهن وأنتن وهما وأنتما وأنتم) وصفاً.

واعلم أن هذه الحروف كلها تكون وصفاً للمجرور والمرفوع والمنصوب المضمرين وذلك قولك مررتُ بك أنت ورأيتك أنت وانطلقت أنت"[1].

يشير سيبويه إلى حيث التركيب البنيوي للدلالة. وتلك ضمائر وهي أسماء في عرف النحاة، ولكن سيبويه يسميها حروف، وذلك تأكيد بأن الحرف له دلالة في اسمية المعنى. هي الحروف التي تكون في شكل ضمائر مثل: كاف الخطاب، وتاء المتكلم بصورها الثلاث، وياء المتكلم.

فالتسمية هنا بالحروف لعلاقاتها بالرابط البنيوي بين المفردات.

كما أنها تشير إلى عظمتها في تركيب الجملة التي تخضع في عملية ربطها في علاقات سميولوجية. مِمَّا أكسبها خاصية الصدارة في التركيب اللُّغوي ومِمَّا لا شك فيه تقوم مقام المبتدأ والفاعل والخبر والمفعول به والمضاف إليه.

"واعلم أن هذه الحروف لا تكون وصفاً للمظهر كراهية أن يصفوا المظهر بالمضمر كما كرهوا أن يكون أجمعون ونفسه معطوفاً على النكرة في قولهم

١/ سيبويه، الكتاب: ج٢، ص٣٨٥.

مررت برجل نفسه، ومررت بقوم أجمعين. فإن أردت أن تجعل مضمراً بدلاً من مضمر قلت: رأيتك إياك، ورأيته إياه، فإن أردت أن تبدل من المرفوع قلت: فعلت أنت، وفعل هو فأنت وهو أخواهما نظائر إياه في النصب"[١].

لعل سيبويه يطلق لهذه الضمائر من حيث رسمها التركيبي، فالضمائر معارف وهي أقوى المعارف.

وتشير إلى تراكيب أخرى في الجملة أنها لا تعطف على النكرة.

ونفهم من ذلك أن التركيب البنيوي للجملة يقتضي الملازمة من حيث التمام فمثلاً الجار يقتضي مجروراً. ولا يمكن أن يقع بعده مرفوع أو منصوب، الفعل يقتضي فاعلاً، ولا يمكن أن تخلو الجملة الفعلية من فاعل أو ما ينوب عنه كما أن المضاف يقتضي مضافاً إليه يتمم معناه.

الموصول يقتضي الصلة؛ لأنه اسم مبهم يحتاج إلى ما يوضحه، فتأتي جملة الصلة أو شبه الجملة لتؤدي الوظيفة في الدرس البنيوي.

فهناك علاقات بنيوية نجدها في الجملة الفعلية بين الفعل والمفعول:

١/ فالعلاقة بين الفعل والمفعول فيه (الظرف، علاقة الزمان).

٢/ فالعلاقة بين الفعل والمفعول به (علاقة المكان).

٣/ فالعلاقة بين الفعل والمفعول لأجله (علاقة السبب والغاية).

٤/ فالعلاقة بين الفعل والمفعول معه (علاقة المصاحبة).

٥/ فالعلاقة بين الفعل والمفعول المطلق، علاقة تلازمية (التوكيد)[٢].

ونخلص من ذلك أن مكوِّنات الجملة العمدة تتكون من المسند إليه والمسند.

١/ سيبويه، الكتاب: ج٢، ص٣٨٦.

٢/ يُنظر، محمد الفاسي، العامل بين الاقتصاد والتطبيق: الدار البيضاء، ١٩٩٨م، ص٣٨.

أمَّا الفضلة: فتتفرع من هذا التركيب البنيوي: المفاعيل، الحال، التمييز. فلا فضلة ولا عمدة.

التركيب البنيوي:

إن كثيراً من الظواهر اللُّغوية التي تعالج في إطار الدرس اللُّغوي كانت تعد الجملة أكبر وحدة في التحليل.

فالنص يُراعى فيه تحليل العناصر الأخرى؛ التي لا بدَّ أن توضع في الاعتبار. وهي قواعد التركيب.

والتركيب هو ترتيب الكلمات في الجملة أو العبارة. والتي تحدث معنىً دلالياً للجملة. "واعلم أنه قبيح أن تصف المضمر في الفعل بنفسك وما أشبهه؛ وذلك أنه قبيح أن تقول: فعلت نفسك، إلاَّ أنه تقول فعلت أنت نفسك وإن قلت: (فعلتم أجمعون) حسن؛ لأنَّ هذا يعم به"[1].

ونفهم من هذا النص في مقام التركيب للدرس اللغوي أن ترتيب الضمائر لا بدَّ أن يخضع لقانون التحليل البنيوي.

فالكلمة فعلت وأختها نفسك ضمائر متصلة، أحدهما في محل رفع والآخر في محل جر. وكلاهما للمخاطب. كما أنها مورفيمات مقيدة ولا يجوز الإخبار عن الضمير المتصل بالمتصل لتأكيد المعنى، بل لا بدَّ من وجود تنوع في تركيب الضمائر.

ثم قال تقول: (فعلت أنت نفسك) فصل بينها في التركيب بضمير منفصل وهو مورفيم (حر).

١/ سيبويه، الكتاب: ج٢، ص٣٧٩.

فالتركيب البنيوي ذو فاعلية في جعل المعنى المتعدد، فهو جزء أساسي من حيوية اللُّغة، وقد بذل المتقدمون ما وسعهم من أجل توضيح هـــذه الفاعليـــة. فانتظام الكلمات ونوع الترابط والانفصال بين العبارات والتفاوت الملحوظ بين صيغ الكلمات في العبارة كل أولئك كان مجالاً واسعاً للدرس اللُّغوي وهكـــذا الحال في الدرس الحديث.

كما يتبين لنا بعد الوصف الاستقرائي أن للكلمة دوراً مهماً ولها علاقات مصاحبة مع الكلمات الأخرى. فالمفردات تقدم لنا تفسيراً كافياً لكل كلمـــات النص.

"اعلم أن الفعل الذي يتعدى الفاعل يتعدى إلى اسم الحدثان الذي أخـــذ منه لأنه إنما يذكر ليدل على الحدث ألا نرى أن قولك قد ذهب بمترلة قولك قد كان منه ذهاب"[١]. هنا تظهر لنا علاقة التركيب البنيـــوي في معرفـــة (اســـم الحدثان) وهي المصادر، ويقصد بها المفعول المطلق.

مثال: ضرب محمدٌ الولد ضرباً. مثال: ضُرِب محمدٌ ضرباً. الجملة الأولى: جملة فعلية تتركب من فعل+ فاعل+ مفعول مطلق. أمَّا الثانية فتتركب من فعل+ فاعل -مفعول به- فكلمة ضرباً الأولى مفعول مطلق وكلمة ضـــارباً: حـــال، الحدث في الفعل الواقع للمفعول، والثانية الوصف واقع على الفاعل، والوصـــف اختص بخاصية الاسم التي هي التنوين.

فالبنيوية تقتضي التمايز بين الكلمتين في التركيـــب وجـــذرهما واحـــد وموقعهما الإعرابي واحد (منصوباً).

تجدر الإشارة إلى أن المعنى الدلالي لعبارة يحدده التحليل البنيوي في الدرس اللُّغوي.

١/ سيبويه، الكتاب: ج٢، ص١٥.

"يجوز أن يخبر بالمنعوت مع نعته تقول في مررت برجل عاقل والذي مررت به رجل عاقل، والذي مررت به عاقل"[1].

ويرى الباحث أن التركيب البنيوي هنا يقتضي اختصار الجملة (الذي مررت به عاقل) إن الغاية من تركيب الجملة هو الإخبار بالجملة الفعلية التي تفيد التجديد والانقطاع. إنما جاءت كلمة عاقل تكراراً لتأكيد المعنى، والعلاقة علاقة التأكيد لدلالة المعنى.

فالسمات العامة للتراكيب النحوية أنها غير محدودة (*infinite*) وهذا هو الذي يجعل اللُّغة ذات طابع إبداعي يتكرر بمقتضاه إنتاج ما لا حصر له من الجمل.

التنوين في المفرد لأنَّ ياء الإضافة في الاسم بمنزلة التنوين؛ لأنها بدل من التنوين، ولأنه لا يكون كلاماً حتَّى يكون في الاسم، كما أن التنوين إذا لَمْ يكن فيه لا يكون كلاماً فحذف وترك آخر الاسم جراً ليفصل بين الإضافة وغيرها، وصار حذفها هنا لكثرة النداء في كلامهم... وذلك قولك: يا قوم لا بأس عليكم[2].

ويفهم من هذا النص دور التركيب في بنية الجملة في شكل الإضافة مع ياء المتكلم في حالة النداء، علماً بأن ياء الضمير اسماً والأسماء المناداة على ثلاثة أضرب: مفرد، ومضاف، ومشابه للمضاف لأجل طوله[3].

١/ أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب: تحقيق مصطفى أحمد النحاس، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٣.

٢/ سيبويه، الكتاب: تحقيق عبد السلام هارون، ج٢، ص٢٠٩.

٣/ ابن جنِّي، اللمع في العربية: ط١، دار مجلاوي، ١٩٨٨م، ص٧٩.

فالتركيب البنيوي يقتضي ربط العلاقة بين أداة النداء مع الاسم المنادى فنجد في جملة: يا قوم لا بأس عليكم، وجود قوم مورفيم حر، وكلمة عليكم: الكاف+ الميم مورفيم مقيد للدلالة على المخاطبة والجمع معاً.

كما أن الياء المورفيم المقيد وهي (ياء الإضافة) غلامي، لا تثبت مع وجود الكسرة لوجود التقارب في الأداء الوظيفي لكل من الياء والكسرة وكذلك حذف التنوين ذلك. قيل حرف هنا لكثرة النداء[1]. وكذلك استغنى النحاة بالكسرة عن الياء. ويعتبر هذا نوع من التركيب في الدرس اللُّغوي.

ويظهر هذا النوع من التركيب الرائع في سور القرآن الكريم: ﴿إِذَا السَّمَآء انشَقَّتۡ﴾[2].

يقول النحاة أن أداة الشرط لا بدَّ أن يليها فعل. فالتركيب البنيوي يوضح الآتي: إن كلمة السماء انشقت تركيب يتكون من اسم وفعل وتاء تأنيث فوجود تاء التأنيث دلالة على وجود المحذوف، انشقت السماء[3]. وإذا: أداة جاءت لتحقق معنى الانشقاق.

ويرى الباحث أن هناك تحليلاً آخر: إن تاء التأنيث مورفيم مقيد، السماء: مورفيم حر، ليس معنى ذلك وجود فاعلين، في فعل واحد؛ بل تأكيد المورفيم الحر للمورفيم المقيد والعلاقة بين المورفيمين علاقة المجاورة في التركيب البنيوي. والجملة اسمية تفيد الدوام والثبوت.

١/ يُنظر، سيبويه، الكتاب: ج٢، ص٢٠٩.

٢/ سورة الانشقاق: الآية (١).

٣/ تعرب انشقت فعل لفاعل محذوف تقديره: انشقت السماء، ويقولون حذف من الثاني بدلالة الأول عليه؛ يُنظر، تفسير النسفي: ط البابي الحلبي، ج٤، ص٢١٩.

"والأحداث نحو: الضرب، والحمد، والقتل. أمَّا جاء المعنى، وليس باسم ولا فعل فنحو: وسوف، واو القسم، ولام الإضافة، ونحوها"[1].

ويظهر لنا من هذا النص ومن خلال الدرس البنيوي العلاقة الجزئية للجملة بالوحدة الكلية لها.

فالإشارة إلى تلك الأدوات الرابطة بين المفردات اللفظية، وإن علاقاتها علاقات متداخلة، ولها دورها العظيم في التركيب البنيوي.

الوجهة النحوية للتركيب تنظر إلى مكوناته على النحو التالي:

١/ سلامة أخبار المكون وعنصره من حيث ملاءمته لبنية البناء.

٢/ موقع الأداة في التركيب.

٣/ نوع علاقتها وارتباطها بين الكلمتين.

كما أن للأدوات دلالات معجمية[2].

فهي خاصية من خصائص التركيب اللُّغوي، وهي الأساس الذي ينبغي أن يعول عليه عند تحليل الدرس البنيوي.

ويظهر في التحليل علاقة الربط بين الكلمتين وتمارس الأدوات الثنائية اللُّغوية في الربط في تركيب المفردات اللفظية.

وهنا يظهر لنا مدى التماسك البنيوي في تركيب المفردات والتي تشكل الوظائف الإعرابية للأسماء التي تقع فيها؛ مع بيان الدلالة للزمن في تركيب الجملة.

١/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص١٢.

٢/ ثم تفيد العطف مع التراخي، سوف: للمستقبل، اللام: إمَّا للملكية أو الاختصاص أو الاستحقاق.

ويعرف سيبويه الفعل بقوله: "وأمَّا الفعل فأمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لِما مضى، ولِما يكون ولَمْ يقع وما هو كائن لَمْ ينقطع"(١).

فأسماء الأحداث يقصد بها المصادر والتحليل البنيوي لهذه العبارة بين مواقع الفعل: لِما مضى يعني الفعل الماضي الذي تقضى زمانه، ولِما يكون ولَمْ يقع، يعني الفعل المضارع الدال على الاستقبال.

أمَّا ما هو كائن فيقصد بها الفعل الذي يدل على الحال، علماً بأن أحرف المضارعة هي التي تحدد الزمان للفعل. فالهمزة للمتكلم: تدل على الحال الكائن، النون: للمتكلم المعظم نفسه، أو المتكلمين يدلان على الحال الكائن: لكن هذا الفعل في اللُّغة الإنجليزية واضحٌ يسمى الفعل المضارع المستمر ((P.C.T *Coming*)). وكذلك ما هو لِما يكون ولَمْ يقع، يعني الأمر.

اتفق القدماء بأن قالوا: إن الفعل يدل على الحدث ويقترن بالزمن إلاَّ أنهم اختلفوا في تحديد زمن الاستقبال.

"إنهم لَمْ يفرقوا بين الزمن اللُّغوي والزمن الفلسفي أو الزمن الفلكي، الفعل ما دل على حَدَث واقترن بزمان، دلالة الفعل على الحدث أتت من اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة؛ لأنَّ المصدر اسم الحدث.

معنى الزمن في الفعل على المستوى الصَّرفي يأتي في شكل الصيغة وعلى مستوى النحو في السياق.

الفعل من حيث المبنى الصَّرفي ينقسم إلى ماض ومضارع وأمر هذه الأقسام تختلف فيما بينها شكلاً ومعنى"(٢).

١/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص١٢.

٢/ مالك يوسف المطلبي، الزمن اللُّغوي: الطبعة الأولى، مطبعة الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦م، ص٤٦.

ويرى الباحث أن سيبويه قد حدد الإطار البنيوي للفعل بقوله السابق لِما للتركيب من دلالة في تحديد الزمن، مثال قوله تعـــالى: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾[1]. يلد: فعل مضارع ويولد كذلك. فدخول (لَمْ) في التركيبة الجملية أدى إلى قلب الزمن بالمعنى (لَمْ يلد) في الماضي. وتلك هي أدوات جزم. يقال: (لَمْ) حـــرف نفي وجزم وقلب.

لها معنى وظيفي هو الجزم -معنى دلالي القلـــب-. فـــالنفي في الماضـــي والمستقبل معاً ويمثل انتقال التركيب في نقل الزمن دراسة (سميولوجية) للجملة.

"ربما قالوا في بعض الكلام اذهبت بعض أصابعه، وإنما أنث البعض لأنـــه إضافة إلى مؤنث هو منه، ولو لَمْ يكن منه لَمْ يؤنثه، لأنه لو قال: ذهبت عبـــد أمك، لَمْ يحسن"[2].

فهنا أمر التركيب البنيوي يقتضي البحث في العلاقة في نوعية تركيـــب الكلمة من العبارة.

فالكلمة الثلاثية غالباً ما تكون أصواها خمسة (الصـــوائت والصـــوامت) فتحدث التغيرات في نطق المتقارب من الأصوات، وكلمة كثر العدد يعني كثرة التراكيب في استعمال الكلمة في العبارات المختلفة.

وهنا نرى سيبويه عمد إلى الدور الوظيفي البنيـــوي الـــذي يـــؤدي إلى ملاحظة ومراقبة المفردة اللفظية، وربطها بالعلاقات الإعرابية ودراسة ظاهرها في وضعها الجديد. لهذه المفردة اللفظية مع مراعاة العلاقات المتجاورة في المفردة التي تليها.

١/ سورة الإخلاص: الآية (٣).

٢/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص٥١.

ويؤكد هذا الربط في الملاحظة لكثرة الاستعمال حرص سيبويه على أن يتجاوز الظواهر اللُّغوية التركيبية كلها في ربط علاقاتها في التركيب.

"سألت الخليل عن قول العرب: انتظرني كما آتيك وافني كما ألحقك"[1].

"فرغماً أن ما والكاف جعلتا بمنزلة حرف واحد وخبرت للفعل كما خبرت للفعل ربَّما والمعنى لعلي آتيك"[2].

فتركيب الكاف مع (الميم) يعني أنهما يقومان بدلالة وظيفية ودلالة دلالية عندما يقصد بها معنى الترجي: لعل.

وكلمة انتظرني: جملة مركبة من ياء المتكلم وهي مفعول به، الكاف في: آتيك ضمير مخاطب مفعول به. فيظهر التبادل في (تاء) الفاعلية فاعل انتظرني المخاطب وفاعل أتيتُك المتكلم.

فالدراسة البنيوية توزع الأدوار التي تقوم بها الضمائر في التركيب مع مراعاة الضمائر الموجودة من حيث الزمن الحضوري والزمن الغيبي. أتيتك: المستقبل، انتظرني: الحال.

"سيبويه في عبارة الكتاب يؤثر الأنصاب والاسترسال كلماتها متلاحمة مستوية، لا قلق فيها ولا نبوء وفقراتها بها متواصلة نجدت بعضها بعضاً وتأخذ فيها الهوادي بالتوالي، فإذا هي تميز بين يديك في أكثر الأمر تباعاً فتداركه فلا تكاد تنقطع أو تنقسم حتَّى قسم مسائل الباب كله أو مرحلة مرحلة"[3].

١/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص٢٥٩.

٢/ علي النجدي، سيبويه إمام النحاة: الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٣٩.

٣/ المرجع السابق: ص١٥٤.

هذا النص دليل شاهداً على قوة التركيب البنيوي عند سيبويه لكن من الجائز أن يتساءل الفرد عن سبب ترتيب الوظائف في العبارة السابقة فمعنى التركيب تعاقب الضمائر جملة (أتيتك) تاء المتكلم وكاف المخاطب.

الإجابة أن اللُّغة العربية لغة إعرابية بمعنى أن الأحكام الإعرابية وعلاقاتها هي التي تعرف الوظائف من خلال التحليل البنيوي تبادل المواقع الإعرابية فيما بينها، وذلك لمرونة وفر التركيب. مثال: في الدار صاحبها، (الهاء) ضمير عائد للدار وهي متأخر في الرتبة ومتقدم في اللفظ.

وهكذا يمكن أن نرسم ملامح البنيوية التركيبية من حيث التسلسل أي: تسلسل عناصرها تتمثل في أن المرفوعات لها الصدارة مبدئياً وأن المنصوبات تبعها؛ أمَّا المضاف إليه والتوابع رهينة بما تتعلق به إذ يمكن أن تتعلق بعنصر من العمدة فتجاوره، كما يمكن أن تصاحب عنصراً من عناصر الفضلة، فتكون مجاورة له علماً بأن في الدرس البنيوي دراسة شاملة، دراسة أفقية في السياق اللُّغوي.

السياق اللغوي:

السياق هو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي لبنية النص، وما يحتويه من علاقات بين المفردات اللفظية.

فالدراسة البنيوية تقوم أساساً على دراسة تلك العلاقات، فالنحو يشكل شبكة من شباك تلك العلاقات.

فنظرية السياق نرى أولاً أن المعنى وحدة مركبة من مجموعة الوظائف اللُّغوية (صوتية، فونولوجية، مورفيمية... الخ).

إن التنوع في استخدام اللُّغة هو نوع من السياق، الذي يلازم المعنى في الدرس البنيوي من حيث التقديم والتأخير عن طريق إجراء مجموعة من العمليات على مجموعة من المعلومات.

"السياق اللُّغوي شبكة من العلاقات القواعدية تحكم بناء الوحدات اللُّغوية، داخل النص ومنها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية، تساعد على بيان الدلالة، من خلال القرائن النحوية مثل (الإعراب) وهو قرينة سياقية تتعاون جاهدة مع غيرها في رسم شبكة البيانات الدلالية.

وقد عده بعض النحاة القدامى أصلاً، أساساً لبيان الدلالة، وأن كل النحو والقرينة السياقية الكبرى... قرينة المرتبة... كالتقديم والتأخير شرط وضوح الغاية، وعدم التباسها، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ﴾[1]. كذلك تعتبر الأداة قرينة نحوية لربط الكلام[2]"[3].

إن الوظائف النحوية تختلف فيما بينها في سياق الكلام، وتختلف الوظائف في الحركات والمواقع الإعرابية في ترتيب الرتبة، وهذا ما يظهر التضافر القائم في استخدام المعلومات في توظيف العلاقات النحوية.

إن الكلمات التي تقع في باب من أبواب النحو تأخذ وظيفة ذلك الباب وتدل عليها الحركات الإعرابية في تحديد الفاعلية والمفعولية والتبعية.

وتلك هي العلاقات المتداخلة، في النظام اللُّغوي، لجمع المعلومات

١/ سورة البقرة: الآية (١٢٤).

٢/ عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ص٥٤٦.

٣/ محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: ط٣، اليمامة، ١٩٨٨م، ج١، ص١٧٩.

لتركيب المادة اللُّغوية. إذ تعمد الكلمات على علاقاتها في السياق لا باعتبار وظيفتها فالآية الكريمة توضح الدراسة النحوية إن إبراهيم مفعول به منصوب ولكن تقدم على فاعله وهو (ربه).

وفي تحديد الجملة السياقي يكمن وجود الضمير في كلمة (ربه) وهذا الضمير يعود للمفعول فهل يعود الضمير إلى متأخر في اللفظ والرتبة معاً؟

الإجابة أن المحور السياقي يركز على المفعول به وإشارة البنية إليه. لذا جاء في السياق تقدم المفعول على الفاعل لوجود الرابط البنيوي القوي وهو الضمير، وليس هناك خللٌ في الرتبة.

إن النحو العربي يشير إلى منهجية التحليل البنيوي على أساس العلاقات العلاقة بين الفاعل والمفعول، والعلاقة بين المضاف والمضاف إليه، العلاقة بين الصفة والموصوف، وبين المبتدأ والخبر. وتلك تشمل دراسة وصفية للبحث في تلك العلائق وفقاً لمجموعة من المعلومات: الرتبة، والتقديم، والتأخير، والربط بين أدوات الربط. وتشمل دراسة الصوتيات وهي نطق الحركات ودراسة مقاطعها وأجزائها.

وللنحو ضابط وهو الذي على أساسه يصح للاسم المعرب ثلاث حالات: (رفعاً، ونصباً، وجراً)، وبيان رتبة كل حال من تلك الحالات. ثم فحص الاسم مقصوراً أم منقوصاً، وبيان هذه الحالات فيه من خلال وضعه في السياق.

وكذلك فحص الفعل: صحيحاً، أو سالماً، أو معتلاً، وبيان كل حركة إعرابية فيه من خلال وضعه في السياق.

والاسم المنقوص تتغير صيغته بزيادة صوت صائت لين في حالة من حالاته الإعرابية، كان محمدٌ محامياً ناجحاً.

وعليه فإن النحو يدرس القاعدة التي تضبط المفـــردات. أمَّــا التركيـــب فيدرس الظاهرة اللُّغوية باتساع، ومتغيراها كلها بما في ذلك النحو.

وحين تدرس التراكيب القواعد النحوية فهنا تبرز الدراسة البنيوية الجانب الدلالي لتلك التراكيب التي تظهر في السياق البنيوي. لقد أدركت البنيوية قدرة التفاعل والتأثيرات بين مكونات التركيب النحوي بعضها مع بعـــض. ويظهـــر ذلك من خلال التحليل لعناصر المفردات المختلفة من حيث الصوت ودراســـة الفونولوجيا والمقاطع مع دراستها في التركيب البنيوي. هنا يظهـــر الفـــارق في طبيعة دراسة السياق اللُّغوي.

فالدراسة البنيوية تبدأ بالتحليل في الصوت إلى نهاية التراكيـــب وتجعـــل التركيب النحوي هو الدراسة الشمولية للكشف عن العلاقات اللُّغوية المتداخلة.

عندما سئل سيبويه عن المسألة الزنبورية "وهي أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذ هو هي؟ أو فإذا هو إياها"[١].

فكان رد سيبويه فإذ هو هي.

فالدراسة البنيوية لهذه العبارة تفهم أن الجملة يمكن أن تســـتقل بدلالـــة معناها من خلال السياق في الدرس اللُّغوي.

فدراسة السياق بصورة منتظمة يؤكد لنا الارتباط بين أجزاء البنية اللُّغوية مع ملاحظة معناها المعجمي. يرى الباحث أن سيبويه رأى المعنى مـــن خـــلال السياق البنيوي ولَمْ يقل هو إياها باعتبار الحال.

"قالوا عن موضوع أن قول سيبويه فيه هو كقوله: لأنه يجري على طريقة

١/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص٢٣.

القرآن في التعبير، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَـٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾[1]. هذا دليل واضح أن سيبويه بنى منهجه وفقاً لرسم القرآن الكريم وأسلوبه حيث هو المصدر الأول في مادته اللغوية"[2].

فالناظر إلى الآية الكريمة ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ تتكون الجملة من مورفيمين وكلاهما مورفيم حر (هي حية) أمَّا فإذا هو إياها: فالأول مورفيم حر، والثاني: يتيم. فهل يؤكد اليتم بالحر؟ أم الحر بالحر؟.

سبقت الإشارة إلى أن سيبويه الذي جعل الأبنية الفعلية في تركيبها البنيوي باعتبار الزمن خارج السياق الثلاثة "لِما مضى ولِما يكون لَمْ يقع ولِما هو كائن لَمْ ينقطع"[3].

فالدرس البنيوي يجعل تلك الصيغ الزمنية في تحديد السياق لها ولا يتركها للقرائن والملابسات.

ويرى الباحث أن الوصف اللُّغوي وصف معقد يتجاوز حدود ما هو قائم في اللُّغة وأن المادة اللُّغوية التركيبية تحتاج إلى مزيد من الدرس والفحص. ذلك لا يكون إلاَّ من خلال التحليل البنيوي في السياق. مثال: أضارب محمدٌ.

نجد الوصف اسم فاعل، وقد تقدمت عليه الأداة، همزة الاستفهام، والأداة في مضموها تحمل النفي دلالةً.

فنجد الذي يليه يقع مبتدأ وجملة المبتدأ والخبر جملة اسمية شأها أن تفيد

١/ سورة طه: الآية (٢٠).

٢/ علي النجدي، سيبويه إمام النحاة: ص١٠٦.

٣/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص١٣.

الثبوت والدوام لا النفي. كما أن الوصف أدى دوره الوظيفي للعمل وجاء من بعده فاعلٌ سد مسد الخبر.

فالدراسة هنا تبنى على العلاقات بين المفردات ووضعها في السياق، دون شك إن البحث اللُّغوي القديم تناول بكل اتجاهاته صور استخدام المفردات وربطها بالسياق.

كما قام بربط المقام بالمقال والمعاني النحوية على مستوى تركيب الجملة "هذا باب المفعول الذي تعداه فعله إلى مفعول.

وذلك قولك كُسي عبد الله الثوب، وأُعطي عبد الله المال، رفعت عبد الله هاهنا، كما رفعته في ضرب حين قلت ضُرِبَ عبد الله... قلت ضرب زيداً عبد الله فأمره في هذا كأمر الفاعل"[1].

فالنص هنا يحتاج إلى تحليل بنيوي في السياق. نجد أن الفعل الماضي قد بني للمجهول وتغيرت صيغته في البنية، ونجد وجود فاعل في المعنى منح أحكام الفاعل الإعرابية، ونجد أن السياق هو الذي يحدد الموقع الإعرابي.

ونفهم من هذه النصوص أن سيبويه يضع السياق في أهمية الدرس اللُّغوي. باعتبار أن العلم يختص بالإسناد وبالإضافة، أمَّا الأسماء المنصوبة فيقصد بها اسم المفعول في المعنى. توجد لها علامات تميزها لكن لها علامات تعرفها وتربطها مع بعضها.

مثال: اسم الموصول له علاقة بصلة الموصول وتعرف من خلال تحليل السياق؛ بل إن الصلة جزء مكمل للموصول وكذلك المفعول في المعنى مكمل للجملة في التركيب اللُّغوي.

١/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص٤١.

تؤدي البنيوية وظيفتها في شرح العلاقة وتجسدها في صياغة الجملة، وتحليلها تحليلاً واضحاً في السياق.

دراسة السياق ترتبط بدراسة الإعراب في السياق. مثال: نجد الجار والمجرور، والمفعول به والمصدر والظرف ينوب عن الفاعل[1]، وذلك أمر طبيعي؛ لأنَّ المفردات أقل عدداً من المعاني التي تؤديها اللُّغة.

"إنه بمنزلة قولك شيء أحسن عبد الله ودخله معنى التعجب"[2].

يقصد ذلك التعجب وقولهم: ما أحسن عبد الله، فقد لاحظوا فيه التعجب. فالجملة تحتاج إلى تحليل بنيوي حتَّى تستقر في الفهم. فالجملة التعجبية ليس لها فاعل[3]. والاسم الموجود لا يصلح أن يكون فاعلاً لأنه منصوب.

ما: مبتدأ بمعنى شيء، ويقال في (أحسن) ضمير يعود على (ما) هو الفاعل و(عبد الله) مفعول به، فالعلاقة البنيوية هنا الحرف (ما) المصدر في مكان الاسمية وبين المفعول الاسم الظاهر العلم المركَّب تركيب إضافي (عبد الله) كأنما الحرف الواقع محل الصدارة في السياق له أثر في ذلك المفعول به الموجود من حيث الموقع الإعرابي: (مرفوع+ منصوب+ فعل تعجب) وتلك علاقة تكاملية بين الثلاثة في السياق الإعرابي.

ومن الأمثلة السياقية في الدرس البنيوي والجمل التي ينصب فيها الفعل المضارع بعد فاء السببية أو واو المعية في سياق نفي أو طلب مثال: لا تكسل فتفشل.

١/ يُنظر، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: باب نائب الفاعل، ص٩٧.

٢/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص٣٧.

٣/ يُنظر، ابن هشام، قطر الندى وبل الصدى: باب نائب الفاعل، ص١١٠.

يقول النحاة[1]: فتفشل فعل مضارع منصوب بـ(أن) مضمر بعد فاء السببية وهنا يتفق الباحث مع الرأي الذي يقول[2]: إن الناصب للفعل الأداة نفسها من خلال الدرس اللُّغوي التركيبي. قياساً لها بحروف الجر الداخلة على الأسماء في خفضها. وهكذا أدوات النصب التي تنصب مباشرة (لن وكي وإذن) التحليل البنيوي: لا تكسل فتفشل.

الجملة مركبة من أداة نهي وفعلين: الأول: تكسل، الثاني: تفشل. الفعلان مضارعان مبدوءان بتاء المضارعة الدلالة للخطاب المخاطب العلاقة بين أداة النهي يمكن أن يقال لا تكسل تفشل إلاَّ أن المعنى السياقي لطبيعة الجملة لها دلالة النهي. وفاء السببية تربط بين الكسل والفشل، وكلاهما فعلان لا ترغبهما النفس.

وهذا ما يؤكده إمام النحاة عندما سئل عن الناصب في هذه الآية الكريمة ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآى حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾[3]. قال في نصب أو يرسل (الفعل يرسل): "إن النَّصب محمول على أن"[4].

ويعني كلمة محمول التأويل في الناصب فالدراسة البنيوية لا تقبل التأويل تتعامل مع النص مباشرة، ولقد فهم سيبويه معنى ذلك فجاءت البنيوية لتحليل عناصر الجملة وربطها بعضها ببعض في ذلك السياق ولعل هذا التأويل مسألة تعقيدية في الدرس اللُّغوي القديم. البنيوية تكشف هذه الظاهرة اللُّغوية.

١/ ابن هشام، قطر الندى وبل الصدى: ص٧٥.

٢/ يُنظر، ابن هشام، شذور الذهب: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ص٣٧٦.

٣/ سورة الشورى: الآية (٥١).

٤/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص٤٢٨.

ويلاحظ أن سيبويه يطلق على عملية الإضمار بوجه عام (اختزال الفعل) كما أنه يربط بين الإضمار والنصب في سياق النص دراسة تحليلية وبالتالي فإن علاقة المبنى بالمعنى تعني دراسة الوحدات اللُّغوية في إطار السياق.

والكلمات تتمايز للتباين الذي يحصل بين مركباتها في السياق دون معناها المعجمي.

وهذا يبين مدى التصاهر والترابط بين المفردات المختلفة داخل النص اللُّغوي. إذن قد تكون العلاقة التي تربطهم هي تكامل نسق السياق اللُّغوي في نظمه وقوة بنيته.

كما أن النسق يظهر في تحليل السياق في تركيب المفردات. وهناك الحروف المشبهة بالأفعال. إن هذه الحروف لها الصدارة في السياق اللُّغوي، فتقوم بوظيفة الأفعال (يقصد بها الحروف العاملة الناسخة للأسماء).

سمى النحويون هذه الحروف أكثر من تسمية؛ ويرجع ذلك كله إلى ما ذكره سيبويه عن عددها وعملها في السياق.

الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده لأنها ناقصة لحدث الفعل وزمانه.

"إن وأن حرف واحد معنىً وعملاً"[1]. "وأطلق عليها آخرون إن وأخواتها لأنَّ إن أم هذه الحروف"[2].

١/ سيبويه، الكتاب: ج٢، ص١٣١.

٢/ أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب: ج٢، ص١٢٨؛ يُنظر، ابن هشام، شذور الذهب: ص٢٠٢.

لعلَّ شبه هذه الحروف بالأفعال من حيث عملُها قياساً لهـا بالأفعـال الناقصة وهي لا تتصرف. كما أن عملها عمل مباشر بالاسم الذي يليها.

"وكذلك هذه الحروف، مترلتها من الأفعال. وهي: أن، لكـن، ليـت، لعل، وكأن.

وذلك قولك: إن زيداً منطلق، وإنَّ عمراً مسـافرٌ، وإن زيـداً أخـوك، وكذلك أخواها"[١].

"وأها بنيت على الفتح كبناء الفعل الماضي على الفتح"[٢]. النظرة البنيوية السياقية لهذه الحروف تقتضي التحليل بأن هذه الحروف لهـا صـلة مباشـرة بالأسماء.

ويرى الباحث أن هذه الحروف تعمل في الاسم الذي يليها مباشرة قياساً لها بحروف الجر التي تجر الاسم مباشرة. بيد أن هذه الحروف تنصـب الاسـم لوقوعها الموقع الإعرابي للأفعال الماضية. إلاَّ أن العلاقة في بناء هذه الحروف على الفتح وعلاقة بناء الماضي على الفتح جعل منها التركيب البنيوي السـياقي أن تعمل عمل الفعل التام في الجزء الأول: إن الجو جميلٌ، وترك الثاني الفعل التـام: ظننت زيداً قائماً.

وقد أدرك سيبويه قمة السياق في بنية الجملة ويظهر في قوله: "هذا بـاب ما يظهر فيه الفعل وينصب فيه الاسم وذلك قولك: ما صنعت وأبـاك، ولـو تركت الناقة وفصيلها لرضعها، إنما أردت ما صنعت مع أبيك، ولو تركت الناقة

١/ سيبويه، الكتاب: ج٢، ص١٣١.

٢/ المصدر السابق: ج٢، ص١٣١؛ ويُنظر، المبرِّد، المقتضب: ج٤، ص١٠٧.

مع فصيلها، فالفصيل مفعول معه والأب كذلك. الواو لَمْ يغير المعنى ولكنها تُعمِل في الاسم ما قبلها"[1].

فدراسة السياق للجملة يعني أن للواو هناك دوراً وظيفياً في السياق البنيوي وهي علاقة المصاحبة في التركيب.

فالمصاحبة ظاهرة لغوية تقع في إطار السياق مع مراعاة المعنى المعجمي. فتقول: قطيع من الغنم. ولا يقال: قطيع من الطير.

"وذلك قولك: رأيت قومك أكثرهم، ورأيت بني زيد ثلثيهم، ورأيت بني عمك ناساً منهم، ورأيت عبد الله شخصه، صرفت وجوهاً أولها. فهذا يجيء على وجهين: على أنه أراد: رأيت أكثر قومك، ورأيت ثلثي قومك، وصرفت وجوه أولها، ولكنه ثنى الاسم توكيداً"[2].

يبين لنا سيبويه العلاقات بين المفردات في السياق ويجعل كلاً من البدل والإضافة في هذا السياق وجهين بدلالة واحدة، إن تراثنا اللُّغوي قد التفت إلى الترابط بين المضاف والمضاف إليه وبين النعت والمنعوت، بشكل رائع.

عالج فكرة تحويل العنصر الذي يشغل موقفاً نحوياً ما إلى موقع آخر تحت عنوان الألف واللام.

وذلك في الموصول الاسمي مثل قائم (القائم) شرط[3] أن تدخل على وصف مشتق.

١/ سيبويه، الكتاب: ج١، ص٢٩٧.

٢/ المصدر السابق: ج١، ص١٥٠.

٣/ يُنظر، ابن عقيل، شرح ابن عقيل: ص٤٨.

إن دراسة السياق تسمى في هذا المجال بتركيب الجمل في الميدان النحوي الواسع بعلم الإعراب.

فالدراسة الحديثة تدفعنا إلى الأخذ بها من كشف المزيد من أنواع الدرس البنيوي في تراثنا القديم.

وتنطلق هذه الدراسة من أن إعادة مناقشة بعض المفاهيم اللُّغوية العربية جنباً إلى جنب مع تطور الدرس اللُّغوي المعاصر. ينطوي على فائدة مهمة لمواكبة العصر.

كما تمثل أهمية هذه الفائدة بأن اللُّغات ترتبط بالعلوم التطبيقية (الحاسوب) فالعربية لغة كسائر اللُّغات.

وإن دراسة البنيوية لها تكشف عن الظواهر اللُّغوية وتسهم بشكل فعال في إبراز لغة حية مواكبة للتطور العلمي.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الدرس البنيوي عند المحدثين

المبحث الأول

آراء إبراهيم أنيس

المبحث الثاني

آراء تمام حسان

المبحث الثالث

آراء حسن عون

المبحث الأول
آراء إبراهيم أنيس[1]

إن دراسة البنيوية للصوت هي: دراسة موضوعية لمعرفة الصوت اللُّغوي. علماً بأن العلاقة بين الصوت الطبيعي والصوت اللُّغوي ليست مجـرد شـكل مجازي بقدر ما هي تعبير لغوي ينعكس على الدرس الصوتي في معرفة مخرجـه وصفته.

مخارج الأصوات:

"الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها. فقـد أثبـت علماء الأصوات بتجارب لا يتطرق إليها الشك، أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهزه، على أن تلك الهزات لا تدرك بالعين في بعض الحالات. كما أثبتوا أن هزات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حـتى تصل إلى الأذن الإنسانية"[2]. ولعل هذا النص يشير إلى الصوت الفيزيائي وذلك بفضل مساعدة الأجهزة الحديثة من آلات تصوير وتسجيل وغيرها من تحديـد أعضاء النطق (*Organs of Speech*).

١/ وُلِد الباحث اللُّغوي بالقاهرة، والتحق بكلية دار العلوم العليا وتخرج فيها حاصـلاً علـى دبلومها العالي، ١٩٣٠م، وعمل مدرساً بالمدارس الثانوية، ثم حصل على البكـالوريوس، ثم الدراسات العليا حتى الدكتوراه في جامعة لندن ١٩٤١م، تتلمذ علـى يـد العـالِم الإنجليزي (فيرث) ثم عاد وعمل في مجال التدريس بالجامعات المصرية ونال جائزة الدولة التشجيعية ١٩٥٨م، من مؤلفاته: (الأصوات اللُّغوية) و(من أسرار اللُّغة) و(دلالة الألفاظ) و(موسيقى الشعر) و(مستقبل اللُّغة العربية المشتركة)؛ الزركلي، الأعـلام: دار حـزم، بيروت، ١٩٩٨م، ج١، ص١١.

٢/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٩م، ص٩.

كل ذلك لَمْ يكن موفَّراً للقدماء من علماء العربية الذين كانوا يعتمدون على الملاحظة الذاتية والوصف النظري.

"... فعلم الأصوات إمَّا وصفي *Descriptive Phonetics*، وإمَّا معياري *Prescriptive Normative Phonetics*، والأول وظيفته النظر في أصوات اللُّغة المعينة في فترة زمنية محددة على أن يتم هذا النظر بطريق الوصف الصَّرف. أي بتسجيل هذه الأصوات وتحليلها بالصورة التي تبدو بها من غير اعتماد على افتراض أو تأويل أو رجوع إلى فترات زمنية سابقة... وهذا المنهج الوصفي هو المتبع عادة في أكثر البحوث العلمية.

أمَّا المعياري فيعنى بتحديد قواعد وضوابط معينة للنطق الجيد"[(١)].

ونفهم من هذا النص كيفية معرفة مخارج الأصوات وصفاتها في المرحلة الأولى، وفي الثانية ينتظم الأصوات وشكل وظائفها في التركيب اللُّغوي.

ورغم اختلاف فروع اللُّغة وتشعبها إلاَّ أن هناك صلة وثيقة بين هذه الفروع فيما بينها.

وتشكل هذه الفروع منظمة لغوية صوتية تكشف لنا البنيوية دراسة الصوت من خلال المخرج والصفة والظواهر الصوتية العارضة في التركيب الصوتي فيوضع التحليل الصوتي عند بداية التحليل مع مبدأ الثنائية: (المخرج والصفة).

"الصوت هو آلة اللفظ. والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً، ولا كلاماً موزوناً، ولا منثوراً؛ إلاَّ بظهور الصوت"[(٢)].

١/ كمال محمد بشر، علم الأصوات العربية: ط١، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٦١.

٢/ جعفر ميرغني، جرس اللسان الصوتي: مطبعة المنظمة العربية للثقافة والعلوم، معهد الخرطوم الدولي، ١٩٨٥م، ج١، ص١-٢.

ونفهم من هذا النص من خلال التحليل البنيوي الفارق بين مخرج الصوت وصفته يسمى علم الصوتيات.

أمَّا علم استعمال الصوت في الكلام وتنظيمه فهو علم وظائف الأصوات (فونولوجي).

لقد حدد لنا أنيس مصدر مخارج الأصوات الإنسانية. يقول: "ومصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة، أو بعبارة أدق: الوتران الصوتيان فيها، فاهتزازات هذين الوترين الصوتيين، هي التي تنطلق من الفم أو الأنف، ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي"[١].

الحنجرة (*Larynx*) هي مجموعة غضاريف تربطها عضلات وألياف وترتكز على القصبة الهوائية.

أمَّا الوتران الصوتيان أو الحبلان الصوتيان (*Vocal Cord*) فهما عبارة عن أحزمة لحمية مغطاة بغشاء مخاطي لزج... هما يكتسبان أهمية كبرى في عملية الكلام. إذ تدفعهما العضلات الداخلية للحنجرة إلى اعتراض تيار الهواء المزفور[٢].

فتلك دراسة تشريحية قام بها ابن سينا من قبل، وعليه تدرس البنيوية الدراسة التشريحية للصوت على النحو التالي:

١/ معرفة مكان التدخل في طريق الهواء المزفور المنبعث من الرئتين.

٢/ معرفة طريقة هذا التدخل من حيث إعاقة تامة أو جزئية.

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٨.

٢/ بروفيسور أرباب.

٣/ معرفة ما إذا كان هذا التدخل مصحوباً بترير الأوتار الصوتية أم لا، نقصد بذلك مكان التدخل في طريق الهواء الذي عليه في الاصطلاح الصوتي (*Point of Articulate*) أو مكان النطق (*Place of Articulation*).

والمخرج باعتباره اصطلاحاً صوتياً، هو من وضع القدماء من علماء العربية وقد ترد عندهم اصطلاحات أخرى بهذا المدلول وهي (الأخيار، والمدارج[1]، والمجاري[2]).

ويغلب على اللغويين المحدثين أنهم يحددون المخارج ابتداءاً من الشفتين رجوعاً إلى الحنجرة[3].

يقول أنيس: "ومن الحقائق العلمية التي تدعو الدهشة والعجب أن علماء التشريح لَمْ يلحظوا أي فرق مادي بين حناجر التنوع الإنساني. فحنجرة الإنسان ذي الصوت الرخيم الذي يسحر الألباب والعقول لا تكاد تختلف عن حنجرة فلاح بسيط من الناحية التشريحية"[4].

ونفهم من هذا النص تنوع الأصوات بداية من الألفون ثم الفونيم "الفونيم *Phoneme* هو الوحدة المتميزة الصغرى التي يمكن تجرئ سلسلة التعبير إليها"[5].

١/ يُنظر، الأزهري، تهذيب اللُّغة: تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، ج١، ص٤٨.

٢/ يُنظر، أبو بكر بن دريد، جمهرة اللُّغة: طبع مكتبة المثنى، بغداد، ج١، ص٨.

٣/ يُنظر، جان كانتيو، دروس في علم الأصوات العربية: ترجمة صالح القرمادي، مطبعة البحوث، تونس، ١٩٦٦م، ص٣٠.

٤/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص١١.

٥/ يُنظر، أحمد مُختار عمر، دراسة الصوت اللُّغوي: ص١٦١.

وللحنجرة وظيفة بيولوجية تتعلق بدخول الهواء وخروجه عبر القصبة الهوائية وكذلك لها ارتباط بالصوت النطقي الإنساني وهذا ما تؤكده الدراسة البنيوية.

فالصوت اللُّغوي الإنساني أرسخ الأصوات انتشاراً ودرساً في البنيات اللُّغوية.

فالحكم على الصوت باعتباره (فون+ الألفون+ فونيم) يظهر من خلال عرض الجهاز النطقي له، ووصفه تشريحاً في جهاز النطق اللُّغوي وتحليله تحليلاً بنيوياً على النحو التالي:

١/ النظرة إلى الصوت نظرة مستقلة تقع في ثنائية المخرج والصفة.

٢/ النظرة في التباين أو التوافق الذي يكون بين الصفة والمخرج؛ ويظهر في اهتزاز الأوتار.

"الحلق هو الجزء الذي بين الحنجرة والفم، وهو فضلاً عن أنه مخرج لأصوات لغوية خاصة، يستقل بصفة عامة كفراغ رنان يضم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة"[١].

الحلق (*Pharynx*) يطلق حديثاً على الفجوة المحصورة بين التجويف الأنفي والحنجرة عمودياً، وبين أصل اللسان والجدار الحلقي للحلق أفقياً، وهو في التجاويف التي تقوم للصوت مقام فراغ رنيني يضيق بارتفاع الحنجرة ويتسع باستقرارها في مكانها.

ونفهم من عبارات القدماء من علماء العربية حين يقسمون الحلق أقصى الحلق، ووسطه، وأدناه، أن لفظ الحلق عندهم يطلق على المنطقة الممتدة من الحنجرة حتى اللهاة.

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص١٩.

لَمْ يتعرض القدماء إلى دراسة الحنجرة بل ظهرت دراستها حديثاً بعد اكتشاف الآلات المعملية.

تقدم الدرس الصوتي بفضل الجهود المتواصلة ومساعدة الأجهزة والآلات، فاستطاع المحدثون أن يقفوا على حقائق صوتية لَمْ تكن معروفة من قبل كدراسة النبر بصورة علمية وتحديد الأصوات متدرجة (فون+ الألفون+ فونيم) ودور الوترين الصوتيين في عملية الهمس والجهر. أمَّا القدماء من المتأخرين فقد جعلوا الصوت والمقطع شيئاً واحداً في المخرج "مقاطع تعرض للصوت الخارج مع النفس مبتدئاً مستطيلاً، فتمنعه عن إيصاله بغياته، مجتمعاً عرض ذلك المقطع، سمي حرفاً"[١].

أمَّا في الدرس الحديث[٢] فيمثل المقطع مرحلة متقدمة من تنظيم الصوت ولعل الفارق بين حركة قصيرة وأخرى طويلة (الفتحة+ الألف) هو مضاعفة القصيرة أو أكثر، وهذا يتفق مع ما يماثل نص ابن سينا في الدرس الصوتي بقوله: "اعلم يقيناً أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة... وكذلك الواو المصوتة إلى الضمة والياء المصوتة إلى الكسرة"[٣].

ونفهم من العلاقة المتلازمة بين الصوت الصامت والصائت في حركة النطق أن الأصوات الصائتة لا يظهر لها مخرج معيَّن.

ولعل ذلك نهج علمي في تحديد المخرج في تتبع الهواء من أسفل صعوداً إلى الشفتين والتجويف الأنفي.

١/ يُنظر، ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد: ط١، الدراسة التونسية، ١٩٩٢م، ص٣١.

٢/ يُنظر، سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في العربية: ترجمة ياسر الملاح، جامعة إنديانا، ١٩٨١م، ص٨٢.

٣/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦.

وتظهر البنيوية في ثنائية العلاقة بين الصوتين عند تحديد المخرج.

"الحنك الأعلى هو العضو الذي يتصل باللسان في أوضاعه المختلفة ومع كل وضع من أوضاع اللسان بالنسبة لجزء من أجزاء الحنك الأعلى تتكون مخارج كثير من الأصوات. وينقسم الحنك الأعلى إلى أقسام عدة هي: الأسنان، ثم أصولها، ثم وسط الحنك أو الجزء الصلب منه، ثم أقصى الحنك أو الجزء الليِّن منه، ثم اللهاة"[١].

الحنك هو سقف الفم، والجزء الأمامي منه مكوَّن من عظم الفك العلوي وهو الصلب بالضرورة لفصل الفم عن الأنف[٢].

ويسمى الحنك الصلب (*Hard Palate*) ومن اللغويين من يسميه (الغار) أمَّا الجزء الخلفي اللحمي منه فيسمى الحنك الرخو أو اللين، ومن اللغويين من يسميه (الطبق) وهو من الأعضاء المتحركة المرنة خلافاً للحنك الصلب حيث يتأخر إلى الخلف، ويرتفع حتى يتصل بالجدار الخلفي للحلق أثناء بلع الطعام والشراب، فتمنع دخوله إلى الأنف.

والحنك بقسميه يسمى عند القدماء[٣] الحنك الأعلى ويخص القدماء (الغار)[٤] بمصطلح وسط الحنك مِمَّا يشعر بأنهم يجعلون الحنك ثلاثة أقسام: (أقصى الحنك، وسط الحنك، وأدنى الحنك).

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٢٠.

٢/ يُنظر، الموسوعة الطبية الحديثة: ترجمة إبراهيم أبو النجا وآخرون، دار الجيل، بيروت، ج٦، ص٨١٠.

٣/ يُنظر، سيبويه، الكتاب: ج٤، ص٤٤٣.

٤/ تسمية الغار والطبق عند تمام حسان.

"الشفتان: للشفتين وظيفة ملحوظة، بعض الأصوات، فهما تنفرجان حيناً وتستديران أو تنطبقان حيناً آخر، وهكذا نلحظ تغييراً في شكل الشفتين أثناء النطق وتختلف عادات المتكلمين في استغلال حركة الشفتين والانفتاح بهما، فمن الشعوب من تميز عادات النطق لديهم بكثرة الحركة في الشفتين ومنهم من يقصدون في هذا كالعرب بوجه عام، أو الناطقين باللغة العربية"[١].

الشفتان (*Lips*) هما عضوان متحركان يشكلان أساس الحركة الصوتية في الدرس البنيوي.

وحركتهما متعددة الأشكال من استدارة وانفراج وغطّ وانطباق. وتتمددان إلى الأمام فتطول بذلك قناة مجرى الصوت، فتتسع حجرة الرئتين داخل الفم.

وقد أدرك القدماء من علماء العربية دور حركة الشفتين في التفريق بين الحركات (*Vowels*) فوضعوا المصطلحات المعبرة عنها من ضم وفتح وكسر.

الأصوات التي تخرج منها هي أصوات: الباء والميم والواو. فصوت الباء يحدث عندما يندفع الهواء بضغط قوي أسفل المزمار فيعترض الوتران الصوتيان الهواء اعتراضاً جزئياً فتضيق فتحة المزمار باقتراب الوترين الصوتيين فتظهر صفة صوت الباء.

ولا ننسى دور الموجات الذبذبات الصوتية الواقعة بين المتكلم وأذن السامع مع مراعاة النظر في معرفة المخرج (اللهاة *Uvula*).

لقد أشار أنيس لها في نصه السابق وهي عضو لحمي من أقصى سقف الفم يتدلى على أصل اللسان ويشرف على الحلق. وهي من الأعضاء المتحركة

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٢٠.

حيث تتأخر قليلاً في ارتفاع فتمنع انسياب الهواء إلى التجويف الأنفي عند النطق بالأصوات الفموية، وتترل إلى أسفل قليلاً فتسمح بتسرب الهواء إلى التجويف الأنفي وذلك عند النطق بالأصوات الأنفية (ن، م).

ويقول ابن سينا في سبب خلقها كذلك: "لتكون مقرعة للصوت يقوى بها ويعظم، كأنه باب موصد على مخرج الصوت بقدره ولذلك يقر قطعها بالصوت"(١).

فالدراسة اللغوية تربط بين المخرج وصفته من حيث وضعه للسامع أو حركة عضو المخرج ويؤكد أنيس أهمية السمع بقوله: "تصدر الأصوات في الإنسان فتتنقل أولاً خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن الإنسانية ومنها إلى المخ فتترجم هناك وتفسر، فالسمع هو الحاسة الطبيعية التي لا بد منها لفهم تلك الأصوات"(٢).

فحركة السمع تبين لنا صفة الصوت، أمَّا حركة النظر فتظهر لنا مخرج الصوت.

ومعنى هذا أن العلمية الصوتية تتم في شكلها الأساسي عن طريق التحكم في هواء الزفير الخارج من الرئتين.

لَمَّا كان الهواء يمثل القوة الدافعة الصادرة من الرئتين لإنتاج الأصوات اللغوية، فإنه من الطبيعي أن تربط هذه القوة بالعديد من الصفات الصوتية(٣).

"أمَّا صوت الفاء العربية صوت رخو مهموس، يتكون بأن يندفع الهواء

١/ ابن سينا، القانون في الطب: ج٢، ص١٩٦.

٢/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص١٤.

٣/ يُنظر، عبد الرحمن أيوب، الكلام إنتاجه وتحليله: م جامعة الكويت، ١٩٨٤م، ص٣١.

ماراً بالحنجرة دون أن يتذبذب معه الوتران الصوتيان، ثم يتخذ الهواء مجـــراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت وهو بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ويضيف المجرى عند مخرج الصوت، فسمع نوعاً عالياً من الحفيـــف هـــو الذي يميز فاء الرخاوة"[١].

فالدراسة البنيوية لهذا النص تظهر لنا ثنائيـــة المخـــرج بـــين الأســـنانية والشفوية.

يحدد القدماء مخرج الفاء بصورة أكثر دقة حيث يقولون: "إنه من بـــاطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا"[٢]. فصوت الفاء يخرج باتصال طرفي الثنيتين العلويتين بالجزء الرطب من الشفة السفلى. أي الجزء الداخلي منها.

ولا يكون الاتصال تاماً بل يسمح بتسرب الهواء فيحتك بأطراف الأسنان العليا والشفة السفلى.

وينسب صوت الفاء إلى الشفة والأسنان عند المحدثين[٣]. فهـــو صـــوت شفوي أسناني؛ لأنهم درجوا على نسبة الصوت إلى عضوين مشـــتركين مـــن أعضاء النطق.

"الذال، والتاء، والظاء. وقد اصطلح القدماء على تسمية هذه الأصـــوات باللثوية"[٤].

فصوت الدال يشبه صوت الطاء في حركة أعضاء النطق داخل الحنجرة. ولذلك في حركة أعضاء النطق في مخرج الصوت عند طرف اللسان والأسنان.

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٤٤.

٢/ سيبويه، الكتاب: ج٤، ص٤٨.

٣/ تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ط٣، عالم الكتب، ١٩٩٨م، ص٧٩.

٤/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٤٥.

إلاَّ أن الدراسة البنيوية لمعرفة العملية العضوية التي تحدث في مؤخرة اللسان والطبق (الحنك اللين).

والحلق هو الذي يفرق بينهما حيث لا يرتفع اللسان ولا يتراجع مع صوت الذال ارتفاعه وتراجعه مع صوت الظاء.

أمَّا صوت الثاء فعند النطق به تكون عضلات الحنجرة وغضاريفها في حالة سكون؛ نظراً لضعف الهواء أسفل المزمار، فلا يزاحم الهواء حينئذ عند فتحة المزمار لا يزاحم عند مؤخرة اللسان والحلق؛ بل يكون مؤخر اللسان غير مرتفع ولا متراجع، والتضييف الذي يحدث في مجرى الهواء يكون عند طرف اللسان والأسنان. فيحتك الهواء بحواف المخرج احتكاكاً مسموعاً[١].

فهناك شيئان يفرقان بين صوت الثاء، وصوت الظاء وهما: حركة الوترين الصوتيين داخل الحنجرة مع الطاء، وعدمها مع الثاء وحركة مؤخر اللسان في اتجاه الطبق والحلق مع الظاء، وعدمها مع الثاء. ويتفقان مع حركة طرف اللسان عند الأسنان حيث المخرج، وينسب المحدثون[٢] أصوات هذا المخرج إلى الأسنان فيقولون عن كل صوت منها بأنه (أسناني).

فالدراسة البنيوية لهذه الأصوات تدخل في مجال التفخيم والإطباق وهذه العملية يقوم بها اللسان وهو النطق خلف الغار.

أمَّا القدماء فإنهم يحددون مخرج هذه الأصوات بأنه "ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا"[٣].

١/ يُنظر، كمال بشر، علم الأصوات: ١٧٦.

٢/ يُنظر، تمام حسان، اللُّغة العربية معناها ومبناها: ص٧٩.

٣/ ابن الجزري، النشر في القراءات: ط٣، تحقيق علي محمد، م مصطفى محمد، القاهرة، د.ت، ص٢٠.

وهو تحديد دقيق حيث إن الهواء يندفع من على سطح اللسان، فهو يحتك بالأسنان العليا. أمَّا الأسنان السفلى؛ فإن طرق اللسان يكون حاجزاً بينها وبين الهواء فلا يحتك بها.

فالتحليق (*Pharyngedigation*) منطقة عملية التفخيم، ليست في الحنك اللين بل نهاية الحنك الصلب.

ولعل التفخيم يعتبر سياق صوتي، فالأصوات المجاورة لصوت ما كثيراً ما يؤثر السياق في الصوت اللُّغوي فيؤدي إلى إطالته أو تقصيره... تغويره أو تحليقه.

ويؤكد أنيس بقوله: "أمَّا الظاء فهو صوت مجهور كالذال تماماً؛ ولكن هذا الصوت يختلف عن الذال في الوضع، الذي يأخذ اللسان مع كل منهما فعند نطق بالظاء ينطبق اللسان على الحنك الأعلى آخذاً شكلاً مقعراً"[1].

فتحليل الطاء في الدرس البنيوي فإنه يحدث عندما يندفع الهواء بضغط ضعيف فلا يحرك الوترين الصوتيين، وعندما يصل الهواء إلى مؤخرة اللسان يصادف تضييقاً فيما بين الحلق والحنك اللين (الطبق) بارتفاع مؤخرة اللسان ورجوعها إلى الخلف، وعندما يصل إلى مخرج الصوت ينطبق طرف اللسان على الأسنان العليا واللثة انطباقاً محكماً؛ يعقبه انفراج مفاجئ وسريع.

أمَّا مخرج التاء فيظهر لنا من خلال التحليل البنيوي عند النطق به تكون عضلات الحنجرة وغضاريفها في حالة سكون.

"الصاد صوت رخو مهموس، يشبه السين في كل شيء، سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق، فعند النطق بالصاد يتخذ اللسان وضعاً مخالفاً لوضعه مع

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٤٨.

السين، إذ يكون مقعراً، منطبقاً على الحنك الأعلى، مع تصعد أقصى اللسان، وطرفه نحو الحنك ومع رجوع اللسان إلى الوراء قليلاً ككل الأصوات المطبقة"[1].

أمَّا صوت الصاد في التحليل البنيوي فعند النطق به ينطلق الهواء بضغط ضعيف فلا يزاحم عند فتحة المزمار ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، بل تبقى متباعدة عن الحلق، ويرتفع نحو الطبق (الحنك اللين)، فتظهر لصوت الصاد قمة تفخمية تميزه.

هذا المخرج (ص) عندما يصل الهواء، إلى مخرج الصوت يضيق مجراه، فيندفع متزاحماً بين اللثة محدثاً صفيراً في الأسنان ويكون الاحتكاك مسموعاً.

الزاي: "الزاي صوت رخو مجهور، يناظر السين، فلا فرق بين الزاي والسين إلاَّ في أن الزاي صوت مجهور نظيره المهموس، هو السين، فللنطق بالزاي يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه من الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج. وهو التقاء أول اللسان (مشتركاً مع طرفه عند بعض الأفراد) بالثنايا السفلى والعليا"[2].

صوت الزاي عند التحليل يشبه صوت الصاد في حركة أعضاء النطق عند مخرج الصوت فقط، بحيث احتكاك الهواء الكثير طرف اللسان، ويخالفه في حركة أعضاء النطق داخل الحنجرة؛ فعند النطق بصوت الزاي تكون عضلات وغضاريف الحنجرة حمالة تؤثر فتدفع الوترين الصوتيين، لاعتراض طريق الهواء المندفع إلى أعلى، بضغط قوي؛ فتتذبذب الأوتار الصوتية ويتردد صدى الذبذبات في الحلق والفم، ولا يحدث هذا النطق عند صوت الصاد.

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٦٨.

٢/ المرجع السابق: ص٦٤.

ويخالفه كذلك في حركة مؤخر اللسان والطبق. حيث لا يتراجع اللسان ولا يرتفع مع صوت الزاي.

يتفق القدماء والمحدثون في وصف حركة أعضاء النطق مع أصوات هذا المخرج خاصة فيما يتعلق بالحفيف العالي الذي يميز أصوات هذا المخرج من غيرها من الأصوات، لذلك سُمِّيت أصوات الصفير[١].

ويجعل القدماء[٢] لهذا الصوت مخرجاً مستقلاً وهو ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى، هذا يتفق مع رأي العالِم اللُّغوي إبراهيم أنيس.

السين: "صوت رخو مهموس يختلف بعض الاختلاف في مخرجه باختلاف اللهجات العربية، بل باختلاف الأفراد أحياناً. ففي البعض يشتد صفير السين عنها في بعض الأمر، بل قد يختلف قليلاً وضع اللسان معها. على أن الفروق بين هذه الأنواع من السين ليست من الأهمية من الناحية اللُّغوية"[٣].

صوت السين يشبه صوت الصاد في حركة أعضاء النطق عند مخرج الصوت يندفع الهواء في هدوء وكذلك عند حركة النطق في المخرج حيث يحتك الهواء بين طرف اللسان والأسنان احتكاكاً كبيراً ويخالفه في حركة أعضاء النطق بين الحلق و(الطبق) ومؤخرة اللسان حيث يتراجع اللسان ولا يرتفع مع صوت السين ارتفاعه وتراجعه مع صوت الصاد. هذا هو مخرج صوت السين.

الدال: "الدال صوت شديد مجهور يتكون بأن يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى

١/ يُنظر، سيبويه، الكتاب: ج٤، ص٤٦٤.

٢/ يُنظر، ابن الجزري، النشر في القراءات: ص٢٠.

٣/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٦٧.

مخرج الصوت فينحبس هناك فترة قصيرة جداً للالتقاء بطرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاءً محكماً، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت انفجاري نسميه بالدال"[1].

صوت الدال يشبه صوت الطاء. فالدراسة البنيوية لهذه الأصوات كلها تقوم على العلاقات الثنائية بينها في المقام الأول ثم تحليل مخارجها ووصفها.

وعند النطق بصوت الدال له حركة شبيهة بحركة الطاء في أعضاء النطق في المخرج فقط، ويخالفه في أن الهواء معه يندفع بضغط قوي؛ فيزاحم عند فتحة المزمار باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر. فيتذبذبان ويتردد صدى (*echo*) هذه الذبذبات في الحلق والفم، ويحدث تضييق لمجرى الهواء عند الطبق والحلق فذلك هو صوت مخرج الدال.

"التاء صوت شديد مهموس، لا فرق بينه وبين الدال سوى أن التاء مهموسة، والدال نظيرها المجهور، ففي التاء لا يتحرك الوتران الصوتيان، بل يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم، حتى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصلا فجائياً سمع ذلك الصوت الانفجاري"[2].

صوت التاء له علاقة بصوت الطاء في حركة أعضاء النطق داخل الحنجرة وعند مخرج الصوت، ويخالفه في أنه لا ترتفع مؤخرة اللسان ولا يتراجع معه فيما بين الحلق والطبق.

ويجعل القدماء[3] من علماء العربية (الطاء، الدال، التاء) مخرجاً مستقلاً

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٤٦.

٢/ المرجع السابق: ص٥٧.

٣/ يُنظر، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: ص٢٥.

وهو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ويشوبها إلى (النطع) فيقولون: (النطعية)؛ نسبة صوت الطاء إلى صوت الدال عند القدماء. كنسبة صوت الضاد إلى الدال عند المحدثين وهذا ما يؤكد في قوله: الضاد "إن الضاد لَمَّا وضعها القدماء كانت تتكون بمرور الهواء بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين. ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم، غير أن مجراه في الفم جانبي عن يسار الفم عند أكثر الرواة"[1].

ولا يُعدُّ أن الضاد عند القدماء[2] من أصوات هذا المخرج بل يجعلون مخرجه ما بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس.

"فالضاد الحديثة صوت شديد مجهور. يتحرك معه الوتران الصوتيان؛ ينحبس الهواء عند التقاء طرف الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتاً انفجارياً هو الضاد"[3].

ونفهم من ذلك أن الضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك في الوترين الصوتيين.

أمَّا الضاد القديمة فصوت انفجاري. ولعل من أسباب ذلك تنوع المجتمعات وتطورها، وتكوين البيئات، وتشكل المناخات، واحتكاك المحدثين باللغات الأجنبية[4].

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٥٠.

٢/ يُنظر، سيبويه، الكتاب: ج٤، ص٤٣٣.

٣/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٤٩.

٤/ يُنظر، عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها: ط٥، مكتبة وهبة القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٨.

"اللام- الراء والنون.

لقد سمى بعض القدماء هذه الأصوات الثلاثة الأصوات الذلقية. ولن أحاول هنا التعرض لسر هذه التسمية القديمة، وإنما أبغي الانتفاع بها فقط. ولا شك أن المؤلفين القدماء قد أحسوا بالعلاقة الصوتية بين هذه الأصوات؛ فجمعوها تحت اسم واحد. أياً كان هذا الاسم، وكذلك المحدثون من علماء الأصوات اللُّغوية يرون وجه شبه كبير بين هذه الأصوات الثلاثة... أمَّا وجه الشبه بين أفراد هذه المجموعة الفرعية كما يراه المحدثون فهو أنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، ولهذا أشبهت من هذه الناحية أصوات اللين"[١].

فالمخرج لهذه الأصوات ما بين اللثة وذلق اللسان.

فصوت النون يحدث عندما يندفع الهواء بضغط قوي إلى أعلى فيعترضه الوتران الصوتيان في تذبذب يتردد صداه في الحلق والتجويف الأنفي، وذلك لهبوط اللهاة، فاسحة المجال أمام كمية مناسبة من الهواء للنفاذ من التجويف الأنفي.

وينطبق ذلق اللسان على اللثة انطباقاً محكماً فلا يسمح للهواء بالخروج من الفم حتى تنفد كمية الهواء اللازمة لإتيان الصوت الأنفي فذلك هو مخرج النون.

"الراء صوت مكرر؛ لأنَّ التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مِمَّا يلي الثنايا العليا يتكرر في النطق بها، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقاً ليناً يسيراً مرتين أو ثلاثاً لتتكون الراء العربية"[٢].

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٥٨.

٢/ المرجع السابق: ص٦٥.

أمَّا الراء فمخرجها يحدث عندما يعترض الوتران الصوتيان تيار الهواء المندفع إلى أعلى بضغط قوي. فيحدثان تذبذباً كثيراً. تعمل تجاويف الحلق والفم على إعطاء صدى لهذه الذبذبات، وعند وصول الهواء إلى مخرج الصوت؛ يطرق ذلق اللسان اللثة طرقات.

أمَّا صوت اللام فهو يشبه صوت الراء في حركة أعضاء النطق داخل الحنجرة، ولكنه عند مخرج الصوت يرتكز ذلق اللسان على اللثة فينحرف الهواء، فيتقيد من أحد جانبي اللسان.

"الجيم التي نسمعها الآن من المجيدين للقراءة صوت مجهور يتكون بأن يتدافع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج، وهو التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء. فإذا انفصل العضوان انفصالاً بطيئاً، سمع صوت يكاد يكون انفجارياً وهو الجيم"(١).

صوت الجيم مخرجه في التحليل اللغوي يحدث عندما يندفع الهواء بضغط قوي، فتوتر عضلات وغضاريف الحنجرة. فيعرض الوتران الصوتيان تيار الهواء فيحدث تذبذب فيهما يتردد صداه في الحلق والفم حتى إذا وصل الهواء إلى مخرج الصوت انطبق مقدم اللسان على الحنك الصلب انطباقاً تاماً بعضه انفصال بطيء. ذلك هو مخرج الجيم.

وهناك مخرج آخر لا شأن لنا به. وهو أن مقدمة اللسان لا تتصل بالحنك الصلب اتصالاً محكماً، بل تقترب منه لتسمح للهواء بالمرور في مجرى ضيق.

"الشين صوت رخو مهموس، عند النطق به يندفع الهواء من الرئتين ماراً

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٦٥-٦٦.

بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق ثم الفم مع مراعاة أن منطقة الهواء في الفم عند النطق بالشين أوسع منها عند النطق بالسين، فإذا وصل الهواء إلى مخرج الشين وهو عند التقاء أول اللسان، وجزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى فلا بدَّ أن يترك التقاء العضوين بينهما فراغاً ضيقاً يسبب نوعاً من الصفير أقل من صفير الشين"[١].

أمَّا صوت الشين فإن مخرجه في التحليل اللغوي يحدث في الموضع الذي يحدث فيه الجيم. غير أن تيار الهواء يكون مندفعاً بضغط أضعف، فلا يحرك الوترين الصوتيين.

ويختلف في حركة أعضاء النطق في مخرج الصوت حيث إن مقدمة اللسان لا تلتصق بالغار بل تقترب منه، فيضيق مجرى الهواء، فيصطدم معظمه باللثة[٢].

ويجعل القدماء هذه الأصوات من مخرج واحد (الشين، والياء، والجيم)، فيقولون عنها إنها من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى وينسبون هذه الأصوات إلى شجر اللسان وهو الحنك الصلب (الغار) وهي شكل مفرجه أي مفتحه[٣].

وينسبون الضاد معها إذ إن مخرجه من أقرب الشجر. إلاَّ أن ابن سينا يرى أن صوت الضاد يحدث عن حبس تام عندما يتقدم موضع الجيم ويقع في الجزء الأملس[٤].

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٦٨.

٢/ يُنظر، كمال بشر، علم الأصوات: دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٠٢-٣٠٣.

٣/ يُنظر، ابن الجزري، النشر في القراءات: ص٢٣.

٤/ الجزء الأملس: يُنظر، ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦؛ مجلة الرسالة.

وهنا يظهر لنا أن رأي ابن سينا يتفق مع رأي المحدثين رغم اختلاف التغيير أن الياء وصفت من أصوات اللين؛ لأنَّ مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد في اتساع غيره مثال كلمة أرمي، يقال عنها أنها أنصاف حركات *Semi Vowels*[1]، وتماثل الصوت المعياري.

صوت القاف: "يندفع الهواء في الرئتين ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ثم يتحد مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدنى الحلق من الفم وهناك ينحبس الهواء باتصال أدنى الحلق بما في ذلك (اللهاة) بأقصى اللسان، ثم ينفصل العضوان انفصالاً مفاجئاً، فيحدث الهواء صوتاً انفجارياً شديداً"[2].

اللهاة ومؤخرة اللسان لصوت القاف الذي ينسب إلى اللهاة عند المحدثين فهو (لهوي).

ويتفق المحدثون فيما بينهم في وصف حركة أعضاء النطق في مخرج القاف غير أنهم يختلفون في تحديد ما يحدث داخل الحنجرة وقد أقر بها اللغويون[3] الذين قاموا بتجارب معملية وفي ذلك يرى كثير من الباحثين[4] أن الهواء ينساب خلال فتحة الحنجرة دون أي اعتراض حتى يصل إلى مخرج الصوت حيث تلتصق مؤخرة اللسان واللهاة التصاقاً محكماً يعقبه انفصال مفاجئ سريع. يرى بعض الباحثين[5] أن تيار الهواء يصادف اعتراضاً في فتحة الحنجرة في اللحظة التي تتصل فيها اللهاة بمؤخرة اللسان. وذلك بفضل عضلات الحنجرة التي تدفع الوترين الصوتيين.

١/ يُنظر، كمال بشر، علم الأصوات: ص٢٠٦.

٢/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٧٤.

٣/ اللغويون: يُنظر، عبد الرحمن أيوب، الكلام إنتاجه وتحليله: ص٣٥٥.

٤/ بعض الباحثين: يُنظر، تمام حسان، مناهج البحث في اللُّغة: ص١٢٤.

٥/ يُنظر، جان كانتيو، دروس في علم أصوات العربية: ترجمة صالح القرمادي، ص١٠٧.

ففي صوت القاف عمليات عضوية معقدة؛ تقوم بها أعضاء النطق الأولى عند فتحة الحنجرة. وثم لا بدَّ من دراسة العلاقة بين الحنجرة والأوتار الصوتية.

والثانية عند المخرج حيث تتصل مؤخرة اللسان باللهاة اتصالاً لا ينتج عنه تضييق في الحلق.

أمَّا القدماء من علماء اللُّغة فيقولون(١) في مخرج القاف: إنه من أقصى اللسان ما فوقه من الحنك الأعلى.

فيكتفون بالإشارة إلى حركة أعضاء النطق في مخرج الصوت. كما درجوا على ذلك في كل صوت وينسبونه إلى اللهاة فهو (لهوي).

"الكاف... يتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً فإذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباساً كاملاً، لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك، فلا يسمح بمرور الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالاً مفاجئاً؛ انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثاً صوتاً انفجارياً هو ما نسميه الكاف"(٢).

نفهم من ذلك أن صوت الكاف يحدث عندما ينساب الهواء خلال فتحة المزمار التي تكون متسعة لسكون عضلات وغضاريف الحنجرة، نظراً لضعف الهواء أسفل المزمار، ويستمر تيار الهواء حتى يصل إلى مخرج الصوت. فتلتصق مؤخرة اللسان بـ(الطبق) التصاقاً محكماً يعقبه انفراج مفاجئ سريع.

"الخاء يشترك مع الغين في كل شيء غير أن الغين صوت مجهور نظيره الخاء المهموس... فكل من الخاء والغين صوت رخو ومخرجهما واحد. فعند

١/ القدماء: يُنظر، سيبويه، الكتاب: ج٤، ص٤٣٣.

٢/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٧٣.

النطق بالخاء يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصـوتيين، ثم يتخـذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم"[1].

أمَّا صوت الخاء فيشبه الكاف في حركة أعضاء النطق عند الحنجـرة ولا يشبهه في حركتها عند مخرج الصوت. حيث لا تلتصق مؤخرة اللسان بـالطبق بل تقرب منه فيضيق مجرى الهواء عند المخرج، فيحدث احتكاكـاً مسـموعاً. فذلك هو مخرج صوت الخاء.

"الغين صوت مجهور مخرجه أدنى الحلق إلى الفم، فعند النطق به؛ ينـدفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين. ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم، وهناك يضيق المجرى فيحدث الهـواء نوعـاً مـن الحفيف وبذلك تكون الغين"[2]. أمَّا صوت الغين فيفهم من خلال هذا النص.

تختلف حركة الغين فإن حركة أعضاء النطق داخل الحنجرة معه تختلـف عن حركتها مع صوتي الكاف والحاء حيث يعترض الوتران الصوتيان تيار الهواء المندفع بضغط قوي، فيتذبذبان تذبذباً يتردد صداه في الحلق والفـم وحركـة أعضاء النطق عند مخرج الصوت مع صوت الغين كحركتها مع صوت الخاء.

ويرى القدماء من علماء العربية[3] أن مخرج الغين والخاء من أدنى الحلـق وينسبونها إلى الحلق.

فالخلاف بين القدماء والمحدثين؛ خلاف في تحديد المخـرج راجـع إلى مدلول لفظ (الحلق).

١/ المرجع السابق: ص٧٦.

٢/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٧٦.

٣/ يُنظر، سيبويه، الكتاب: ج٤، ص٤٣٣.

فالصوت اللُّغوي أثر سمعي يصدر طواعية، ويتطلب الصوت اللُّغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع مُعيَّنة محددة. وتلك هي الدراسة البنيوية لها.

وعلى المتكلم أن يبذل مجهوداً لمعرفة الأصوات اللُّغوية.

ولقد حاول ابن سينا الطبيب مراماً صعباً في تعاطي دراسة الأصوات، فقد جهد أن يكشف عن الحقائق الفيزيولوجية المتعلقة بإنتاج الأصوات في تشريح.

ولعل هذا هو سر بيان موضع الحلق والحنجرة واللهاة عند القدماء إلى جانب إصدار الصوت أو الجانب النطقي يتمثل إليه الجانب الفسيولوجي- أي الجانب العضوي- في عملية نطق الصوت وهذا هو سبب الخلاف في تحديد موضع النطق السليم.

"... العين صوت مجهور مخرجه وسط الحلق، فعند النطق به يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين؛ حتى إذا وصل وسط الحلق ضاق المجرى، ولكن ضيق مجراه عند مخرجه أقل في ضيقه من الغين، مِما جعل العين أقل رخاوة من الغين"[١].

الحلق وأصل اللسان وهو: لصوتي العين والحاء عند المحدثين[٢] الذين ينسبون هذين الصوتين إلى الحلق فكل منهما حلقي، "... والحق أن تكوين العين فيه غموض لَمْ يتضح لنا بعد"[٣].

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٧٦-٧٧.

٢/ يُنظر، تمام حسان، مناهج البحث في اللُّغة: ص١٢٣-١٢٩.

٣/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٧١.

لا شك أن موضوع مخرج العين يرجع إلى حركة الأعضاء داخل الحلــق وأن الهواء المندفع من الرئتين ماراً بالحنجرة. يتعرض إلى بعض الحبس، ولكننا لا نعرف طبيعة الحبس إلاَّ عن طريق المعامل الصوتية.

في حين أن صوت العين يتم بتضييق الحلق عند لسان المزمار مع رجـــوع لسان المزمار إلى الحلق حتى يتصل أو يكاد أن يتصل بالجدار الحلقي، وتكـــون الأوتار في حالة تذبذب.

"الحاء هو الصوت المهموس الذي يناظر العين فمخرجها واحد، ولا فرق بينها. إلا في أن الحاء صوت مهموس نظيره العين"(1).

إن حركة أعضاء النطق مع الحاء تختلف من حركتها مع العين، حيث أن المخرج واحد.

إنها مع الحاء تكون الأوتار الصوتية في حالة هدوء.

يرى بعض اللغويين(2) أن الانقباض الذي يحدث في الحلق مع الصـــوت يمكن أن يحدث بفعل الأوتار الصوتية الزائفة.

"أمَّا مخرج الهمزة المحققة فهو في المزمار نفسه إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة يسمع صوت انفجاري هو ما يعبر عنه بالهمزة"(3).

فالصوت الذي يحدث عن انطباق تام للوترين الصوتيين؛ يعقبه انفـــراج

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٧١.

٢/ يُنظر، سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في العربية: ص٦٥ هامش ٤.

٣/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٧٢.

مفاجئ سريع هو صوت الهمزة.

"الهاء صوت رخو مهموس، عند النطق به يظل المزمار منبسطاً دون أن يتحرك الوتران الصوتيان، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعاً من الحفيف يسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار، ويتخذ الفم عند النطق بالهاء وضعاً يشبه الوضع الذي يتخذه عند النطق بأصوات اللين. فالهاء عادة صوت يجهر به في بعض الظروف اللغوية الخاصة وفي هذه الحالة يتحرك معها الوتران الصوتيان"[١].

أمَّا صوت الهاء فيحدث في الموضع الذي يحدث منه صوت الهمزة غير أن الوترين الصوتيين لا ينطبقان مع صوت الهاء بل يقترب أحدهما من الآخر بضغط ضعيف، فيحدث احتكاكاً تفخمه فراغات الحلق والفم.

أمَّا القدماء من علماء العربية[٢] فيجعلون مخرج صوتي الهمزة والهاء من أقصى الحلق وينسبونها إلى الحلق أيضاً. وهي من الأصوات الحلقية عندهم.

ويظهر لنا من خلال هذا التحليل البنيوي للمحدثين؛ أن الصوتين مخرجهما الحنجرة.

وتعبير ابن سينا عن كيفية حدوث صوتي الهمزة والهاء فيه كثير من الدقة حيث إن صوت الهمزة يحدث "من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرجهالي الحاصر زماناً قليلاً لحصر الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً"[٣].

ولعل رأي ابن سينا يتفق مع آراء المحدثين أن مخرجهما الحنجرة. ولعل

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٧٧.

٢/ يُنظر، ابن الجزري، النشر في القراءات: ص٦٥.

٣/ يُنظر، ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦ من مجلة الرسالة.

تسمية الحلق الأقصى يقصد بها الحنجرة في الدرس الصوتي الحديث.

صفات الأصوات:

يقسم العلماء الأصوات اللُّغوية عموماً إلى صوامت (*Consonants*)، وصوائت (*Vowels*). وهذا التقسيم بني على أساسين:

الأول: عضوي

الثاني: صوتي.

أمَّا الأساس العضوي فهو أن العلماء لاحظوا أن الهواء ينطلق حراً طليقاً دون عوائق أو حائل. فإن الدراسة البنيوية تنطلق من هذه الثنائية مع دراسة العلاقة بين تلك الثنائية.

وفي المقابل لاحظ العلماء أن الهواء يصادف عقبات انسداد تام أو جزئي في مجراه؛ ابتداءاً من الحنجرة حتى الشفتين.

وذلك حين النطق بالصوامت ولذلك عرفوا الصوت الصامت بأنه: "صوت كلام أنتج بشد أو إعاقة مجرى الهواء في أحد المخارج بجهاز النطق أعلى المزمار"(١).

ولعل هذا التعريف ينطبق في مجمله على الصوامت في العربية. غير أنه لا يتضمَّن كلاً من صوتي الهمزة والهاء اللذين يعدان من الصوامت في العربية، مع أن إعاقة الهواء التامة في الهمزة والجزئية في الهاء تكون في فتحة المزمار.

وقد صور ابن جنِّي هذه العملية العضوية حين قارن بين حركة الصوت في جهاز النطق وحركة الصوت في الناي آلة العود بقوله: "يخرج فيه مستطيلاً

١/ محمد منصف القماطي، الأصوات ووظائفها: مطبعة جامعة الفاتح، طرابلس، ١٩٨٦م، ص٥٠.

أملس ساذجاً.. فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتاً آخر"[1].

وهكذا نجد أن ابن جِنِّي قد تنبه إلى أهم خاصية تميز الأصوات الصائتة من الصامتة. وهي حرية مرور الهواء دون عوائق مع الصوائت.

وقد حدد أنيس العوامل التي تؤثر في درجات الصوت من خلال الدرس اللغوي، وهي:

"أ- السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين وتحديد نسبة ما يندفع منهما مع التنفس وتنظيم هذا حسب الإرادة.

ب- مرونة عضلات الحنجرة، فعلى قدر هذه المرونة؛ تتوقف درجة الصوت، فكلما ازدادت مرونته كثرت الذبذبات وازداد الصوت حدة.

ج- طول الوترين الصوتيين يؤثر في درجة الصوت تأثيراً عكسياً. بمعنى أنه كلما طال الوتران الصوتيان قلَّت الذبذبات وترتب على قلتها عمق الصوت حتى يصل في بعض الحالات إلى ما قد يسميه الموسيقيون: القرار"[2].

ويعترض على هذا الأساس العضوي صوتان من أصوات العربية هما الواو في نحو: صوم ويَوْم، أو الياء في نحو: (بَيْت).

فإن اعتراض مجرى الهواء عند النطق بهذين الصوتين للتحليل البنيوي يكون بدرجة أقرب إلى الصوائت منها إلى الصوامت. ولذلك سمي كل منهما نصف حركة، أي نصف صائت[3] (*Semi Vowel*). أمَّا من الناحية الوظيفية

١/ يُنظر، ابن جنِّي، سر صناعة الإعراب: ج١، ص٨-٩.

٢/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص١٢.

٣/ يُنظر، كمال بشر، علم اللُّغة الاجتماعي: بشر، علم اللُّغة علم الأصوات: ص١٣٤.

فهما من الصوامت ولذلك سمي كل منهما أيضاً (نصف ساكن[1]) أي نصف صامت (*Semi Consonant*).

أمَّا الأساس الصوتي فهو نسبة وضوح الصوت في السمع؛ فإن العلماء لاحظوا أن الصوائت أكثر وضوحاً من الصوامت.

وهناك من الصوامت ما له نسبة وضوح في السمع تقرب من الصوائت مثل صوتي (الميم والنون)؛ لأنَّ الهواء معهما رغم أنه يحدث اعتراضاً في تجويف الفم ينفذ من التجويف الأنفي الذي يعمل عمل المدوي. فيكسبان بذلك خاصية الوضوح السمعي.

وبصفة عامة فإن الأصوات المجهورة أقوى وضوحاً في السمع من الأصوات المهموسة، وعلى هذا فإن أصوات العربية الأساسية تنقسم إلى:

١/ **صوائت**: وعددها ستة، ثلاثة منها قصار وهي ما تعرف بالحركات (الفتحة، الكسرة، الضمة) وثلاثة منها تمتد الآلة الصوتية فيها في أدائها وهي: الألف، الياء، والواو. وتعرف بأصوات المد، وتسمى بالعلل، أو الأصوات الطليقة[2].

٢/ **صوامت**: وعددها ثمانية وعشرون وهي: الهمزة، الباء، التاء، الثاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدال، الذال، الراء، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، العين، الغين، الفاء، القاف، الياء، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الواو. وقسمة الأصوات الحبسية: الجهر والهمس.

١/ أحمد مُختار عمر، دراسة الصوت اللُّغوي: ص١٨٢.

٢/ يُنظر، محمد حلمي خليل، علم اللُّغة البنيوي: تحليل اللغويات التطبيقية ومعجمها: مجلة اللسان، العدد ٢٢، ١٩٨٠م، ص٦.

تنقسم الأصوات اللُّغوية إلى مجهورة ومهموسة. وأساس هذا التقسيم عند المحدثين هو ذبذبة الأوتار الصوتية وعدمها داخل الحنجرة(١).

ولذلك يعرف الصوت المجهور (*voiced*) بأنه الصوت الذي يذبذب الأوتار الصوتية حال النطق(٢).

ولا توجد علاقة لفظية بين مصطلح الجهر والهمس من جهته وبين ذبذبة الأوتار الصوتية وعدمها من جهة أخرى.

يقول أحد المحدثين متسائلاً "الصوت الذي لا يتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق"(٣).

وما تلك العلاقة التي صنعها المحدثون إلا نتيجة للتجارب الحديثة التي أجريت بالاستعانة بعلوم الطب والتشريح والفيزياء. فقد لاحظ العلماء ذبذبة كثيفة في الأوتار الصوتية تصحب النطق ببعض الأصوات. وتكون الأوتار في حالة شبه سكون حين النطق ببعض الأصوات(٤).

فوصفوا النوع الأول بالجهر. ووصفوا الثاني بالهمس. ويبدو أن الأمر في غاية من الدقة؛ لأنَّ العملية الصوتية داخل الحنجرة معقدة جداً.

أمَّا الجهر والهمس عند القدماء فيختلف عن أساس المحدثين. ويتضح ذلك في تعريفهم للجهر والهمس بقولهم: "**المجهور**: حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الصوت... **والمهموس**: حرف أضعف

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٢٠؛ وينظر، تمام حسان، مناهج البحث: ص١١٢.

٢/ يُنظر، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللغوي: ص٤٢.

٣/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللغوي: ص٤٢.

٤/ يُنظر، كمال بشر، علم اللُّغة علم الأصوات: ص١٧٤.

الاعتماد في موضعه، حتى جرى النفس معه"[١].

ويبدو أن المجهور والمهموس متفقان في الاعتماد مع فـــارق أن المجهـــور إشباع الموضوع والمهموس ضعف الموضع ولعل الموضع هو الأوتار الصوتية.

وقد تردد هذا التعريف عند علماء العربية[٢] من بعد ســـيبويه. ويـــرى الباحث أن علم التشريح الصوتي عند التحليل البنيوي قد وضـــح أن الأوتـــار الصوتية هي السبب في الجهر والهمس وأن عملية الإشـــباع وعـــدمها هـــي: عملية التقارب بين الوترين والتباعد بينهما. فالإشباع معنـــاه القـــوى التقويـــة (*Strengthening*) وهو التقارب، والإضعاف معناه إزالة القوة (*Weakening*) وهو التباعد في الوترين[٣].

وهذا يوافق ما توصلت إليه الدراسات الحديثة؛ فقد توصل الباحثون إلى "ربط الضغط أسفل الحنجرة بدرجة الصوت (خارج الفم) وإسماعه"[٤].

كذلك دلت الدراسات الحديثة على أن "الجهر ينتج عندما تتحرك الثنايا الصوتية (الأوتار) تحركاً منتظماً نتيجة لتوترها وقوة دفع الهواء.

كما أن زيادة الضغط أسفل الحنجرة؛ تكون عاملاً في زيادة التـــردد في الموجة الأساسية للأصوات المجهورة"[٥].

١/ سيبويه، الكتاب: ج٤، ص٤٣٤.

٢/ يُنظر، ابن جنِّي، سر صناعة الإعراب: ج١، ص٦٠.

٣/ يُنظر، عبد الحميد الهادي، الدراسات الصوتية عند علماء العربية: ط١، الجماهيرية العربية، طرابلس، ١٩٩٢م، ص٦٠.

٤/ عبد الرحمن أيوب، الكلام إنتاجه وتحليله: ص٣٧٧.

٥/ المرجع السابق: ص٥٧.

كذلك قد أثبتت التجارب الحديثة الفيزيائية[1] أن الأصوات المهموسة يكون ضغط الهواء أسفل الحنجرة معها مساوياً لضغط الهواء أعلى الحنجرة.

أمَّا الأصوات المجهورة فإن ضغط الهواء أسفل الحنجرة هو الذي يكون أقوى من الضغط أعلى الحنجرة.

وهكذا يتضح لنا أن سيبويه قد أحس بوجود ضغط قوي للهواء يصاحب نطق الأصوات المجهورة وعبر عنها بالإشباع.

"... فحين تلتقي الشفتان محكماً فينحبس عندهما مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن بعدها تنفصل الشفتان انفصالاً فجائياً، يحدث النفس المنحبس صوتاً انفجارياً وهو ما ترمز إليه في الكتابة بحرف الباء. فهذا النوع من الأصوات الانفجارية وما اصطلح القدماء على تسميته بالشدة، وما يسميه المحدثون انفجارياً (*Plosive*)"[2].

ويعرف ابن جِنِّي الصوت الشديد بأنه "الذي يمنع الصوت من أن يجري"[3].

لا شك أن الانفجار والشدة مثلان للقوة دلالة على انحباس الهواء للعضو المعني. فيندفع الهواء محدثاً نوعاً من الانفجار.

الانفجار تسبقه مرحلة انحباس الأصوات الانفجارية العربية. نجمعها في كلمة (أكتب ضد قط) الوقفات الانفجارية *Plosive Stops* وهي الهمزة

١/ يُنظر، محمد حلمي خليل، مجلة اللسان العربي: العدد ٢٢، التجارب الفيزيائية.

٢/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٢٣-٢٤.

٣/ ابن جِنِّي، سر صناعة الإعراب: ص٦٣.

والقاف والكاف والدال والضاد والتاء والطاء والباء[1].

كما أن المحدثين[2] يصفون الصوت الذي ينطق بهذه الطريقة بصفات مختلفة مثل انفجاري (*Plosive*)، ووقفي (*Stop*)، انحباسي (*Implosive*)، منغلق *Closed*.

ورغم وجود المصطلحين الشدة عند القدماء والانفجار عند المحدثين. يرى الباحث أنهم يجمعون على تعريف واحد للصوت الذي ينطق بهذه الطريقة وهو أنها أصوات ناتجة عن انحباس الهواء في فترة زمنية، ثم انطلاقه بعد الحبس في نقطة ما.

إن طريقة القفل التام لمجرى الهواء تشتمل على ثلاثة خطوات هي:

أ- الإمساك أو الشدة.

ب- الإغلاق أو الحبس.

ج- الفتح أو الانفجار.

ولعل ابن جِنِّي قد عرف الصوت الشديد بأنه "الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"[3].

ويعرفه ابن سينا بـ(المفرد) الحروف المفردة "حدوثها عن حبسات تامة

١/ كمال بشر، علم الأصوات: ص٢١٢.

٢/ يُنظر، سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في العربية: ص٣١.

٣/ ابن جِنِّي، سر صناعة الإعراب: ج١، ص٦٢.

للصوت أو للهواء الفاعل للصوت تتبعها إطلاقات دفعة"[1].

ومن ثم فإن التحليل البنيوي لهذه الأصوات يرجع إلى وصف الصوت بالشدة قد نظر إلى حالة الإمساك أو الشد وهي اتصال عضوين من أعضاء النطق فذلك وصف الصوت بأنه (شديد).

أمَّا الذي وصف الصوت بالانفجار؛ فهم المحدثون الذين نظروا إلى حالة الفتح والانفجار وهي:

انفصال العضوين فجأة فذلك وصف الصوت بأنه (انفجاري) والذي وصف الصوت بأنه (وقفي) فقد نظر إلى ما يترتب على الإمساك أو الشد؛ حيث إن الهواء المندفع يقف فجأة نتيجة غلق المجرى أمامه، فذلك وصف الصوت بأنه (وقفي). والذي وصف الصوت بأنه (انحباس) فقد نظر إلى حالة انحباس الهواء خلف نقطة تلاقي العضوين. فذلك وصف الصوت بأنه (انحباس)[2].

والذي يصف الصوت بأنه (منغلق) فقط نظر إلى حالة إغلاق المجرى بسبب اتصال العضوين وحبس الهواء خلفهما. فذلك وصف الصوت (منغلق).

أمَّا المصطلح الذي انفرد به ابن سينا فهو الأصوات المفردة ووجهة نظره أنها أصوات سريعة لا تحتاج إلى جهد عضوي وهي الانفجارية.

"أمَّا الأصوات الرخوة فعند النطق بها لا تحبس الهواء انحباساً محكماً، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه عند المخرج ضيقاً جداً... ويترتب على ضيق المجرى أن

١/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٦ مجلة الرسالة.

٢/ يُنظر، كمال بشر، علم الأصوات: ص٢٤٧.

النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعاً من الصفير أو الحفيف... اصطلح القدماء على تسمية الصوت الرخو. وهذه الأصوات يسميها المحدثون الأصوات الاحتكاكية"[1].

يصف المحدثون الأصوات التي تنتج بهذه الطريقة: (الاحتكاكية). أمَّا القدماء فيصفونها بـ(الأصوات الرخوة)[2].

أمَّا ابن سينا فيسمي الأصوات الرخوة (مركبة) ويقول: "الأصوات التي يكون حدوثها عن حبسات غير تامة، لكن تتبعها إطلاقات"[3]. ويظهر من ذلك؛ إن للأصوات التي تنطق بهذه الطريقة مظهرين:

الأول: عضوي، وقد عبر عنه المحدثون بالتضييق الذي يحدث لمجرى الهواء وعبَّر عنه ابن سينا بالحبسات غير التامة التي تحدث للهواء.

الثاني: سمعي، وقد عبر عنه المحدثون بالاحتكاك، وعبر عنه ابن سينا بالإطلاقات التي تتبع الحبسات غير التامة للهواء.

إن نسبة الاحتكاك في الأصوات الرخوة من خلال التحليل الوصفي ليست متساوية؛ ففي بعض الأصوات تكون أعلى وأوضح في السمع من غيرهما وبين ذلك ثلاثة أصوات لها نسبة عالية من الاحتكاك تبلغ حد الصفير هي: (ص، س، ز). والسبب في ذلك أن مجرى الهواء يضيق جداً عند النطق به ولذلك عرفت بـ(أصوات الصفير).

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص٢٤-٢٥.

٢/ كمال بشر، علم الأصوات: ص٣٠٥.

٣/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص٢٣٩ مجلة الرسالة.

ويرى سيبويه أنها سُمِّيت كذلك لأنها "أندى في السمع"[١].

ويظهر لنا الفارق في الجدول أدناه اتفاقاً في الكم واختلافاً في صوت (ع):

القدماء	**الأصوات الرخوة**	س ز ص ش ذ ث ظ ف هـ ح خ غ ض
المحدثون	**الأصوات الاحتكاكية**	س ز ص ش ذ ث ظ ف هـ ح خ غ ع

فالقدماء لَمْ يعدوه من الأصوات الشديدة ولا الرخوة.

يقول سيبويه "أمَّا (العين) فبين الرخوة والشديدة"[٢].

أمَّا أنيس يعد صوت (العين) بين الرخوة والشدة ويعلل بقوله: "ولعل السر في هذا هو ضعف ما يسمع لها من حفيف إذا قورنت بالغين"[٣].

ويرى الباحث أن صوت (العين) يحتاج إلى مزيد من الكشف والفحص بترك ما تتمخض عنه البحوث المعملية في المستقبل من نتائج؛ لأنَّ هناك اختلاف بين المحدثين[٤] في تحديد وضعه من خلال الدرس اللغوي.

الظواهر الصوتية:

الكلام ما هو إلاَّ أصوات ينطق بها فتصل، فإذا تكلم الإنسان مال إلى

١/ سيبويه، الكتاب: ج٤، ص٤٦٤؛ وأندى معناها: أرفع وأعلى، يُنظر، هامش الكتاب.

٢/ المرجع السابق: ج٤، ص٤٣٥.

٣/ يُنظر، إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية: ص٧٧.

٤/ هناك دراسة سلمان العاني تقول إن الحقيقة المعملية لَمْ تظهر بعد التشكيل الصوتي في العربية، ص٦٤.

السهولة وإلى تحقيق الانسجام الصوتي.

ولكي يتم الانسجام الصوتي لا بدَّ أن يتم بين الأصوات تقارب إمَّا في المخارج أو في كيفية النطق.

فالدراسة البنيوية لهذه الظواهر اللُّغوية تدرسها من خلال تأثير الأصوات فيما بينها.

تأثير الأصوات غير المطبقة والاحتكاكية بالانفجارية إذ تأثر صوت بما جاوره ينقلب إلى جنس الصوت الآخر أو انقلب إلى صوت مقارب له في الجهر والهمس.

"تتأثر الأصوات اللُّغوية بعضها ببعض في الكثير من الكلام. فحين ينطق المرء بلغته نطقاً طبيعياً لا تكلف فيه، فإن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر... فمن الأصوات ما هو سريع التأثر يندمج في غيره أكثر مِمَّا قد يطرأ على سواه من الأصوات ومجاورة الأصوات بعضها ببعض في الكلام المتصل... والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج"[1].

هناك تأثير تقدمي، وتأثير رجعي، وهو تأثير الصوت الأول بالثاني والعكس الثاني بالأول.

أمثلة التأثير التقدمي: إذا صنفت من الكلمات: دعا، ذكر، فالقياس يتطلب أن تحصل على الصيغتين التاليتين: ادتعى، اذتكر، زيادة أن المستعمل فعلا هو ادَّعى، ادَّكر.

اجتمع في الكلمات المذكورة: صوت (ت) المهموسة بكل من (الدال)

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص١٤٥.

الزاي على التوالي. وكل منهما مجهور؛ ولكي يتحقق الانسجام الصوتي في الدرس اللغوي كان لا بدَّ من أن يجهر صوت التاء أو همس الأصوات المجاورة له فكان ذلك.

أمَّا التأثير الرجعي: فتحويل التاء إلى دال، ومن أمثلة المماثلة الصوتية الإعلال: قلب الواو ياء (سيود)، وجود الياء والواو وتقلب الواو ياء: سيّد مماثلة تقدمية.

وكذلك من الظواهر اللُّغوية (**النبر *Stress***) وهي ظاهرة لغوية ظهرت حديثاً.

ويظهر لنا من خلال التحليل أن الكلمات مكونة من أصوات متتابعة مترابطة. يقود أحدها إلى الآخر. ولكننا نلاحظ أن هذه الأصوات تتفاوت فيما بينها في القوة والضعف بحسب الموقع الذي تقع فيه. فالصوت أو المقطع الذي ينطبق بصورة أقوى مِمَّا يجاوره يسمى نبر (*Stress*).

"النبر هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد فعند النطق بمقطع منبور نلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط إذا نشطت عضلات الرئتين... ويترتب عليه أن يصبح الصوت عالياً واضحاً في السمع"[١].

ويسمى النبر (*Stress*) فونيمات ما فوق التركيب[٢]. (النبر، التنغيم). تتميز هذه الأصوات الثانوية بدورها في تحديد الدلالة. وفي اللُّغات الأخرى لها دلالة في التمييز بين الفعل والاسم، مثال: (*increase, increase*).

"وفي اللُّغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر *Stress*، تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو

١/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص١٣٨.

٢/ كمال بشر، الأصوات العربية: م الشباب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٦٢.

مقدمتها، حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده، فإذا لَمْ يكن في الكلمة مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها غير أنه في اللهجات الحديثة قد ساد النبر الزفيري في كل مكان منها"(١).

أمَّا في العربية فلها دور في الجملة المركبة. اكتبي الدرس لمخاطبة المفردة ومعلمو اللُّغة. ولها دور في النطق مع مراعاة المقام. كلمة شيخ قد يكون النطق بها للتعجب، وقد يكون للسخرية، وقد يكون للمدح.

والمقطع المنبور يقع في درجات متعاونة. وتلك هي دراسة البنيوية للمادة الصوتية التي يقصدها رمضان عبد التواب في معرفة المنبور.

مثال كلمة كيف: تتكون من مقطعين (كـيـْ، فَ)، (كيـ: /ص ح ح/. فَ: /ص ح/). نلاحظ أن المقطع الأول يتحمل نبراً قوياً من الواقع على المقطع الأخير.

"أنواع النبر في العربية هي:

١/ رمز /١/.

٢/ ثانوي رمز /٥/٨/.

٣/ متوسط رمز /٧/"(٢).

النبر الأحادي هو النبر الذي يقع في المقطع الواحد.

مثال قمْ: ص ^ح ص. في الكلمة ذات مقطع واحد.

النبر الثنائي: مثال قام: ص ^ح ح/ص ح. في الكلمة ذات مقطعين. النبر

١/ كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، م جامعة الرباط، ١٩٧٧م، ص٤٥.

٢/ د. كمال إبراهيم بدري، علم اللُّغة المبرمج: ط١، جامعة الرياض، ١٩٨٢م، ص١٥١.

الثلاثي ويكون في الكلمة ذات ثلاثة مقاطع ويقع النبر في الثاني إذا كان متوسطاً أو طويلاً.

مثال أعانت: ص ح/ص ح ح/ص ح ص.

أمَّا إن كان المقطع الثاني قصير فإن النبر يقع على المقطع الثالث.

مثال دخل: ص ح/ص ح/ص ح[1]. (∧ فوق المقطع الأول: ص ∧ح)

ويظهر لنا جرس الكلمة من خلال نبرها عند نطق الصوت بــه، وعنــد النطق بصوت آخر أخفى؛ فيحتاج إلى ظهور قوي وشد في النطق. ومن ثم تظهر المرونة في الصوت غير منبور وإن جهر صاحبه به بالشدة. فتلك غاية القوة.

دون شك إن دراسة الصوتيات عند أنيس وتحليلها تحليلاً بنيوياً يقودنا إلى دراسة تركيب المفردات والجمل والصيغ عند الأستاذ تمام حسان.

∧

١/ : علامة تشير إلى موضع النبر.

المبحث الثاني
آراء تمام حسان(١)

ليس لوحدات اللُّغة علاقة ثابتة بالوظائف النحوية. كما هو شأن الوحدات بالمعاني.

فالعلاقة بين الوحدات اللُّغوية والمعاني متغيرة. فقد يتعدى المعنى للفظة واحدة، كما قد تؤدي وحدة لغوية واحدة عديداً من المعاني في التراكيب المختلفة.

"ومن هنا اتسمت الدراسات اللغوية العربية بسمة الاتجاه إلى المبنى أساساً ولَمْ يكن قصدها إلى المعنى إلاَّ تبعاً لذلك وعلى استحياء. وحين قامت دراسة (علم المعاني) في مرحلة متأخرة عن ذلك في تاريخ الثقافة العربية كانت طلائع القول في هذه الدراسة كما كانت في بداية دراسة النَّحو تناولاً للمبنى المستعمل على مستوى الجملة لكن لا على مستوى الجزء التحليلي كما في الصَّرف ولا على مستوى الباب المفرد كما في النحو"(٢).

لا شك أن المفردات اللفظية لها حرية الحركة في النظام اللُّغوي وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من جهة وقوعها من حيث الوضع وعرضها وتركيبها؛ وتعيين علاقات بعضها ببعض من خلال الصيغة والنمط الصوتي. كل ذلك مرتبط

١/ تمام حسان: هو باحث لغوي وُلِد بالقاهرة وتتلمذ على يد العالم (فيرث) عمل بالجامعات العربية، جامعة الخرطوم والمغرب، معهد الدراسات اللُّغوية بالسعودية صاحب منهج في الدرس اللُّغوي الحديث المعاصر، موجود على قيد الحياة، من مؤلفاته: (مناهج البحث اللُّغوي)، (اللُّغة بين الوصفية والمعيارية)، (اللُّغة العربية معناها ومبناها)، و(الأصول دراسة سمولوجيةّ).

٢/ تمام حسان، اللُّغة العربية معناها ومبناها: ط٣، عالم الكتب، ١٩٩٨م، ص١٢.

بالنحو وتعقيده.

وهنا يظهر لنا الفرق بين النص النحوي وهو ينتمي إلى صاحبه، ويمثل قواعد تعليم النطق، والخوف من اللحن.

أمَّا النص اللُّغوي فهو ينتمي إلى اللسان الذي تملكه الجماعة اللُّغوية. وهي دراسة اللُّغة في نفسها وذاتها[1].

ويرى الباحث أن النصين يمثلان الثنائية اللُّغوية في الدرس البنيوي في إطار التنظيم اللُّغوي.

وهي التي عبر عنها الكلام واللُّغة.

كما تظهر لنا أن الحركات العربية أيسر في التحرك من الحرف؛ وهي كافية في الدلالة على معنى الكلمة في إطار الجملة البنيوية.

فالحركات الإعرابية لها أثر واضح في المعنى ولها وجود حسي في المبنى.

أمَّا النظام النحوي يمثل حركة العلاقات داخل السياق. وتلك هي الدراسة السمولوجية.

التنظيم البنيوي:

يمثل النحو متجه المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النص ودراسته دراسة بنيوية تزيده مهام أخرى هي: بيان عناصر النص في التنظيم، وتحديد الوظيفة الدلالية داخل أنسجة التركيب.

"إن المنهج الحديث يرتضي اتجاهين في البحث اللُّغوي ويفرق بينها تفريقاً

١/ يُنظر، تمام حسان، اللُّغة المعيارية والوصفية: ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٥٢.

جذرياً، **أولهما: الاتجاه التاريخي**، الذي يرصد تغير الظواهر اللُّغوية من عصر إلى عصر، فيختار من هذه الظواهر واحدة ويتبع سيرها في تطورها على مر العصور. وقد تكون هذه الظاهرة مِمَّا ينتمي إلى حقل المبنى فتكون الدراسة لتطور البنية... **والاتجاه الثاني هو: الاتجاه الوصفي**، وهو لا يقتنع بالظواهر المنعزلة... إنما يتناول النظام كاملاً متجانساً في مرحلة بعينها ليصف تركيبه وعلاقاته الداخلية... وليصف مكوناته تصنيفاً يغني عن المفردات غير المطردة السلوك"(١).

اللُّغة كما هو معلوم عرضة للتعبير والانفعال نحتاً وإبدالاً وقلباً، ومن ثم فإن للتنظيم اللُّغوي دوره في إفراد مضامين التركيب. فالدراسة البنيوية تتطلب الدقة والوضوح والمنهجية في تحديد الإطار لتنظيم وترتيب المفردات.

مثال: قابلت رجالاً سودانيين.

فالوحدة اللُّغوية (سودانيين) تؤدي وظيفة نحوية واحدة وهي الوصف (نعت). وكلمة (رجالاً) تؤدي وظيفة أنها موصوفة مع مراعاة أمر العلاقة التي تنصب بها الوحدة هي الوصف للوحدة (رجال).

يمكن أن تستبدل الوحدة اللُّغوية بوحدة أخرى من وحدات اللُّغة العربية في الإطار البنيوي هي (جار ومجرور) مثال: رجالاً من السودان.

يشمل التركيب البنيوي الوظيفة النحوية ذاتها التي شغلها المكون الجار والمجرور، فيصبح قابلت رجالاً من السودان. وهنا تظهر العلاقة بين الجار والمجرور والفعل قابلت حيث يتعلق الجار والمجرور به تلك دراسة سمولوجية بحتة.

١/ تمام حسان، الأصول دراسة سيميولوجية: عالم الكتب، القاهرة، ص١٠٢-١٠٣.

فالتحقيق النحوي يستبدل المعاني الوظيفية وليست المعاني المعجمية. يقوم مفهوم البنيوية على النسقية التي تلتئم بين الكلمات التي تمثل كل واحدة منـــها موقعها في الجملة.

"إذا كان النحو صناعة فهو بالضرورة بنية مجردة ذات علاقات داخليـــة عضوية؛ وإذا كانت المعرفة تكشف بمداومة الاطلاع، ويتوقف الوصول إليهـــا بتوقف هذا الاطلاع فإن الصناعة تكتسب بالتدريب حتى تصبح مَلَكَة في النفس تمكن بالتطبيق المستمر"[١].

لَمَّا كانت الكلمات التي لا معنى لها، بل هي أدوات نحوية تتبع النحـــو الوظيفي، فإنها تصنف نوع الوظيفة التي تناط بها. وهي ذات نمطين:

الأول: يختص بتركيب الجملة إلى الجانب الكمي.

الثاني: تفيد بناءها إلى الجانب الكيفي. وتفسير ذلك أنه إذا تغـــير بنـــاء الجملة من الناحية الكمية؛ فالأمر يتعلق بوظيفة الربط التنظيمي الـــذي يســـوغ ازدياد عناصره من خلال الدرس البنيوي ومن ثم يمكن أن يربط كل عنصر بهذا التركيب ربطاً لا نهاية له. يظهر ذلك في علاقة التركيـــب وخاصـــة في أدوات الربط بالتركيب الصرفي (المورفولوجي) في الضمائر وأدوات العطف مثال: (له، بك، ولها... الخ).

التنظيم اللُّغوي يختلف اختلافاً بيناً تبعاً لنوع العلاقة بين تنظيم الكلمة في تركيب السياق اللُّغوي وتبعاً لنوع العلاقة المكانية. مثال الفاعل السلبي مثـــال: حضر القوم إلاَّ زيداً[٢]. على الرغم من أن زيداً منصوبٌ فإنه فاعـــل وبـــذلك يكون لدينا فاعلان أولهما: القوم وهو فاعل إعراباً ظاهراً.

١/ تمام حسان، الأصول دراسة سيميولوجية: ص٦١.

٢/ يُنظر، ابن هشام، شذور الذهب: تحقيق محمد محي الدين، باب الاستثناء، ص٣٤٠.

أمَّا زيد فإن عدم الحضور دلالة على فاعليته والمعنى ما حضر زيدٌ، كما أن شروط المفعول لَمْ تقع عليه وهو منصوب من حيث الموقع الإعرابي، ووضع أداة الاستثناء دلالة على النص.

وهكذا تظل حركة التنظيم في التركيب البنيوي مزدوجاً بين الوظيفة والدلالة.

ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللُّغات ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صيغة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى[1].

فالتنظيم اللُّغوي يتطلب دراسة المقام تبعاً للوضع الاجتماعي والثقافي. فالدراسة التنظيمية تركز على مراعاة نظم وقوانين الدرس اللُّغوي.

إن اللُّغة وحدها هي التي مكنت الإنسان من أن يدرك الأشياء من حوله ويفكر فيها؛ لأنَّ أي إدراك أو تفكير يجب أن يضع للُّغة اعتباراتها في تحديد القانون المعياري وعلاقته بالتأليف.

فالعلاقة فضفاضة ومرنة يسودها التداخل. فالدراسة البنيوية تدرس العلاقات من خلال التحليل مع مراعاة المقام والجانب الوظيفي المعجمي. كما في مثال الاستثناء.

كما يجب أن تتكامل الوظائف الإعرابية والتركيبية في العربية. وكذلك في سائر اللُّغات المعربة. وهذا دليل على أن الإعراب ليس مجرد حركات وإنه إلى جانب ذلك ذو وظائف كثيرة. فالتوافق والتحالف من الوظائف التي يؤديها الإعراب في العربية؛ وإنما يحدثُ التنظيم اللغوي بوجود التوافق والتحالف معاً.

١/ يُنظر، أبو هلال العسكري، الصناعتين: ص٦٧.

"وللدراسات اللُّغوية الحديثة اهتمام خاص بدراسة المعنى يقويه ويدعمه... إن المعنى في نظر هذه الدراسات صدى من أصداء الاعتراف باللغة كظاهرة اجتماعية ونتيجة لتشابك العوامل المختلفة في إطار سياق الثقافة الشعبية من عادات وتقاليد... فاللُّغة أداة اجتماعية يوجدها المجتمع"(١).

تقتضي الدراسة البنيوية أن تنظر للكلمة في التنظيم وهي (منطوقة) على أنها المادة المحسوسة والمحدودة لفكرة المعنى ومن ثم ترسم لنا الدراسة التحليل فيما يدور عليه من مدلولات في عناصر الجملة. فالدال والمدلول يكونان في جملة أصلاً. وأخرى فرعاً. وقد تكون الجملة الأصل فرع في النموذج اللُّغوي المراد تحليله بنيوياً، مثال:

في الدار صاحبها؟

هنا المستفهم عنه صاحب الدار، فأصبح أصلاً في الجملة علماً بأن المسند هنا الجار والمجرور فرع إلاَّ أنه أصل في تركيب الجملة؛ لأنه واقع مكان الصدارة. تلك هي عملية تنظيمية في تحليل الدرس البنيوي؛ ويؤكد ذلك القول هذه المقولة: "واللُّغة ظاهرة على جانب كبير من التعقيد والتنوع، فالجمل أو التركيب أو الأبنية التي تؤلف نسيجها لا حصر لها، وتتنوع... على درجة عالية من التنظيم"(٢).

وتظهر لنا الدراسة البنيوية في تنظيم الربط بصورة كافية. وذلك لوجود العلاقة بين الكلمتين في الجملة الواحدة؛ فإنه تعبير أقل قدرة على التحكم في العناصر اللُّغوية.

١/ تمام حسان، اللُّغة العربية معناها ومبناها: ص٢٨.

٢/ محمد حسن عبد العزيز، مدخل علم اللُّغة: دار الفكر، بيروت، ص٤٠.

وبالتالي تعمل فيها على المستويات الثلاثة وتتقيد الحرية التي يتمتـع بهـا التنظيم في الانتقال من موقع إلى آخر. وهكذا نلاحظ استمرار الـتلازم بـين الكلمتين بصورة دائمة في النعت المقطوع "ويجوز قطع الصيغة المعلوم موصوفها حقيقة أو ادعاء رفعاً بتقدير: هو. ونصباً بتقـدير: أعـني أو أمـدح أو أذم أو أرحم"[1].

المثال: مررت بزيدٍ الكريمُ. فنجد الكريم صفة لزيد وكان ينبغي أن تجـر الصفة.

فالتنظيم يتكون من عناصر جزئية الفعل، الاسم المجرور. فالجار والمجـرور متعلق بالفعل. أمَّا الوصف فأصبح خالياً من الإسناد ولذا رفع النعـت إمَّـا أن تقول مررت بزيد الكريم باعتبار الكريم تقع موقع الاختصاص وهو المفعوليـة. هذه رؤية النحاة من خلال دراستهم للغة. فالنعت من التوابع "إلاَّ أن الفضلات قد تكون جملاً مؤلفة من مسند ومسند إليه كالحال والنعت نحو: (جاء محمـد وهو مسرع) ورأيت رجلاً كبيراً يحرث أرضه، فجملة (هو مسرع) حال، وجملة (يحرث أرضه) نعت ولَمْ يمنع ذلك تأليفهما من مسند ومسند إليه"[2].

فالدراسة البنيوية تجعلنا ننظر إلى الجملة نظرة شمولية، من خـلال قـراءة النص. أمَّا التقدير هنا فيرجع إلى المقام في الجملة الأولى، ذات العلاقات المتداخلة فيما بينها.

وما أشار إليه ابن هشام في المدح والذم هو عين المقام. والمقام هو محـور الدراسة التنظيمية لدلالة المعنى.

١/ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: تحقيق محمد محـي الـدين، دار الجيل، د.ت، ص٣١٦.

٢/ فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفهـا وأقسـامها: ط١، دار الفكـر، عمـان، ٢٠٠٢م، ص٢٨.

وإن كلمة النعت المقطوع بالرفع. تعني جملة ذات طرف واحد امتازت بالإخبار.

ويرى تمام أنه ينبغي أن ينظر إلى الدرس النحوي على أساس من الشمولية؛ التي تمكن الباحث من أن يتجاوز الأطر الضيقة للنظرة الدلالية؛ بل لا بدَّ من مراعاة وظائفه الأساسية وهي: الموقعية -قواعد المطابقة- وتعليق الكلم بعضها ببعض.

"يمكن دراسة المادة اللُّغوية من نواحٍ أخرى متعددة عن طريق مجموعة من الطرق المساندة والتشكلات المترابطة والأنظمة اللُّغوية كالنظام الصوتي والتشكيلي والصَّرفي النحوي وهلم جراً"[1].

نفهم من هذا النص مدى وضوح الدرس البنيوي. فدراسة العناصر المتداخلة في إطار التنظيم يتمثل فيها التكامل بين عناصر التركيب وتعمل في علاقاتها.

مثال: جاء محمد وخالد، فالواو هنا أداة عطف تدل على الجمع بين الاثنين، وقد تدل على غير ذلك نحو: الإحسان يزيد وينقص. هنا تفصل بين الجمع وتحول دون اجتماعه فهي تمثل عدم الاستقرار على حالة وعدم الثبوت[2].

أمَّا الروابط (أو، وبل، ولا، ولكن) فوجودها في التنظيم البنيوي يجعلها تدل على تخالف بين المعطوف والمعطوف عليه؛ ويجعل اتجاه كل منهما مخالفاً لاتجاه الآخر[3].

١/ تمام حسان، مناهج البحث في اللُّغة: ص٦٦.

٢/ يُنظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص٢٢٤.

٣/ يُنظر، عبد القادر عبد الجليل، اللسانيات الحديثة: ص٢٣٠.

(**أو**): دالٌ على نفي اجتماع المعطوف والمعطوف عليه، فالتحيز يعني عدم الموافقة.

(**بـــل**): ما قرأت كتاباً بل مجلة. فإثبات القراءة يسير باتجاه واحد وهـــو المعطوف عليه (مجلة).

(**لا**): جاء زيد لا خالد. تسير في اتجاه مخالف تماماً لاتجاه الجملة.

ويلاحظ أن السياق لا يكون منعزلاً، بل متماسكاً ويتكون التنظيم مـــن عناصر تركيبية جزئية؛ يتصل الواحد فيها بالآخر اتصالاً عن طريق العلاقـــات المتداخلة غير مباشرة (اعتباطية).

مثال: نيالا مدينة جميلة مناظرها.

وهذا ما يعرف بالنعت السببـــي، فإن الضمير في مناظرها يعـــود إلى مدينة وكلاهما مفرد مؤنث وهذه علاقة تطابق بينها. ومن ثم علاقـــة تطـــابق الوصف جميلة للمناظر غير أن الوصف سبق الموصوف، ومن حقه أن يتبعه لا أن يسبقه، ومع ذلك فإن الدراسة البنيوية تبين لنا التبعية ما زالت قائمة دلالياً.

لذلك تسير حركة الصفة باتجاه الموصوف.

"إذن: فتكوين الصور الذهنية، أو المدركات الكلية من خـــلال تحليـــل وتركيب المدركات الحسية، يحتاج إلى اللُّغة لتحديد هذا المـــدرك أو المفهـــوم وتثبيته"[1].

ولعل ذلك يرجع إلى السياق الثقافي للمفردة اللفظية عند البنية المعنية.

١/ نوال محمد عطية، علم النفس اللُّغوي: ، ط٣، م الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٨.

الواقع أن هذه الظاهرة اللُّغوية تصب في نظام واحد متناسق متكامل النظام اللُّغوي (*Linguistic System*). ولذا لا بدَّ أن يتم التحليل على ضوء التنظيم الذي يسجل الجانب الصوتي والصَّرفي المرتبط أشد الارتباط بالتركيب البنيوي الثقافي. وهذا ما يؤكده أنيس بقوله: "إنها صفة ذات وظيفة لغوية في تركيب الجملة تقوم بدوره وحدة من وحدات المعجم ويصلح لأن تفرد أو تحذف... وترجع في مادتها غالباً أصول ثلاثة تلحق بها زوائد"[١].

لا شك أن القدماء اعتبروا التنظيم ووضعوه في غاية الأهمية جعلوا الجملة وحدته المحورية فظهر عندهم التقديم والتأخير. وذلك بتقديم المفعول على الفاعل إن كان ضمير للمتكلم. مثال: ضربني زيدٌ، ومن التقديم والتأخير كل ذلك يدخل في إطار الدرس التركيبي لمعرفة المعنى.

وذلك لا يتم إلاَّ بدراسة كاملة عن طريق دراسة سمولوجية الوحدات اللُّغوية في النص اللُّغوي. يظهر ذلك في القرائن اللُّغوية بدلالة المعنى.

القرائن:

ما زالت قواعد النحو في الدرس اللُّغوي جزءاً لا يتجزأ من دراسة المعنى. تهتم القواعد بوصف وتركيب أبعاد زمانية ومكانية (مكانية يقصد بها الأسماء، وزمانية يُعنى بها الأفعال)[٢].

فالدراسة البنيوية لتلك القواعد دراسة موضوعية. ولذلك فإن النحاة قد بنوا النحو على المسموع من كلام العرب، وكان سماعهم يجري بحسب منهج اختيارات تاريخية، واجتماعية، وجغرافية مُعيَّنة.

١/ تمام حسان، مناهج البحث في اللُّغة الأنجلو مصرية: ١٩٧٤م، ص١٣٢.

٢/ يُنظر، تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص٣٧١.

ومن هنا لا بدَّ من مراعاة هذه الجوانب. وهي دراسة القرائن لها. "وفكرة المقام هذه هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي يبنى عليه الشق الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة... وهو الوجه تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال"[1].

المقام هو محور الدراسة البنيوية من حيث الكشف لمزيد من المعاني التي تمكن من أهمية النص المكتوب وتحديد علاقته بالمستوى الوظيفي للمستويات الثلاثة.

وبذلك نصل إلى المعاني عن طريق القرائن كما أن اللُّغة تعالج الكلمات والعبارات على هذا المفهوم.

فالدراسة البنيوية لها القدرة على التحليل -تحليل العناصر- مع ربط هذه العناصر بالعلاقات المتداخلة بينها كما هو معروف في الدرس البنيوي.

"وكذلك الأمر حين تنفرد العلاقات الصَّرفية بين الكلمات ومعانيها بالوجود؛ فلا تكون هناك وظائف ولا مقام. إن مجرد وضوح هذه العلاقات لا يؤدي إلاَّ إلى فهم للكلمات المفردة على المستوى المعجمي. إذ إنها هنا لَمْ توضع في سياق ووضوح معاني المفردات لا يكشف حتى عن المعنى الحرفي"[2].

نفهم من هذا النص أن هناك دوراً آخر لفهم المعنى يكمن في انفراد العلاقات، وأن العلاقة لا تأتي بمفردها وأنها تكتسب قيمتها من خلال الدرس المتكامل. وهو الدرس البنيوي.

١/ تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص٣٣٧.

٢/ المرجع السابق: ص٣٤١.

"... يتضح لنا أن الجملة العربية في حاجة إلى إعادة تقسيم، بناء على إعادة تقسيم الكلمة، وعدم تصميم شرط الإسناد في كل جملة كما تصور النحاة.

وكل هذا من أجل مناقشة العلامة الإعرابية؛ لأنَّ الإعراب لا يكون إلاَّ في جملة، بوصفه إحدى القرائن التي تتألف في التركيب ليكتمل للوظائف دورها في بناء الجملة العربية"(١).

نفهم من هذا النص أن الدرس النحوي يحتاج إلى المزيد من البحث والاطلاع الجاد وأن مدلول المعنى يختلف من زمن إلى آخر.

ويظهر لنا من الدرس البنيوي أن الإعراب عبارة عن قرينة تتعلق بترتيب الكلام الذي يؤدي وظيفته الإعرابية من خلال العلاقات الإعرابية والتركيبية في النص السياقي.

يؤكد بهذا القول: "... حاولنا أن نبين أن العلاقة النحوية بين المبتدأ والخبر علاقة اتحادية، وأن مضمونها الدلالي علاقات شتى منها الاحتواء والانتماء وغيرهما... ومنها أننا نضع العلاقة البنيوية فوق العلاقة المعنوية"(٢).

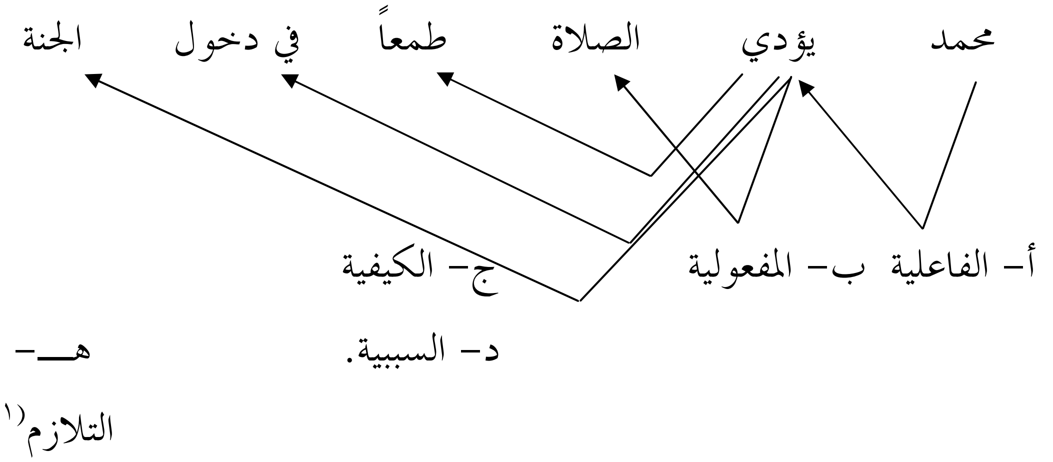
إن في اتحاد البنية مبتدأ وخبراً. والمعنى يختلف في تحديد الركن الركين، وهو المبتدأ المسند إليه. أمَّا الخبر فهو المسند علماً بأن العلامة الإعرابية واحدة وهي (الضمة).

فالبنيوية تسعى للكشف عن هذه العلاقة القائمة على الدلالة في تحديد القرينة بين المبتدأ والخبر وهي العلامة الإعرابية.

١/ محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة: دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣٩.

٢/ محمد صلاح الدين الشريف، الشرط والإنشاء: جامعة تونس، ٢٠٠٢م، ج١، ص٢٢.

عن طريق دراسة النص دراسة استقرائية لفهم الجملة ومعرفة مفرداتها ووضعها في معطيات الدرس اللُّغوي، الذي يقصد ربط القرائن في تحديد الصيغ في القرائن مثال: محمد يؤدي الصلاة طمعاً في دخول الجنة.



الإعراب: محمد: مبتدأ، يؤدي: فعل مضارع، الصلاة: مفعول به، طمعاً: مفعول لأجله، الجار والمجرور في الدخول، دخول: مضاف، والجنة: مضاف إليه.

ويلاحظ من هذا الرسم البياني أن الفعل هو محور تحليل القرائن. والعلاقات الداخلية تظهر في الحروف (ا ب ج... الخ).

على الرغم من أن الفعل جاء متأخراً فوقع في محل رفع وهو الخبر من حيث الموقع الإعرابي كما أدى دوره في الوظائف الأخرى.

فهنا البنيوية قد أسهمت في ربط العلاقات بالقرائن وهناك علاقات مباشرة وعلاقة غير مباشرة كما يظهر في الجدول. "العلاقات السياقية قرائن معنوية تفيد في تحديد المعنى النحوي (الباب الخاص كالفاعلية مثلاً)، فعلاقة

١/ الرسم: للباحث.

الإسناد مثلاً فهي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر ثم بين الفعل والفاعل أو نائبه تصح عند فهمها وتصورها قرينة معنوية على أن الأول مبتدأ والثاني خبر، أو على أن الأول فعل والثاني فاعل أو نائب فاعل"[١].

لا شك أن الدرس البنيوي في هذا المجال يسعى للبحث عن العلاقة بين الإسناد من حيث الوصف الدائم باعتبار الجملة الثانية في التأكيد.

ونفهم من القرينة المقامية كيفية العلاقة هل هي دائمة أم مؤقتة؟ فالعلاقة بين الفاعل والفعل علاقة ثابتة، إلاَّ أن المفعول يحل مكان الفاعل فعلاقة بين الفعل والمفعول علاقة دائمة لكن إن حل المفعول محل الفاعل تتطلب البنيوية أن تكون القرينة قرينة حالية مؤقتة.

"اعلم أنه ليس النظم إلاَّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه النحو وتعمل على قوانينه وأصوله تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل شيئاً منها"[٢].

ونفهم من هذا النص الذي أشار إليه الإمام الجرجاني مدى تماسك اللُّغة وملاءمتها لظرف المتكلم.

والحق أن هذا التماسك هو أصل من أصول الدراسة البنيوية، ومن التحليل نستطيع أن نفهم القرائن المتداخلة. وهذا ما تقرره البنيوية. إن اللُّغة تنظيم يتضمَّن القرائن.

إن اللُّغة في بنائها من خلال مفهوم القرائن ليست نظاماً من المفاهيم

١/ تمام حسان، اللُّغة العربية معناها ومبناها: ص١٩١-١٩٢.

٢/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص٥٥.

الثابتة؛ بل تتكون من مفاهيم غير مستقرة في أحكامها؛ ولكنها واضحة في معانيها ودلالتها، مثال وجود المنصوبات الحال والتمييز والمفعول المطلق (راكباً: هيئة، قلما: اسم، ضرباً: مصدر) وهو أصل الاسم في الاشتقاق.

"وإذا كان العرف هو الذي يحدد المقاييس الاجتماعية في كل أولئك، فالصحيح أن العرف هو الذي يحدد معايير الاستعمال في اللُّغة، وإذا كان الفرد خاضعاً دائماً لِما يحدده العرف في المقاييس الاجتماعية فهو خاضع أيضاً لِما يحدد العرف، معايير اللُّغة"(١).

هذا القول يرشدنا إلى فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية، ومدى الربط بين مفاهيمها في دلالة المفردة اللفظية، علماً بأن القرائن قد تكون سبباً مباشراً في توزيع التركيب البنيوي لهذه المفردات، والمفردات تتفاعل من خلال نظمها اللُّغوي الاجتماعي. مثال: هذه غرفة واسعة.

فهي جملة تدل على قائلها في الوصف، وأن قائلها قالها في مقام مُعيَّن. فالدراسة البنيوية لها تقوم على أساس نظامها التركيبي الدلالي التداولي وبين المقام، وعلى هذا المفهوم يستطيع الدارس أن يفهم المعنى.

ويرى الباحث من خلال ما تقدم أن دور النَّحو في هذا المقام أنه دراسة تنظيمية تؤدي إلى كشف التعلق بين الاستعمالات اللُّغوية الاجتماعية على توليد معانٍ كثيرة: (اسم إشارة مبتدأ+ خبر+ صفة) ودراسة القرائن بين اسم الإشارة والصفة (هذه واسعة) كأنما هناك تأكيد للوصف وظهور البنية كمظهر تركيبي في التحليل.

"وفي دراسة المجريات العامة عند التحليل أي نطق لغوي نرى من

١/ تمام حسان، اللُّغة بين المعيارية والوصفية: ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٩٦.

الضرورة أن يجرى وصف شامل لكل ما له علاقة بالآثار، إلى تركها النطق في نفوس السامعين. ومن ثم يصبح من الضروري أن تتعرض شخصية المتكلم بل أحياناً في العنصر الشخصي في دراسة المجريات (*Centox of Situation*) لا يمكن الاستغناء عنه، إذا كان المراد هو التحليل الدقيق للنص، بحيث يوصل من تحليله إلى المعنى الاجتماعي الذي لا يقتصر على العنصر المعجمي فحسب بل من عناصر المعنى"[1]. نفهم من هذا النص أن الدراسة البنيوية تجمع بين السياق المقامي وبين القرائن في مفردات النص.

وهنا يظهر لنا أثر المدرسة الإنجليزية في رأي تمام وهو من تلاميذها. فالنص مستلهم من المعاني المعجمية ونشاط عنصر التحليل التركيبي على المستويات اللُّغوية كما في الأمثلة السابقة.

فاللُّغة تؤدي دورها الاجتماعي في إطار القرائن الاجتماعية في التحليل البنيوي لا في إطار القرينة المقولية (المعجمية).

"ومن الملاحظ أن النحاة كانوا يلمحون قرينة الإسناد بين طرفي الجملة الاسمية والفعلية والوصفية. كما كانوا يلمحون أيضاً بين المعاني النحوية داخل الجملة الواحدة وهذا المعنى الذي يلاحظه في إعراب جملة ﴿يُؤۡتِی ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾[2]. حين يعربون (مَنْ) مفعول أول رغم تأخرها والحكمة مفعول ثانٍ على الرغم من تقدمها ويكون ذلك بإدراك ما بينها من علاقة شبيهة بفكرة الإسناد"[3].

١/ تمام حسان، اللُّغة بين المعيارية والوصفية: ص٩٠.

٢/ سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

٣/ تمام حسان، اللُّغة المعيارية والوصفية: ص٩٠.

ويظهر لنا الأثر الإيجابي للدور البنيوي في هذا النص. فالناظر لهذا النص يبدو له من الوهلة الأولى أن اسم الموصول فاعلٌ في المعنى. والحكمة مفعول في المعنى. إلاَّ أن القرينة الإسنادية تقتضي في الدرس البنيوي معرفة المفعولية من حيث الأهمية.

ويرى الباحث أن المفعولية في معنى يقتضي التقديم لوجود القرينة الإسنادية.

والحقيقة أن المسند إليه في هذه الجملة لَمْ يذكر، ويوجد الركن الثاني هو المسند الفعل (يؤتي).

محور الدلالة هنا أن (مَنْ) اسم الموصول العام[1] لا يختص بالإفراد أو التثنية ولا الجمع، بل نفهم من خلال القرائن.

وهذا ما تؤكده الدراسة البنيوية في الدرس النحوي.

"... أحب النحاة أن يفرقوا بين معنيين متشابهين بسبب الاختلاف في التضام بين الواو وما يتبعها، فالذي يضام الواو في المعية اسم منصوب والذي يضام الواو في المصاحبة مضارع منصوب، ومن هذا يصح أن تنصب المضارع بعد الواو على المعية من نوع المفعول معه بعد الواو ذاتها"[2].

يرى الباحث أن الدرس البنيوي يقف حيال التخصص في الحالة الإعرابية (النصب) فالمفعول معه مثلاً: سرت والنيل. هناك علاقة بين الاسمين وهي المصاحبة، العلاقة بين ضمير المتكلم (التاء) و(النيل) والقرينة هي المصاحبة في فترة زمنية محدودة.

١/ يُنظر، ابن هشام، شذور الذهب: ص١٩٣.

٢/ تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص١٩٦.

أمَّا الفعل المضارع المنصوب بعد واو المعية فيدخل في إطار التحليل التركيبي للعبارة التي تقع لطلب القرينة التي تتعلق بمكان الحدث نفسه.

كما أن هناك علاقة (اعتباطية) بين الصيغ الطلبية وتحديد زمانها في الاستقبال. فهي قرينة معنوية.

وإن القرينة المعنوية في سياق النص تكمن في تضافر العلاقة بين القرينة والسياق نفسه لأداء المعنى.

أمَّا حال الاستثناء[1] السالب الذي سبق (النفي)، مثال: ما قام إلاَّ زيدٌ، الحالة (الرفع فقط). فالقرينة هنا تكون قرينة إسنادية.

فالدراسة البنيوية تكشف العلاقة الإسنادية، في إطار السياق اللُّغوي.

عندما تقول: ما قام إلاَّ زيدٌ. اعتبار العلاقة بين الفاعلية، والفعل، والقرينة قرينة إعرابية بين الفعل والفاعل، والاستثناء مفرغاً.

أمَّا قولنا ما قام القوم إلاَّ زيداً. فهنا العلاقة بين الفعل والاسم علاقة يضمن الاسم المنصوب مضمون الفاعل. إلاَّ أن القرينة هي قرينة رتبة في التأخير، وهي النصب باعتبار الحال، علماً بأن زيداً فاعل سالباً من حيث الدلالة.

القرائن اللفظية:

القرائن اللفظية تظهر في علاقة الاسم برتبته في التركيب السياقي "ومن هنا تكون الرتبة المحفوظة[2] قرينة لفظية، تحدد معنى الأبواب المرتبة بحسبها ومن الرتب المحفوظة في التركيب العربي أن تقدم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة"[3].

١/ يُنظر، ابن هشام، شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ص٣٤٠.

٢/ الرتبة المحفوظة: خاصة بالنحو، وغير المحفوظة: خاصة بالبلاغة.

٣/ تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص٢٠٧.

ونفهم من هذا النص أن القرائن اللفظية تعتمد على العلامة الإعرابية مع مراعاة الموقع المكاني للمفردة اللفظية. تلك هي الرتبة وصيغة المفردة وعلاقتها بالمفردات الأخرى.

للرتبة دورها في تحديد وتعيين موضع الكلمة في الجملة، ومن حيث الأسبقية في الترتيب اللُّغوي.

بالتالي يتعين تعين الكلمة في ترتيبها مع الكلمات الأخرى. وهنا يظهر النحو وهو الضابط الإيقاعي، الذي على أساسه يصح الاسم المعرب مثلاً أو الفعل رفعاً ونصباً، أم جراً للاسم وجزماً للفعل وإن كان فيه إعلال أم إبدال.

فالقرينة لا بدَّ أن تراعي دراسة النحو مثالاً للقاعدة، ودراسة التركيب البنيوي لظاهرة المفردات جميعها.

وعلى هذا القدر من تكامل التركيب مع النحو نستطيع أن نحدد موقع الرتبة في التقديم والتأخير. مثال: محمد أبوه مسافرٌ، محمد: مبتدأ أول، أبوه: مبتدأ ثان، مسافر: خبر المبتدأ الثاني في الترتيب والموقعية، المبتدأ الثاني وخبره في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والضمير هو الربط بين الاسمين، وتلك جملة داخل جملة.

"والملاحظ أننا لو استعرضنا أقسام الكلم، وربطنا بينها وبين القرينة نجد أن الرتبة تتجاذب مع البناء أكثر مِمَّا تتجاذب مع الإعراب، ويتجاوب من بين المبنيات مع الأدوات والظروف أكثر مِمَّا يتجاوب مع أي مبنى آخر"[(١)].

ونفهم من ذلك النص أن التجاوب مقصود به العلاقة البنيوية المتداخلة في الظواهر اللُّغوية.

١/ تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص٢٠٨.

والتجاوب يكون من حيث الملاءمة بين البناء والأدوات. يعني أن العلاقات فيها مباشرة ذات تركيب لغوي محكم وتكشف لنا أن الرتبة مع الإعراب علاقتها علاقة اعتباطية، إلاَّ أن العلاقة الاعتباطية لها قرينة بمعنى مفردة الكلمة المعجمية خارج السياق. ومن ثم داخل السياق عن طريق العلامة الإعرابية. مثال: أرضعت الصغرى الكبرى. خرق الثوبُ المسمارَ.

وهنا علاقات أخرى منها: علاقة التضام تركيب كلمتين بينهما معنى دلالي واحد، مثل: المضاف والمضاف إليه.

والتجاذب في البناء يظهر في الأسماء المبنية. وهي الضمائر: قمتُ، قمتَ، قمتِ، هنا القرينة بين الفعل والفاعل قرينة في الرتبة اللفظية. فالتضام يمكن فهمه على وجهين:

"الوجه الأول: أن التضام هو الطريق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديماً وتأخيراً، وفصلاً ووصلاً، وهلم جرا.

الوجه الثاني: أن المقصود بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصراً آخر يسمى التضام هنا (التلازم)"[1].

فالدراسة البنيوية ترى في الوجه الأول. وهو رصف الجملة عن طريق الترتيب في التقديم والتأخير: هي دراسة بنيوية لقرينة الرتبة النحوية.

أمَّا من حيث التأخير أولاً، والتقديم ثانياً؛ فلأن مراعاة القرينة السياقية ومعرفة المفردة اللفظية معجمياً، مع مراعاة السياق الثقافي للنص، كما يتقدم في المثال: خرق الثوب المسمار.

١/ تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص٢١٦-٢١٧.

أمَّا الوجه الثاني: عن طريق (التلازم) فالعلاقة هنا علاقـــة إســـنادية ذات طابع مباشر تكمل كلمة بالأخرى.

ويظهر ذلك في المورفيم الإسنادي عند التركيب، والقرينة لفظيـــة كمـــا تظهر تلك القرائن في مجموعة مختلفة.

"مجموعة من المعاني النحوية الأبـــواب المفـــردة كالفاعليـــة والمفعوليـــة الحالية"[1].

فالقرائن تعلق اسم باسم، وتعلق فعل باسم، وتعلق حرف بهما.

فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبراً عنه أو حالاً أو تابعاً له، أو صفة أو تأكيد أو عطف بيان أو بدلاً أو عطف بحرف أو يكون الأول مضافاً إلى الثاني.

أو يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل (أقائمٌ محمدٌ) ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول.

مثال قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾[2]. ظـــالم: اسم فاعل وصفة لأهلها، الضمير (نا) مفعول به منصوب، والجار والمجرور متعلق بالفعل خرج.

فالدراسة البنيوية تظهر لنا في صورة شاملة في العلاقـــة الإعرابيـــة بـــين الوصف والاسم فتلك دراسة علاقات لتلك الكلمـــات الموجـــودة في الـــنص. والقرينة قرينة الصفة هي التي تشكل التضام في الدرس البنيوي.

"ومن حيث التضام وعدمه المقصود بالتضام هنا غير اتصـــال اللواصـــق بالكلمة فاتصال اللواصق ضم جزء الكلمة إلى بقية هذه الكلمة... التضام فهـــو

١/ تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص٣٧.

٢/ سورة النساء: الآية (٧٥).

يتطلب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على صورة يجعل إحداها تستدعي الأخرى فياء النداء كلمة مستقلة وليست جزء كلمة والعلاقة بينها وبين المنادى علاقة التضام لا علاقة الإلصاق"[1].

ونفهم من هذا النص أن الكلمة المستقلة بنفسها في النص تربطها علاقات بالكلمات الأخرى عن طريق التركيب التضامي. وهنا تقوم البنيوية بدورها وتؤدي مهمتها في كشف العلاقة بين الكلمة المستقلة والكلمات الأخرى، فالعلاقة تلازمية والقرينة كذلك.

فالدراسة للكلمة بحسب الصَّرف اللُّغوي؛ مع كل التطورات التي تطرأ في السياق تكون مرصودة في المعجم. وليس صلة الدال والمدلول.

كما أن دلالة النص يربط القرينة اللفظية ويستخدم في إطار الدرس البنيوي لإبراز جماليات النص، من حيث إنه عمل لغوي. تُستخدم له أدوات مُعيَّنة في ترتيب الكلمات. والبحث فيه يتطلب معرفة العلاقات الدلالية بين المستويات مِمَّا يترتب عليهما تحليل النص لأداء الغرض وهو بيان القرائن للمعنى.

فالقرائن لا بدَّ من ربطها بالمظاهر الحسية مع المحافظة على الجانب الإعرابي وبذلك تسمو المعاني وتقوى دلالات مفهوم اللفظ. إن القواعد النحوية ليست هي الهدف. إنما الهدف هو مفهوم الكلمة فالكلمة تتعلق بمعاني العبارات ووضعها في السياق لا بمعرفة المصطلحات النحوية والصَّرفية وإتقان قواعدها.

وأقام تمام حسان على هذا الفهم، اقتراحه لتحديد النوع النحوي، الذي يفترض فيه أن يراعى اللساني ما سماه (نظام القرائن) وهو نظام يقوم على إدراك النَّحو لتلك العلاقات التي تنظم اللُّغة، وذلك أن النَّحو دراسة لهذه العلاقات من

١/ تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص٩٤.

الناحية التركيبية وليس دراسة للكلمات نفسها، يظهر ذلك في التقديم والتأخير، وحلول الاسم مكان الخبر، فاعل سد مسد الخبر(١).

كل هذه القرائن أمور تعلمية تفيد القارئ، وتعلم الدارس. فعبد القاهر الجرجاني قد وهب نفسه للدفاع عن النحو، وبيان خصائصه، وإبراز وجه الحاجة إليه في نظم الكلم وتنسيق التراكيب.

وبهذا نراه قد نقل النحو الذي يربط القرائن في حيوية ويجعل موضوعاته ميداناً لتحديد المعاني. وهذا هو مفهوم الدرس البنيوي الحديث. "... إن في الجملة عدداً من القرائن هي التي تعمل على نقل المعنى الدلالي بين المتكلم والسامع، وهذه القرائن تقع في ثلاثة أطر:

١/ القرائن المادية.

٢/ القرائن العقلية.

٣/ قرائن التعليق"(٢).

ولعل هذا النص يثير فكرة العامل وما له وما عليه في الدرس النحوي والعامل يجعله البعض قرينة مادية.

وأنه جاءِ لتوضيح قرينة لفظية واحدة قاصرة عن تفسير القواعد النحوية.

أمَّا العامل في الدرس الحديث تختلف وظيفته عن مفهوم القدماء. فالناظر إلى مفهوم الدراسات اللُّغوية أن العامل والمعمول تربطهما قرينة. فالكلمات تختلف وظائفها في السياق وتعبر عن اختلافها بالحركات والحروف -تقديم وتأخير- فنجد العامل قد يتأخر عن الفاعل ونجده قد تدخل عليه أدوات النصب

١/ يُنظر، تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص١٨٥.

٢/ خليل أحمد عمايرة، العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه: ط دار الفكر ، بيروت، ١٩٨٤م، ص٨٤-٨٥.

والجزم. هل هذه الأدوات تقلل من وظيفته النحوية؟!.

مثال الفعل المضارع يقع في الصدارة مكان الاسم الأول: المبتدأ، وقد يقع مكان الاسم الثاني الخبر، وقد يقع صفة لوصف النكرة.

ويرى الباحث أن تلك القرائن متكاملة في أداء وظيفتـــها وأن العلاقـــة الإعرابية قرينة لفظية غير كافية لعمل العامل، بل في إطار الدراسة الشمولية من موقعية وإعرابية مجاورة الكلمات وعلاقاتها هي التي تعمل هـــذا العمـــل[1] في البنيوية.

"ويذهب البنيويون إلى أن البنية لها ثلاث مســتويات: الأول قصـــدي، والثاني: نسقي، الثالث: بنائي"[2].

ولعل المقصود في القصدي هو اختيار المفردات، والنسقي هو الترتيـــب، والبنائي: الشرح والتحليل[3].

فالاستعمال الحقيقي للمفردة اللفظية لا يتم على المستوى البنائي الـــذي يتم فيه الوصول إلى مخطط نظري يمكن الباحث أو الدارس من إنشـــاء نمـــوذج كامل يحتوي كل المستويات.

وعندما يقال[4]: "اللُّغة أصوات" بمعنى أنها تنظيم في علاقات فالعلاقـــات فيما بعد تربطها قرائن تأخذ معناها من سياق الكلام والمقام.

١/ يُنظر، أحمد قدورة، مبادئ اللسانيات: م دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ص٢٣٢.

٢/ عبد السلام المسدي، قضية البنيوية: ص٦٠.

٣/ الجنود السودانيون في المعركة؛ السودانيون الجنود في المعركة.

٤/ يُنظر، ابن جِنّي، في مقدمة الخصائص: ص١٤.

فالدراسة البنيوية تربط بين القرائن والقواعد النحوية. وهي: تعبر عن وظائف نحوية. القرائن تعبر عن علاقات متداخلة. وبذا تكون البنيوية قد درست النص دراسة نحوية من حيث القواعد والأحكام الظاهرة اللُّغوية من حيث التركيب والقرائن. والعلاقات تعبر عن دلالات محلية لمفهوم العبارات.

"إلاَّ أن الإعراب العربي وافٍ مقرر القواعد ويعم أقسام الكلام أفعالاً وأسماء وحروفاً حيثما وقعت بمعانيها في الجمل والعبارات"(١).

ونفهم من ذلك أن الإعراب في أنواعه: الرفع، والنصب، والجر، والخفض. قواعد نحوية ولكن علاماتها الضمة، الفتحة، الكسرة، السكون، شأنها شأن الفونيمات في تشكيل العبارات والجمل تتنوع فيها بحرية تامة مع الاحتفاظ بقرينتها اللفظية في تركيب البنية.

"لقد انفردت الدراسة اللسانية التوزيعية باتخاذها منهجاً وأساليب محددة وأكثر وضوحاً ودقة، فما كان مألوفاً آنذاك في الدراسات التركيبية التقليدية، فالتحليل التركيبي يمثل أولى المحاولات لوصف البنية التركيبية وصفاً بنيوياً تاماً"(٢).

فالمنهج ينتقل من مدلول الكلمة الصَّرفية إلى معنى الجملة. وتظهر لنا القرائن في الدرس البنيوي في الجملة على النحو التالي:

١/ جملة تحليلية: وهي تستمد صدق معناها في تحليلها البنيوي على المستويات اللُّغوية (مراعاة العلاقات في ترتيب المفردات).

١/ عباس محمود العقاد، اللُّغة الشاعرة: ص٢٠.

٢/ أحمد حسان، مباحث اللسانيات: مطبعة الجامعة الجزائرية، ١٩٩٢م، ص١٠٦.

٢/ الجملة التركيبية تستمد صدق المعنى من حكم معاني مفرداتها التركيبية مع مراعاة الجانب الإعرابي. مثال: محمد طالبٌ مجتهدٌ، بعكس هـذا التركيب: مجتهدٌ طالب محمد.

فالعربية استوفت وجوه الدلالة. وهي اللُّغة التي يلاحظ فيها مقتضى الحال وكل عبارة من عباراتها تستخدم بدقة عند التركيب والتحليل. "تقدم النزعة التوزيعية على تصور مؤداه أن ما ينبثق من المركز، لا بد أن يحمل خصائصه الأساسية المكونة له، التي لا بد لها أن تكون قاسماً مشتركاً بين مفردات الظاهرة الواحدة. ووجود هذه الخصائص في المفردات، هو الذي يدلنا على أنها تنتمي إلى هذا المركز، بعد أن يتم توزيعها على مجالات فرعية مشتقة من المركز نفسه"(١).

التحليل البنيوي يعتمد على تحليل الجملة إلى مؤلفات وهو التحليل الذي يقوم على طريق تفكيك بنية الجملة، وليس على أساس أنها مؤلفة من طبقات مرصوصة بعضها أكبر من بعض.

وهنا تظهر القرائن اللفظية بصورة واضحة.

الصيغ والمعاني:

تتكون صيغ الكلمات في معظم اللُّغات من وحدات مقطعية ونبرية الصوت، فالصيغ هي دراسة بنية الكلمة الصَّرفية ومن ثم فإن دراستها دراسة بنيوية تحليلية ترتبط بالتحويلات الصوتية في الكلمة والتركيبية في النظم النحوي.

وبالتالي تعتمد الدراسة على علاقة المعنى بالصيغ عن طريق العلاقات المتداخلة في التركيب اللُّغوي بائتلاف عناصر الجملة لتحديد وظائفها الدلالية.

١/ سمير شريف، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج: عالم الكتب، الأردن، ٢٠٠٥م، ص٣٥١.

"ويكاد النشاط النحوي كله يكون من قبيل تجريد الثوابت. فلقد جرد النحاة الأصل والفرع والقياس والعِلَّة والحكم والعدول والرد... الخ. فأمَّا الأصل فقد يكون أصل وضع أو أصل قاعدة؛ وأصل الوضع يمكن أن يكون أصل حرف أو أصل كلمة أو أصل جملة"(١).

ونفهم من هذا النص أن تركيب الجمل فرعٌ لقسم داخلي في بنية اللُّغة ولعل النحاة قصدوا به التركيب الشامل ويكون قاسماً مشتركاً للاستعمالات المختلفة في صيغ المفردات التي تؤدي إلى المعاني. وتلك هي الدراسة البنيوية للعناصر المكونة للجملة أو الكلمة أو الحرف.

وهذه الاستعمالات محدودة القياس على التركيب. فالعربية تصدق القول بصورة خاصة حيث يتمتع القائل أو الكاتب بحرية واسعة في تشكيل الجملة وصياغتها. اعتماداً على خاصية تعدد الوظائف النحوية. وهذا ما يعرف بالكلمات الوظيفية (*Function Words*).

وهي كلمات ليس لها معنى معجمي أي لا يشير إلى شيء في العالم الخارجي ولكنها تقوم في الجملة بأدوار وظيفية مهمة. مثال: أدوات الشرط والجوازم، أدوات الاستفهام. هذه الأدوات لا تؤدي دوراً خارج التركيب.

تكتسب الصيغ اللُّغوية عن طريق التركيب البنيوي معاني جديدة مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(٢). فكلمة (كتاباً) صيغة ليست بمعنى الكتاب العادي، بل دلت الصيغة على فرضية الصلاة، وانتفى كل

١/ تمام حسان، الأصول دراسة سمولوجية: عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٥٨.

٢/ سورة النساء: الآية (١٠٣).

معنى يمكن أن يكون غير ذلك. ونفهم كذلك أن الصيغة هنا؛ تؤدي إلى إثبات مضمون الزمن المكتوب للصلاة.

ويرى تمام أن المعنى "الصيغة الوظيفية تحدد في الموقف بفهم الصوت من حيث إنه الحرف مقابل استبدالي وحرفياً من حيث إن المبنى إطار شكلي يتحقق بالعلامة، ونحوياً من حيث إن العلاقة السياقية تكشف لنا عن ترابط المباني التي تحققت بالعلامات في سياق النص"[١].

وكلمة (طالب) نكرة في الصفة دون تعيين أو تخصيص أو تحديد. أمَّا إن قلنا: طالبٌ يكرم أستاذه، فأصبحت الصيغة موصوفة بالفعل والفعل انتقل من الحدث إلى الوصف.

أمَّا إن قلنا: الطالب يكرم أستاذه، ففي الجملة عدة مورفيمات (ال) مورفيم التعريف وهو مقيد، طالب: مورفيم حر. الياء: مورفيم المضارعة الدالة على الاستقبال، كما أن الدلالة تخصصت بالوصف. وإن تغير معاني الصيغ يظهر من خلال سياق الكلام وأن تغير مواقع الكلمات لا تتغير بالضرورة دائماً من المعنى الأساسي للجملة في القياس اللُّغوي.

إن دراسة طبيعة القياس كما حددها (دي سوسير[٢]) وجدنا أنه يربط عملية القياس بالكلام لا باللغة. وهو نشاط فردي لا باللغة؛ التي هي وجود جماعي في رأيه المشهور فالقياس يحدث في صورة انتقال من المتكلم الذي يفترض أن لديه وعياً وفهماً للعلاقة التي توجد الصيغ المخصصة فيما بينها[٣].

١/ يُنظر، تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص١٨٤.

٢/ عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية: ص٤٠.

٣/ يُنظر، منى إلياس، القياس في النَّحو: ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م، ص١٢.

إن المبدأ السائد للدرس البنيوي يقوم على أساس الثنائية اللُّغوية. وهي ترتيب الصيغ من حيث علاقتها التركيبية المشتركة بين الصفة المعجمية والصفة السياقية. كما ظهر لنا في الآية الكريمة. وهناك بعض الصيغ المرتجلة في التركيب المزجي لبعض المفردات المستخدمة. كلمة مسرة، تلفون، هاتف، (*Telephone*)، معناها البعد الصوتي. تلك هي اختصار، وهذا ما يُعرف بالنحت أو الاقتصادي اللُّغوي في درس علم اللُّغة.

فالقياس نوع من أنواع التطور اللُّغوي المتقدم وهو من أبسط معانيه، هو حمل كلامنا المحدث على كلام العرب الموثوق في بناء الكلمة أو الجملة.

وهو أيسر طريق لتمكين اللُّغة، وأطوع وسيلة تمكن الفرد الإنساني من النطق بالكلمات أو الجمل مع صيغتها المختلفة.

"١/ مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم ويعود بعضها إلى تصريف الصيغ.

٢/ طائفة من المباني بعضها صيغ مجردة وبعضها لواصق وبعضها زوائد وبعضها مباني أدوات...

٣/ طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية وهي وجوه الارتباط بين المباني، وطائفة أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني"[١].

يشير تمام إلى مجموعة من الصيغ ويقصد بالصيغ المجردة. الجذور التي تتكون منها الكلمة أو الأركان التي تكون الجملة.

١/ تمام حسان، اللُّغة العربية معناها ومبناها: ص٨٢.

الزوائد تدخل في اتصال الضمائر بالأفعال، أو علامات الإعـراب عنـد الجمع والمثنى أو حروف المضارعة.

كما العلامات العضوية الإيجابية صيغ الاشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبه.

ودراسة هذه الصيغ في أفرادها: مثال: قائم، صيغة اسمية، إلاَّ أن الوظيفـة فعلية.

فالمعنى الوظيفي للنحو يظهر في علاقة الإسناد والتي تقوم أصلاً على المباني الصرفية الوظيفية والعلاقات السياقية ما لَمْ تحسب معنى الكلمـات المعجمـي ذوات الوظيفية في الصوت والصَّرف(١).

أمَّا المقابلات فيقصد بها علامات التأنيث في صيغة تاء التأنيث المتحركـة ومقابلة مع الساكنة: قامت فاطمة.

وتشمل الصيغ الصَّرفية لبعض الحروف، ولها دلالة أخرى غـير الصـيغة فالضمائر المتصلة بالأفعال في وصفها حروف ومعانيها أسماء: ألف الاثـنين. واو الجماعة، وياء المخاطبة، وياء الضمير، وتاء المتكلم بصورها الـثلاث، ونـون النسوة.

فدراستها البنيوية تقوم على أساس مبدأ الثنائية، مثال:

أ- هذا كتاب زيد.

ب- هذا كتاب لزيد.

فالجملتان تلتقيان لمحور صيغة واحدة. فالأولى: تعني نسـبة الكتـاب إلى زيد. أمَّا الثانية فتعين شيئين: هذا الكتاب إنه لزيد. اتحاد في محور الصـيغة مـع اختلاف في الدلالة.

١/ يُنظر، تمام حسان، اللُّغة العربية معناها ومبناها: ص٨٢-٨٣.

"... فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنَّحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت: (قام بكر ورأيت بكراً ومررت ببكر) فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل"[1].

ونفهم من هذا النص أن مدلول الإعراب الذي يعنيه هو ما يقابل الصَّرف والتصريف. أي يعني عمل النحو كله؛ بما يشتمل عليه في قواعد اللُّغة وغير الحركات هي: العلامات الإعرابية: الواو والألف والياء، والنون وصلتها في صيغة الكلمة ومعناها في العبارة.

ويرى الباحث أن الإعراب قرينة لفظية تبنى على صيغة المفردات؛ لتكشف عن معاني الجمل.

مثال ذلك: كم رجلاً رأيت؟ يُراد بها الاستخبار. وكم رجل رأيت، الخبر هنا يُراد به الكثرة في العدد، علماً بأن الصيغة متقاربة في وضع الترتيب.

"إن ما نسميه (إعراب الجملة) شيء آخر؛ غير إعراب الكلمة. فإذا كان إعراب الكلمة هو بيان حركاتها، فإن إعراب الجملة هو تخطي مفرداتها (باستعمال هذه المفردات وسيلة) للوصول إلى الأبواب أو الأصناف. وهكذا نجد عبارات الإعراب تتكون كل منها من مبتدأ وخبر بحيث يكون المبتدأ هو اللفظ المفرد ويكون الخبر هو الصنف الذي تحقق في الكلام بواسطة هذا المفرد كذلك"[2].

والحقيقة أن تناول الوظائف النحوية بين المكونات التركيبية يؤدي إلى تنوع الأساليب. بيد أن الوظائف النحوية يمكن أن تحدث فيها بعض التغييرات.

١/ ابن جنِّي، المنصف: ص٤.

٢/ تمام حسان، الأصول دراسة سميولوجية: ص٥٩.

علماً بأن المسمى واحد، والحالة الإعرابية واحدة. فالدراسة البنيوية في المفعــول المطلق مثلاً له علاقة مع الفعل علاقة تلازمية. وذلك أحد جذور صيغته.

كما أنه لَمْ يتقيد بالفاعل كما في المفعول به إذ هو الذي يحدد الفاعل.

أمَّا المفعول به فحمل الفعل والزمان وقت وقوعه ومكان الفاعل. فتلــك كلها علاقات (سميولوجية) لها صيغ محدودة تربطها فيما بينها الكلمات بالجملة.

وكانت الكلمات التي لا معنى لها في نفسها هي أدوات نحوية تساعد في ربط المعاني عن طريق الترتيب الداخلي.

وبهذا ندرك أن الدراسة البنيوية على قدر من الكفاءة العاليــة في تحليــل المفردات وربطها بالنظام اللُّغوي في صيغ ذات معانٍ.

"إذا كان النحو صناعة فهو بالضرورة بنية مجردة... ولكي يتوصل النحاة إلى بناء الهيكل النحوي المجرد"[١].

إن الإجابة عن السؤال ينبغي أن ترجع للدراسة البنيوية التي تشتمل على عدد من الأنظمة اللُّغوية.

ويتألف كل واحد منها من مجموعة ووحدات تنظيمية (مباني) صيغ تعبر عن علاقة وظيفية ترتبط ارتباطاً إيجابياً.

وقد عرفت في الدرس اللُّغوي معاني صيغ الزيادة[٢].

مثال: الهمزة التي تفيد الدخول: أدخل، تفاعل، تضارب، تفيد المطاوعة،

١/ تمام حسان، الأصول: ص٦١.

٢/ يُنظر، الحملاوي، شذا العرف في فن الصَّرف: ط البابي الحلبي، د. ت، ص٣٥.

استحجر الطين تفيد الصيرورة. فالدراسة توضح لنا أن لها معـــاني في صـــيغها المختلفة.

"إن التنوين كان في الأصل أداة التعريف. ثم ضعف معناه الصَّرف فقـــام مقامه الألف واللام. فصار التنوين بذلك علامة للتنكير"[١]. التنوين ضرب مـــن ضروب التنظيم اللُّغوي. إلاَّ أنه يأتي في صيغة تختلف عن صيغ أدوات التعريـــف الأخرى.

فهناك وظيفة دلالية في تمكين اسمية الاسم. فالاسم المنون المعرب معرفـــة محددة المعنى دون إطلاق عام.

وإن الاسم الذي لَمْ يدخله التنوين محدود الحركة الإعرابية، والفتحـــة في حالتي النصب والجر.

وذلك لوجود الدلالة المعنوية المشابهة للفعل (الحدث+ الزمن) والاســـم العلمية+ الزيادة+ العجمية+ التأنيث... الخ[٢].

وتلك هي الدراسة الثنائية للدرس البنيوي في تحليل المفردة اللفظية وتظهر الصيغ: الزيادة، والتأنيث، والعدل. وتلك صيغ لفظية.

وتمثل الصيغة مفهوماً نحوياً مقابلاً لكل المفاهيم الـــتي تتصـــل بالجانـــب التحليلي على حين يتصل مفهوم الصياغة بغرض البنيات التي أنتجها التحليـــل اللُّغوي. فنجد الصيغة النحوية في تراثنا اللُّغوي على نوعين:

١/ الصيغ النحوية: التي يسجل النحاة فيها قواعد اللُّغة وذلك بقصـــدهم لهـــا.

١/ عوض المرسي، ظاهرة البنيوية: ط١، الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٩٣.

٢/ يُنظر، ابن هشام، شذور الذهب: ص٦٠.

مثال: قاعدة المبتدأ، أو الفاعل، أو المفعول.

وهم يدورون حول عدة نقاط تتصل بالقسم الذي ينتمي إليه الاسم وما يرتبط به من عناصر الجملة والإعراب؛ الذي يرونه في تعريفات المواقع.

مثال: أسماء الصدارة: المبتدأ، أسماء الإشارة، الضمائر المنفصلة في حالة الرفع.

أسماء الإشارة والاستفهام التي تقع في الصدارة مبنية في محل رفع مبتدأ. هذه صيغ تقعيدية.

٢/ الصيغ التطبيقية التي تخلص إلى تحليل الجملة أو تقرب بياناً من عدة نقاط في الكلمة الواحدة. وتتنوع عناصرها الداخلية.

مثال: اسم مرفوع (الفاعلية) وعلامة رفعه (الوظيفية) ضمة ظاهرة مقدرة، منع من ظهورها الثقل، التعذر، اشتغال المحل، حركة المناسبة، الحكاية، دراسة علاقات الكلمات فيما بينها من خلال الوصف التحليلي.

الصيغة هي الصيغة، إلاَّ أن الكلمة تنتمي إلى عناصر شتى. وتلك هي الدراسة البنيوية. وهي دراسة شاملة في تحليل المفردة اللفظية ذات الصيغة الواحدة وتنوع التحليل في الدرس اللُّغوي.

"... هنا ينبغي أن نشير إلى شيء مهم. هو أن كثيراً من الناس يظنون أن قواعد اللُّغة التي يستنبطها عالم اللُّغة هي اللُّغة ذاتها وهذا غير صحيح؛ لأنَّ اللُّغة شيء وقواعدها شيء آخر، إن القواعد هي تصور عالم اللُّغة عما يجري داخل اللُّغة وهو عمل تجريدي"(١).

١/ حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللُّغة: دار المعرفية الجامعية، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٣م، ص١١٠.

يظهر لنا جلياً أن القواعد التي وضعها النحاة في الأدوات النحوية: (الإسنادية+ التخصصية+ التبعية) هي قواعد معيارية تعلمية في المقام الأول وهي ثوابت اللُّغة.

فالدراسة البنيوية لها نستطيع أن تقول: إن غاية اللُّغة في ذاتها تعين التركيب لدلالة المعنى.

ويرى الباحث أن سبب اختلاف العلماء في تفسير القواعد المعيارية قديماً في الدرس اللُّغوي هو البعد الفلسفي لتفسير تلك القواعد، ولكن بمعرفتنا للدراسة البنيوية نستطيع أن نجمع الشمل في مفهومنا لتراثنا العربي وذلك بالوصف التحليلي.

ولا بدَّ من معرفة العلاقات بين المفردات مع بيان صيغها.

"وكذلك يتسم النحو بالاقتصاد، وله مظهران، أولهما: الاستغناء بالكلام عن الأصناف، دون الكلام عن المفردات (الذي هو طابع فقه اللُّغة). ومن الواضح أن النحو لا يتناول المفردات إلاَّ ليصل من خلالها إلى الأصناف، والأصناف هي الثابتة، أمَّا المفردات فهي متغيرة"[١].

ونفهم من هذا النص أن الصيغ قد تكون في حالات إعرابية واحدة. إلاَّ أن لها دلالات أخرى. وذلك يرجع إلى النظام اللُّغوي في تركيب الصيغ.

فنجد في هذا مثال تلك الصور: رأيت علياً راكباً. فالحالة الإعرابية النصب في الاثنين معاً راكباً حال، (هو راكب).

أمَّا المثال الآخر: رأيت راكباً علياً، فراكباً وصفٌ للمتكلم وحال له، أي وأنا في حالة ركوب.

١/ تمام حسان، الأصول: ص٥٩.

فالدراسة البنيوية تظهر في إعراب المفردة اللفظية في حالة صيغها وحالة معناها دراسة ثنائية متكاملة للصيغة والمعنى من خلال التركيب.

"... أن العلم المضبوط يتسم بالموضوعية لأنه يعتمد على الاستقراء الناقص، وإمكان التحقيق من نتائج، ويتسم بالشمول لِما يخضع له مبدأ الحتمية وما يصطنعه من تحديد الثوابت، ويتسم بالتماسك، لأنه يقوم على التصنيف وعدم التناقض"(١).

بدراسة أنماط موحدة في التركيب نجد أن النحو قد شكل مجموعة من العلاقات في تكوين الظاهرة اللُّغوية كما ظهر في الإعراب التقديري. كما يظهر ذلك في ترتيب المفردات من حيث الرتبة وعلى شبكة من المعلومات للنص الواحد.

وبذلك تعد دراسة اللُّغة من أشد أنواع الدراسات الإنسانية، وتكمن في الصيغ والتراكيب وفقاً لنظامها.

"فاللُّغة إذن منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة (وقد سميناها من قبل الأجهزة) يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو (المباني) المعبرة عن هذه المعاني، ثم من طائفة من (العلاقات) التي تربط رابطاً إيجابياً، والفروق (القيم الخلافية) التي تربط سلبياً بإيجاد المقابلات ذات الفائدة"(٢).

وبهذا يتبين أن النحو لَمْ يكن أبداً بطبيعته أو بأصل وضعه ليحفظ أصولاً وقواعد. إنما دراسته في الدرس البنيوي تشير إلى ذلك مع إضافة أنه يهدي إلى

١/ تمام حسان، الأصول: ص٢٤٣.

٢/ تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص٣٤.

مفاهيم سليمة من العبارات، ويعين القارئ أو السامع على حل الرموز الكتابية والصوتية إلى معانٍ ودلالات، كما يجب أن يكون قانون التأليف.

فالدراسة البنيوية للنحو تبين أصول المقاصد بالدلالة. فيعرف الفاعل والمفعول المبتدأ والخبر والفعل وتبين طبيعة العلاقات بينهما.

إن قضية الفعل صيغة لغوية تناولها النحاة منذ القدم، ولكن لتمام رأي آخر يقول بقوله: "... لرأي ابن جِنِّي أن العامل هو المتكلم، ولا لرأي أهل الحق، إن العامل هو الله سبحانه وتعالى.

فأمَّا العامل هو المتكلم فيتنافى مع الطابع الاجتماعي للغة، ولو ترك لكل متكلم أن يرفع أو ينصب، أو يجزم كما يشاء لَما استطاع النحاة أن يدرسوا لغة العرب"[١].

ويرى الباحث أن قضية العامل لا بدَّ أن تدرس دراسة بنيوية. إن الوظائف النحوية تختلف فيما بينها في سياق الكلام والمتكلم هو القادر على تحديد صيغ المفردات اللفظية.

فالوظيفة تختلف عن التعبير.

فإن المتكلم قد أخذ حيز المكان فمن الذي يأخذ حيز الزمان؟! فالدراسة البنيوية تقوم على أساس العلاقات.

فإن وجود الفاعل يترتب عليه وجود مفردات أخرى من مفعول وغيره. وهذه المفردات لها ارتباطات مباشرة وغير مباشرة. نحترم رأي تمام؛ ولكن نقول: إن العامل يدخل في تلك العلاقات. فإن كان موجوداً فهو جزء منها وإن كان

١/ تمام حسان، اللُّغة بين الوصفية والمعيارية: ص٥٦.

محذوفاً فتظهر علاقاته في الصيغ ولها أثر واضح في الدلالة الوظيفية التي يحـــددها السياق. مثال: المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، وهي تأخذ حيز المكـــان. وقد تظهر الصيغ للمتكلم في الخوالف[1].

"(الخوالف) كلمات تستعمل في أساليب إفصاحية. أي في الأساليب التي تستعمل للكشف عن موقف انفعالي ما، والإفصاح عنه. فهـــي مـــن حيـــث استعمالها قرينة الشبه. بما يسمونه بالإنجليزية (*Exclamation*) تعني التعجـــب، وهذه الكلمات ذات أربعة أنواع[2].

خالفه الإخالة، ويسمها النحاة (اسم الفعل) ويقسمونها اعتباطيـــاً ودون سند من المبنى أو المعنى إلى: اسم فعل ماضي هيهات، اسم فعل مضارع، واسم فعل أمر كصه"[3].

وقد تكون مفردات الجملة وصيغها كلمات ثابتة، لكن نستطيع أن ننطق الجملة الواحدة بعدة أشكال نغمية، فيؤدي كل شكل معنىً مختلفاً عن الآخر.

قد تكون جملة إخبارية، استفهامية، تعجبية. دون تغيير صيغتها وذلك عن طريق التحكم في النطق.

ويكون التنغيم أحد عناصر المعنى للجملة. مثال: قرأت كتاباً؟

وهنا تُراعى طبيعة العلاقات بين الكلمات مع الموقف المقام.

١/ أمَّا من جهة المعنى فتشترك الخوالف في أنها تؤدي معنى الإفصاح الإنشائي والـــتي تعـــرف بـــ(*Allective Language*)؛ يُنظر، أحمد قدورة، مبادئ اللسانيات: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ص٧٥.

٢/ الأربعة أنواع هي: اسم الفعل+ اسم فعل الماضي+ اسم فعل المضارع+ اسم فعل الأمر.

٣/ تمام حسان، اللُّغة معناها ومبناها: ص١١٣.

لا شك أن البنيوية قد منحت التراكيب النحوية معطيات حية، ولـــدت فيها دراسة جديدة وأضافت إليها ألواناً من الدلالات، وصـــيغاً مـــن المعـــاني، أعادت النحو للحياة اللُّغوية؛ كما استخدمت النصوص. وجعلتها المعيار السليم لإظهار وجود المعاني في الكلام.

ومهدت الطرق للبحث الجاد. ذلك نوعٌ من أنواع التطور اللُّغوي.

إن الأمر يتطلب دراسة الماضي وتمعناً واستنطاقاً للظروف والملابســـات بالممكن. مِمَّا يتطلع إلى تحقيق التطور الماضي الذي ترك أثراً واضحاً في درســـنا الحديث.

المبحث الثالث
آراء حسن عون[1]

أصبح تطور المنهج العلمي من أهم قضايا تنمية اللُّغة للوفـــاء بمتطلبـــات الحياة المعاصرة. وذلك في ضوء مجموعة من المتغيرات أهمها كثرة الإنتاج المعاصر في المجالات العلمية.

إن اللُّغة كائن حي؛ لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها وهم من الأحياء. وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن؛ كما يتطور الكائن الحي.

يتناول هذا المطلب بالعرض والتحليل ما توصل إليه القدماء والمحدثون من آراء واستنتاجات بشأن الظاهرة اللغوية وما مرت به مـــن تطـــور في الـــدرس النحوي عبر التاريخ سواء من حيث بنيتها التركيبية أو دورها الوظيفي وتمثلـــها وترميزها الدلالي.

فالعربية قد تطورت من قبل؛ غير أن تطورها يحكمه قانونٌ يحدد طبيعـــة المظاهر اللُّغوية. مثال: الحروف علامات للإعراب بدلاً من الحركات. وعمليـــة الإبدال والإعلال كذلك. وهكذا الإدغام. ذلك في فترة تاريخية. أمَّا في العصـــر الحاضر فتعددت التخصصات العلمية والتقنية. التي وضعت أساساً في اللُّغـــات الأوربية؛ قد ساعد على كشف ذلك التطور في اللُّغات القديمة.

وينبغي علينا إيجاد المقابل المناسب للعربية؛ للكشف عن تطورهـــا عـــن

١/ وُلِد بالإسكندرية ودرس في جامعة السربون، عمل أستاذاً لفقه اللُّغة واللُّغـــات الســـامية، وعمل في بعض الجامعات العربية، جامعة الخرطوم، جامعة أم درمان الإسلامية، والجزائر، وتوفي ١٩٨٨م، من مؤلفاته: (دراسات في النحو واللُّغة) و(تطور الـــدرس النحـــوي). مطبعة جامعة الدول العربية، كان أستاذاً لنا بالجامعة الإسلامية في أم درمان ١٩٧٣م.

طريق المنهج العلمي. وذلك بالبحث التطبيقي للدراسة النظرية.

أمَّا في مجال المصطلح فقد تحقق درجة عالية من انتظام في التطور بين التنسيق بالمصطلحات العلمية والتقنية. يتمثل في قيام المجامع اللُّغوية، والهيئات العلمية التي تكشف عوامل التطور.

من حيث بحث أصل الكلمة. مثال: "(كماش) الفارسية، بمعنى نسيج من قطن، قد تطورت فيها (الكاف) فأصبحت (قاف)، فشابهت الكلمة العربية (قماش)"[1].

دون شك أن الدراسات اللُّغوية كان أساسها النحو والثقافة اللُّغوية. (علم التجويد، القراءات) ثم بدأت الدراسة بالدرس النحوي الذي كان يتعلق بالدراسات القرآنية وكانت الغاية منه ضبط الكلمة ومعرفة وضعها في ترتيب الكلمات بعضها ببعض.

الدرس النحوي:

إن دراسة النحو استخلاص أسس وقواعد ثابتة في جوهره وله حرية الانتقال في المكان.

"إننا نعتقد أن القضية النحوية وأن البحث النحوي ينبغي أن يمتد فيشمل الميادين البيانية بجانب الميادين الشكلية إعراباً. ذلك لأنَّ النحو في شأنه كان يشمل المباحث اللُّغوية وكان يطلق عليها جميعها. وكان مرادفاً لكل العلوم اللُّغوية"[2].

١/ رمضان عبد التواب، التطوراللغوي: ص١١٢.

٢/ حسن عون، تطور الدرس النحوي: مطبعة البحوث، جامعة الدول العربية، ١٩٧٠م، ص٩٤.

فالدراسة البنيوية تستطيع أن تدرس النحو دراسة عن طريق المنهج الاستقرائي وتكشف تطوره، من خلال صور التركيب، ونظم المفردات.

"أمَّا المباحث الأخرى المتصلة بالمادة النحوية، والتي تخدمها وتدعمها فقد ظفرت بمجهودات عظيمة وطاقات ذهنية خلاقة، فتعددها وأوسعت ميادينها، وتشعبت مسائلها، وتفلسفت أفكارها، وبرزت شخصياتها، ومعالمها بصورة فريدة وصارت على درجة تكاد تكون مذهلة من التقدم والتطور سعة وعمقاً"(١).

نفهم من هذا النص الذي تخضع دراسة كل جملة فيه أو معظمها فيعتبر نموذجاً أساسياً تتنوع فيه الدراسة اللغوية التي تكشف لنا التطور من خلال التركيب الصوتي والصَّرفي والنحوي. وهذا ما تبحث فيه البنيوية.

فالدرس اللُّغوي عند العرب لَمْ يكن خالياً من نظرات منهجية صائبة بل العكس كانت هناك بوادر طيبة، تتمثل عندهم فيما يلي:

١/ جمع اللُّغات بأسلوب المشافهة، وهذا يعني أنهم اعتمدوا في عملهم على اللُّغة المنطوقة وهي المصدر الحقيقي في الدرس اللُّغوي الحديث.

٢/ حددوا دائرة التلقي والأخذ بتحديد القبائل وكانت تحكمهم النظرة التعليمية في اللغة.

فالدراسة الصوتية هي جزء من العمل اللُّغوي عند العرب من حيث المنهج وطرق الدراسة؛ والتي تدخل في إطار علم الصَّرف (المورفيمي).

ومن المصطلحات التي درست عندهم الدراسة الصَّرفية (المورفيم). ولقد ترتب على هذه الدراسة في دخولها على أشكال وأنواع مختلفة في التركيب.

١/ حسن عون، تطور الدرس النحوي: ص٧٠.

فظهرت في بيان الوظائف الصَّرفية والنحوية. مثال: (سوف) دراسة صرفية مورفيمية فهي (مورفيم) سابق يفيد دلالة الزمن المستقبل مع التراخي.

ويظهر أن الماضي والمستقبل متقابلان إذا كان الماضي لا يقصد به إلاَّ مطلق المعنى. وكذلك السين يقصد بها التأكيد في الدلالة "هل تصورنا للنحو أن يمتد إلى الدلالة اللُّغوية في الجملة أو التركيب؟ أي بمعنى آخر هل من وظيفة النحو أن يتناول المعاني البيانية للنص اللُّغوي؛ كما يتناول الأشكال الإعرابية؟ أم أنه قاصر على النظر في الأشكال المختلفة على أواخر الكلمات في النص اللُّغوي"(1).

فالدراسة البنيوية تقتضي التخلص من العبارات الغامضة، الاختلافات النحوية، والشروح الجزئية، وإعادة صياغتها بأسلوب سهل واضح يمثل اللُّغة الحية المستعملة.

"فإن النحو كما نرى كما يجب أن يكون هو قانون تأليف الكلام وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة حتى نسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها"(2).

لا بدَّ لنا من الاستفادة من علم اللُّغة الحديث وفروعه الذي يمكننا أن نضع الدراسة اللُّغوية على درجة من الموضوعية في ترتيب الأحداث والمتغيرات. وذلك ما يساعدنا في تحليل التركيب اللُّغوي؛ والتخلي عما خلفته اللُّغوية المنطقية من حيث إعرابية تلقينية، يردد القول: النون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، النون للوقاية. النون أصل في تركيب الكلمة وليست عوضاً.

فالنون صوت (منطوق) وهو أسبق وسيلة للاتصال في دلالة المعنى.

١/ حسن عون، تطور الدرس النحوي: ص٩٢.

٢/ إبراهيم مصطفى، إحياء النحو: مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٧م، ص١.

كما أن التفرقة بين التنوين والنون ليست تفرقة مستويات لغوية، بقدر ما هي تطوير صوتي منطوق للصوت الصائت في إطار الدرس البنيوي؛ وكما أنـه أصح أداة معيارية لعلامة الاسم. والنون أداة معيارية دلالة على أكثر من واحـد (مثنى أو جمع).

"... النحو كعلم يدرس لذاته أولاً، ولتقويم اللسان ثانياً، ولفهم الـنص اللُّغوي ثالثاً، وللتوفيق بين أحكامه ونصوص اللُّغة التي يعالجها رابعاً"[1]. ويفهم من هذا أن محاولة النحويين في البحث عن العامل الذي يعمل للرفـع وآخـر للنصب وآخر للجر، وذلك للجزم هي محاولة مؤسسة على تحليل بنيوي تربطـه العلاقات. وفي حد ذاته نوع من أنواع التطور النوعي: (الحروف العاملة، الأسماء العاملة).

وهو تطور قياسي ودلالة اللام للملكية، الاختصـاص، الاسـتحقاق[2]. كذلك الباء للسببية والبعضية[3].

وكل ذلك يخضع للقياس. وهو عامل من عوامل تطور اللُّغة، يتوقف على قانون التسهيل والتيسير. فالعربية اتخذت من علامـات الإعـراب وتركيـب المفردات وسيلة التفرقة بين معاني الكلمات النحوية في التركيب.

والنحويون أنفسهم يلحظون وجوه التشبيه في كثير من المسائل النحويـة ولذلك سُمِّيت مجموعة المرفوعات مجموعة المنصوبات.

العمدة، والفضلة. إلاَّ أن الفضلات جزء مهم لتركيب الجملـة ودلالـة المعنى. فهي دراسة بنيوية تقوم على العلاقات بين العمدة والفضلة.

١/ حسن عون، تطور الدرس النحوي: ص٨٢.

٢/ يُنظر، ابن هشام، شذور الذهب: ص٤١٧.

٣/ يُنظر، ابن هشام، قطر الندى: باب الحروف الجارة، ص٤١٧.

"تميز اللُّغة العربية، مِمَّا تميز به حركات الإعراب، والتي في حقيقة الأمـــر ضرب من ضروب الإيجاز... فحركات الإعراب ليست شيئاً زائـــداً أو ثانويـــاً وهي لَمْ تدخل على الكلام اعتباطاً. إنما دخلت لأداء وظيفة أساسية في اللُّغة إذ بها تتضح في المعنى ويظهر، عن طريقها نعرف الصلة النحوية بين الكلمة والكلمة في الجملة الواحدة"[١].

نفهم من هذا النص ومن خلال الرؤية البنيوية؛ أن علامـــات الإعـــراب عبارة عن صور في خدمة الوظيفة النحوية.

وإن القمة المعرفية للنص؛ ترتكز على ترتيب العلاقات، والنظر إلى النص باعتبار الثنائية العامة والخاصة.

ووظيفة البنيوية هي: اللجوء إلى تحليل النص ولا تركن إلى نسق الصـــيغ المعاقبة ذات الاتجاه الواحد، بل تربطها العلاقات المتداخلة (فلا عمدة ولا فضلة) وهذا هو مفهوم التطور لفهم النص. وهنا تكمن لنا أهمية الحركات (الصوائت) حيث لها دور طبيعي ودلالي في التركيب البنيوي.

وهنا فرق دقيق بين الألفاظ؛ التي تدل على الحدث الكلامي المنطـــوق. (الرمز الصوتي) وبين الألفاظ التي تدل على تسجيل الكلام كتابة، وبالتالي فـــإن الكتابة رمزاً للصوت. وهي اللُّغة الصامتة

إذن الحروف رموز للأصوت. فالدراسة البنيوية ترى أن الألفاظ تنتقل من حيز الزمان (الصوت) إلى حيز المكان.

فالعربية تعتمد على أصواتها (الصائتة) في تركيبها للمفردات مع مراعـــاة البنية الصَّرفية.

١/ مازن المبارك، نحو وعي لغوي: مطبعة الرسالة، الأردن، ١٩٧٩م، ص٧٤.

"لا يهتم سيبويه بشكل الكلمة في التركيب اللُّغوي، قدر اهتمامه بمعناها ووظيفتها وصلتها بغيرها في مفردات الجملة؛ ومعنى هذا أن التطبيـــق النحـــوي المؤسس على شكل الكلمة الإعرابي لَمْ يعرف بطريقة حاسمة إلاَّ فيما يُعدُّ حتماً تحول الحديث عن الإسناد وأنواعه وأجزائه، وخواصه إلى حديث عن الأشكال الإعرابية"[١].

ونفهم من هذا النص أن النحاة قد فرقوا بدقة بالغة بين أنواع ما يـــرد في التركيب وجوباً وهو: العمدة، ما يرد اختياراً، وهو ما يعرف بحرف الجر الزائد، والشبيه بالزائد.

وهو ما يقال له الزائد والحشو عند البصريين، والصلة عند الكوفيين[٢]. لا شك أن الدرس اللُّغوي يقوم بتحليل العناصر التركيبية في إطار المفردة اللفظية أو الجملة أو العبارة. واستغني عن بيان موقع العناصر في الجملـــة في أداء الوظيفـــة النحوية.

مثال قوله تعالى: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ﴾[٣]. تعرب (من): حرف جر زائد، ولكن مراعاةً للفظ القرآن الكريم يقولون: صلة[٤].

أمَّا التحليل البنيوي لها: ما: أداة نفي، جاءنا: فعل ومفعول، والضمير نا: مفعول به مورفيم مقيد، من: حرف جر، واسمين وأداة عطف، لا: أداة للنفي.

إذن في الجملة أداتان للنفي: ما+ لا، واسمان أحدهما: بشـــير، والثـــاني:

١/ حسن عون، تطور الدرس النحوي: ص٤٣.

٢/ يُنظر، السيوطي، الأشباه والنظائر: ج٢، ص٤٣.

٣/ سورة المائدة: الآية (١٩).

٤/ يُنظر، تفسير الجلالين: الآية الكريمة، ج٣، ص٢٢٧.

نذير، وهنا حرف الجر للربط بين الاسمين وبين الأداتين، فالدرس لا بدَّ أن يشمل كل النص بما فيه الفعل المقيد بمورفيم القيد، وهنا حرف الجر جاء كما يقول النحاة[1] تأكيداً للمعنى وله دوره الوظيفي في التركيب وهذا نوع من أنواع التطور في فهم الدلالة.

فتظهر العلاقات بين عناصر الجملة، وكلها علاقات إيجابية تطورية.

ولكن نحاة القرن الرابع تعمقوا في تحديد المقاييس واستنباط العلل والأحكام متأثرين بما في حوزتهم من ثقافات أجنبية مِمَّا يحوم حولهم من مؤثرات انعكست على القواعد النحوية وجعلت ظاهرة القياس هي الأصل والنص في درجة الفرع لذلك الأصل[2].

ولا بد أن نذكر أن الهدف الأصلي للنحاة كان محدداً منذ البداية وهو البحث عن قواعد اللُّغة العربية الفصحى. فالمسئولية المنوطة بالنحاة هي استنباط القواعد التي يتحقق بها النص ومن ثم فهمه فهماً صحيحاً. ولذلك جعلوا القياس نوعاً من التطور.

كما يعتبر القياس الظاهرة الثانية من الظواهر التي اعتمد عليها النحاة في التقعيد النحوي، وهو عملية منطقية بدأت مع ميلاد النَّحو وساير تطوره. فهل يكون كذلك الآن مع المحافظة بأصوله المفردة اللفظية العربية ونجعلها تجري في الدرس اللُّغوي الحديث.

"كما أن عملية الاشتقاق تعتبر نوعاً من أنواع التطور في بنية الكلمة وتحليلها التركيبي تعني بذلك الوحدات الموسعة (*Open Units*) لأنها تشكل

١/ يُنظر، ابن عقيل، ألفية ابن مالك: باب حروف الجر، ج٢، ص١١٤.

٢/ يُنظر، ابن جنِّي، الخصائص: ٢٤٢/١.

أوسع عملية لتوليد الألفاظ المعجمية، ويعرف بالاشتقاقي التأثيلي *Deviational*، مثال (كَاتَب) من (كَتَب)، (كاتِب) من (كَتَبَ) *Etymonologique*، وبذلك دخل علم الصَّرف *Morphology* ضمن علم اللُّغة البنيوي *Structural Linguistic*"[١].

كل ذلك تطور في اللُّغة عن طريق الإيجاز والاختصار.

"... أحلت الدراسات التحليلية في النحو محل الدراسة الموضوعية الوصفية وغزت المصطلحات المنطقية والفلسفية ميدان النحو، وتحولت مباحثه إلى ما يشبه القضايا بالتحديد، حتى كادت المادة اللُّغوية والنحوية تختفي في غمرة هذه التحليلات والمناقشات والتجديدات"[٢].

هذه الدراسة كانت عند القدماء. فقد أخذت الظواهر اللُّغوية تظهر في الدرس القديم عن طريق الاستنباط. ويرجع ذلك إلى طول الفترة الزمنية التي اعتمدوا عليها في جمع النصوص.

فالتعليل جاء مرتبطاً بالمحافظة على الخواص القياسية المعيارية. فإذا لَمْ يوجد الفعل بعد أداة من الأدوات التي اعتقدوها خاصة بالفعل إذ إن الشرطين بدآ في التأويل.

وتلك مرحلة من مراحل الدرس اللُّغوي لا حرج فيه، بل تطورت عند المتأخرين من علماء العربية وما زال البحث مستمراً في التطور.

وما يسميه النحاة[٣]: (أصل الوضع) هو في الحقيقة فكرة تمهيد لدراسة تحليلية لاحقة.

١/ يُنظر، أشواق النجار، دلالة اللواصق في اللُّغة العربية: ص٩٧.

٢/ حسن عون، التطور اللُّغوي: ص٧٣.

٣/ المرجع السابق: ص٤٢.

فالدراسة البنيوية تدرس المكونات الرئيسية في الكلمة ثم الجملة على أنها مبان صرفية (مورفيمية). تجسد أبواباً نحوية في التحليل اللُّغوي على ضوء المنهج الوصفي الاستقرائي.

"اللفظ المفرد من حيث هو لا يؤدي إلاَّ معنىً مفرداً، والمعاني المفردة لا تكون لغة. وإنما الجمل والتراكيب هي التي تكونها، فاللُّغة باعتبارها أداة للتفاهم قد حددت نقل المعاني من المتكلم إلى السامع بصور متعددة ومختلفة في تراكيب فعلية واسمية بما في ذلك من صلات وأسرار بين أجزاء الجملة"(١).

فظاهرة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى لها أهميتها البالغة في مجال البحث اللُّغوي.

فهي تعكس تشابك العلاقات بين المعطيات الصَّرفية والنحوية ويتوقف على إدراكها الفهم الكامل لمعاني التركيب في اللُّغة العربية عند تحليلها تحليلاً بنيوياً.

فالإعراب يدرس قديماً صناعة (قاعدة تعليمية) وكان فناً في التخريج يهدف إلى تنمية الملاحظة والإدراك معاً.

أمَّا درسنا له في إطار البنيوية؛ فيدرس تنظيم المفردات وبيان العلاقات مع ملاحظتها في كثرة دورانها فيما بعد في السياق ومدى تطورها. فكلمة (الرتبة) لها عدة معان، وكلمة (يمين) كذلك. فالعلاقة هنا تحدد معناها وتبلورها في أداء المعنى. فيسهل الإدراك والفهم في تحديد المقام.

"... إن الجملة المستخدمة للخبر أو للحال أو للنعت أو للصلة أو للمضاف إليه لا تسمى عندنا جملة مستقلة، بل هي (مركب إسنادي) للإخبار

١/ حسن عون، التطور اللُّغوي: ص١٦؛ يُنظر، ابن هشام، قطر الندى: في تعريف الكلم- الكلام، في مقدمة الكتاب، ص١٤.

أو للحالية إلى آخره، وكل من الخبر والحال والنعت، يمكن أن تطلق عليه خبراً مركباً أو نعتاً مركباً. أمَّا الصلة وجملة الإضافة فكل منهما تركيب متمم"[(١)].

فتلك دراسة متطورة في مفهوم العلاقات التركيبية، فتبين لنا أن للجملة ركنين وهما تركيبان عن طريق التضام. وأن العلاقات الإعرابية تقوم بدورها الوظيفي في التركيب.

فإن كان الوصف خبراً للجملة صار الإسناد يفيد الاستقرار والدوام، مثال: عليٌّ كريمٌ.

أمَّا إن كان الوصف حالاً، أو نعتاً فذلك دلالة على تحديد المعنى في الصيغة التركيبية اللفظية.

جاء محمد مبتسماً. مبتسماً: حال. جاء محمد الظريف. الظريف: نعت. وهنا تبدو لنا إشارات العلاقات بين الحال والنعت، تقع في تحديد الزمن الذي قيلت فيه الكلمة. بخلاف العلاقة الإسنادية للمبتدأ والخبر. فتلك التي في النعت والحال علاقة إخبارية عارضة. أمَّا التي في الإسناد فعلاقة وصفية تقريرية.

وأمَّا المقصود بكلمة تركيب فمتمم دلالة على تضافر العلاقات بين الكلمات في مصطلح المعنى.

"إننا نرى ذلك بوضوح فيما يختص بباب الممنوع من الصَّرف من حيث يقوم على صيغ خاصة تكثر مغايراتها للصيغ اللُّغوية الكثيرة المألوفة، مِمَّا جعلها تخضع في إعرابها، وتنظيمها الشكلي لنظام جديد، ويخرج على قاعدة أمثالها من الصيغ المألوفة فهناك الأسماء الأجنبية التي لا نظير لها في العربية، الأسماء التي تجيء على وزن الأفعال... ويبدو من هذه الأسماء الممنوعة من الصرف"[(٢)].

١/ محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية: ص٦٠-٦١.

٢/ حسن عون، تطور الدرس النحوي: ص٣٤-٣٥.

لا شك أن هذا النص يوضح لنا التطور اللُّغوي في المفـردات الدخيلـة والذي يعرف بالتعريب. فالتعريب عامل من عوامل التطور اللُّغوي. فالأسمـاء الأجنبية عرفت في القديم. مثال: إبراهيم، وسمندو وقمندو[1].

وبعض الأسماء التي ترد على زنة الأفعال نحو: تغلب، ويزيد، وأحمد، على زنة: أفعل، يفعل. والتحليل البنيوي له علاقات بالعلامات الإعرابية الـتي تمثـل جانباً من التداخل في مبنى الجملة (وذلك عن طريق التبعيـة، مـررت بيزيـد، وبأحمد، وبتغلب).

فالقدماء قد وضعوا صورها وفقاً لإحساسهم بها في المكون البنائي. وهنا تظهر العلاقة بين أطراف التركيب في علل المنع من التنوين.

كما أن قضية الممنوع من الصَّرف؛ استحدثت تمثيل المعـنى أو الدلالـة اللفظية للمفردة. فالرفع كان علماً على العمدية أو الإسناد وأصبح النصب صفة تخصصية.

فنجد مثلاً: الاسم المنادى المفرد[2] بُني على ما يرفع به. مثال: يا محمـدٌ، الأصل في الكلمة (ادعو محمداً) أن جملة مكونة من فعل، ومفعول مـع فاعـل محذوف تقديره (أنت) ثم حذف الفعل مع محذوف الفاعل. فصارت الجملة يـا محمدٌ. هنا حلت الضمة مكان الفتحة في الاسم المنصوب. وذلك نـوع مـن التطور في التخصيص إلى الإسناد. فتلك دراسة لغوية قائمة على علاقة الفعـل بالمفعول (من المفعولية إلى الفاعلية).

وهكذا نجد في الممنوع من الصَّرف وجود الفتحة التخصصية بديلاً عـن الكسرة التغيبية في المجرور. ومنع الاسم من التنوين.

١/ يُنظر، ابن عقيل، شرح الألفية: م الحلبي البابي، تحقيق محمد محي الدين، ص٨٥.

٢/ يُنظر، ابن هشام، شذور الذهب: أحكام المنادى، ص٥٨٦.

فالعلاقات الإعرابية إنما هي مؤشرات ودلائل على الوظـائف النحويـة للمكونات التي تحمل العلاقات في الدرس البنيوي، فالدراسة النحوية قد مهدت الطريق للتطور اللُّغوي أي لنظامها.

تطور الدرس اللُّغوي:

مظاهر التطور اللُّغوي لها خطوط واضحة المعالم ينبغي الأخذ بها سـواء كانت في البدائل الصوتية التي تقع على الأصوات اللُّغوية، أي الحروف. وإنما هو تبدل صوتي يقع على الكلمة بإبدال مواقع الأصوات. فالدرس النحوي قد تطور في الماضي من حيث تقديم وتأخير الرتبة، وكذلك تلك الحركـات الإعرابيـة المتبادلة.

فنجد أن قواعد النحو كلها قد استنتجت وسجلت في عصـور مختلفـة ونجد أن القواعد قد تختل قليلاً وكذلك المفردات. فيظهر التأويـل والإضـمار وكذلك فإن سائر عناصر اللُّغة من ألفاظ وتراكيب وقوالب ومعان لا تبقى ثابتة على الزمن، بل تتحول وتتبدل.

كما نجد الاسم يكون مرفوعاً، ويكون منصوباً، ويكون مجروراً، وهذا ما يعرف في المتغيرات بالنظام اللُّغوي.

"إن كلمة تطور لا تعني بالضرورة التغير إلى ما هو أحسن، فقد يكـون العكس؛ وقد يكون مجرد التعبير، دون النظر إلى فهم أو مقارنة.

إن هذا التطور لَمْ يكن مديناً لبيئة أو لمدرسة كما ألفنا أن ندرس نحونـا على إنه نتاج المدرسة البصرية، أو الكوفية، أو البغدادية، ولكنه في الواقع مدين لجهود بعض علماء النحو، وثمرة من ثمرات نشاطهم العقلي"[١].

١/ حسن عون، تطور الدرس النحوي: ص٦.

ونفهم من هذا النص أن النحو العربي. يعني الدراسة الانطباعية في مفهوم حسن عون.

فالنحو العربي يهتم بالعلامات الإعرابية. وهذه العناية تعد قمة الجدوى في الدراسة اللغوية لنظام التركيب النحوي. فالنحو العربي نحو تطور وأن العلاقات الإعرابية مؤشرات ودلائل لذلك التطور الوظيفي. كذلك الصوامت في إنابتها للصوائت (الحروف عن الحركات).

فالإعراب بالحروف دليلٌ قوي على مفهوم التطور الوظيفي على الرغم من اشتراك العديد من الوظائف النحوية.

في علاقة المنصوبات الحال، التمييز، المفاعيل. فتلك صناعة علمية ينظر إليها أصحابها في ألفاظ كلام العرب. ومن جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعريف النسبة بين صياغة النظم وصورة المعنى؛ فيوصل إحداهما إلى الأخرى. وتلك هي الثنائية المطلوبة في الدرس البنيوي.

فالدراسة العلمية تختص بدراسة قوانين وتراكيب النظم، ووظائفها ومكوناتها، والصلة بين النمط التركيبي ومدلوله. كل ذلك في إطار ما تواضع عليه العرب في استعمال لغتهم.

إنه حصيلة غاية النحو "معرفة النسبة بين صيغة التنظيم وصورة المعنى"(١).

فالنحو يقوم بتركيب المفردات وربط علاقاتها. فالقواعد النحوية دليلٌ على أن اللُّغة تنظمها ضوابط عامة مطردة؛ فصيغة الفاعل، أو المفعول، وحالات الإعراب المختلفة، وتصريف الأفعال، وغيرها، أليست تسير وفقاً لنظام وتطور مستمر؟.

١/ يُنظر، السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو: القاهرة، ١٣١٧هـ، ص٧.

إن معرفة نظام اللُّغة وقوانينها ينبغي أن يدرس وفقاً لمعطيات الدرس البنيوي.

"... فمن علاقات التطور في اللُّغة العربية أن الفعل الماضي فيها هو الأصل؛ ويأتي الفعل المضارع بالتصريف... وفي لغات أخرى من أرقى اللُّغات يتبع استعمال المضارع (أولاً) ويأخذ منه الماضي، بإضافة حرف أو مقطع أو بتغيير الصيغة"[1].

اللُّغة العربية من اللُّغات السامية. وتختص اللُّغات السامية بالاشتقاق. والاشتقاق عامل من عوامل التطور اللُّغوي. فأحرف المضارعة؛ نوع من أنواع التطور للفعل، بل إن هناك تطور دلالة الفعل، مثال دخول أداة النفي (لَمْ) للمضارعة (نفى، وجزم، وقلب).

فالدراسة البنيوية تكشف لنا العلاقة بين الصيغ وكيفية التدرج فيها.

إن مفردات اللُّغة العربية تتكون من مجموعات ذات أصل مشترك[2] يسمى الأصل (الجذر *Root*). فهي تشترك في حروفها وجزء من أصواتها فنجد الحروف في الاشتقاق ثابتة مع تبديل في موقعها أو قد يحذف أصل من تلك الأصول ولا يغير في اتحاد الدلالة مع اختلاف المعنى.

ومن ثم تنشأ رابطة اشتقاقية في الألفاظ تدل على اتحاد الدلالة، وتنوع المعنى في تركيب الكلمة.

"في حديث سيبويه عن اللفظ المفرد، نجده يخطو سريعاً ولا يُعنى

١/ عباس محمود العقاد، اللُّغة الشاعرة: ص٧٥.

٢/ يُنظر، محمد المبارك عبد القادر، فقه اللُّغة وخصائص العربية: ط دار الفكر، دمشق، د.ت، باب الاشتقاق، ص٦٤.

بالتفصيل، بحيث يتبع سيبويه حديثه عن أقسام الكلمة بالحديث عن الشكل الإعرابي الوارد على آخرها، وكذلك الشأن للشكل البنائي"[١].

ويفهم من هذا النص أن سيبويه كان لديه تخطيط للدرس النحوي. يتمثل في بحث اللفظ المفرد وبحث الجملة، وبحثه لها يتناول الصفة الصَّرفية مع ملاحظة الحركات الإعرابية في نطق الصوت في التركيب.

وذلك ما يتفق مع الدرس البنيوي في الدراسة الشمولية للنص.

وبذلك نستطيع أن نكشف تطور المفردة اللفظية من خلال الدراسة الشاملة للنص في مستوياته.

والتطور غالباً ما يظهر في معالجة مسائل ومناقشة قضايا نحوية وصرفية وتظهر علاقة الأصوات بالأسلوب. وهذا ما يتفق مع هذا القول: "إنما كان الفاعل رفعاً؛ لأنه هو والكلام جملة يحسن عليها السكوت ويجب بها الفائدة للمخاطب"[٢].

لا شك أن اكتساب القدرة اللُّغوية يحتاج إلى تضافر الوحدات والعناصر اللُّغوية، ولا يتم ذلك إلاَّ بدراسة التركيب الصرفي للكلمة وتركيب الكلمات بالجملة.

فإن التأليف وأساليبه. ما هي إلاَّ وسيلة في إحسان الأداء اللُّغوي وبيان أحكامه اللُّغوية، لإبراز القاعدة النحوية، وبيان دورها الوظيفي في عملية التنسيق.

١/ حسن عون، تطور الدرس النحوي: ص٤٦.

٢/ المبرِّد، المقتضب: ج١، ص٨.

"إن أولية النحو العملي غامضة المعنى كما أن أولية اللُّغة العربية نفسها لا تزال غامضة أيضاً لِما بين الاثنين من ترابط والتزام. فمظاهر النحو العملي تنمو وتتطور مع نمو اللُّغة وتطورها فهو جزء منها. ولا يتصور فصل أحدهما عن الآخر. كما لا يتصور معرفة تاريخ أحدهما دون معرفة تاريخ الآخر"(١).

كل دراسة لغوية لا بدَّ أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى. وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة.

فالارتباط بين الشكل والوظيفة يبنى على أساس العلاقات التي تربط بينهما.

فالنحو العملي: يقصد به الدرس التطبيقي الشامل مراعاة المفردات، وفحص صيغها، وترتيبها، وتراكيبها.

والغموض الذي يشير إليه هو: البحث عن العلاقات الرابطة بين الاثنين، من حيث الموقعية المقامية.

يقصد نحو اللُّغة وتطورها في الفهم والإدراك، والاستيعاب للدرس النحوي: الفهم المتقدم الشامل والتحليل الوصفي. الذي يعطي الدارس صورة واضحة جامعة للدرس النحوي من جميع جوانبه في حالة انفراده وحال تركيبه.

فالكلمات تتطور بتطور المجتمع وتقدمه، ورفعة الإنسانية، واللُّغة تتطور في مفرداتها، مع المحافظة على قواعدها التعلمية.

وتلك هي الدراسة الآنية والتعاقبية التي تقوم عليها الدراسة البنيوية. "أمَّا النحو العلمي، فهو مجموعة الملاحظات النظرية التي أمكن الاهتداء لها بواسطة النظر في أجزاء الجملة، والأشكال المختلفة، على أواخر هذه الأجزاء ثم صياغة

١/ حسن عون، دراسات في اللُّغة والنحو: ص٤٦.

هذه الملاحظات في مبادئ وأسس؛ لكي تعرف، وتدرس على نمط ما هو مألوف في العلوم الأخرى حذراً من وقوع اللسان في محظور من الخطأ واللحن"[1].

نفهم من هذا النص مضمون الدراسة النظرية. وهي دراسة معيارية في المقام الأول إن المعيارية ترتبط أساساً بالجانب القاعدي، مِمَّا يتعلق بصيغ المفردات. فنجد مثلاً النبر الذي يكون في المفردة اللفظية والتنغيم في الجملة. مِمَّا يعطي شكلاً معيارياً للدرس اللُّغوي.

هنا يظهر التضافر بين الحركات الإعرابية، ووضعها في النبر، في إطار السياق التنظيمي.

فالدراسة هنا تختص بالتركيز في الأصوات (الصائتة)، لتحديد النطق السليم.

"وعلى ضوء ذلك يمكن الملاحظة، أن النحو العملي خلق وإبداع لنظام خاص في التعبير اللُّغوي، استلزمته ظروف متعددة كالحاجة إلى تمييز كل كلمة في الجملة عن غيرها بحيث يتضح وضعها ومدلولها ووظيفتها في نفس الجملة حتى نفهم المراد... إنه لون من ألوان الثراء المعنوي في اللُّغة. وضرورة اقتضتها ظروف بعض اللُّغات، حيثما أخذت طريق التهذيب والتثقيف"[2].

ونفهم من ذلك أن الوصف الابتكاري الإبداعي: عبارة عن إنتاج لتحليل لغوي؛ تضع اللُّغة قواعدها ونظامها منه. أمَّا التطور اللُّغوي؛ فيتم عن طريق التصويب والتقويم مع متابعة المحسنات اللفظية.

١/ حسن عون، دراسات في اللُّغة والنحو: ص٤٦.

٢/ المرجع السابق: ص٤٧.

"ومفهوم التطور عند دي سوسير، لو تعرضنا إليه مـن خـلال آرائـه لوجدناه قد تعرض للغة من اعتبارات ثلاثة، اعتبار نفسي، واعتبار اجتماعي، واعتبار شكلي"[1].

يعني ذلك أن النفس هو تسجيل الرموز اللغوية والاجتماعية والحركة والنشاط العلمي الاجتماعي، والشكل هو تركيب الأصوات والكلمات والجمل.

فالدراسة البنيوية هنا تساعد اللُّغة في ترتيب القواعد وتنظيمها وفقاً لتحليلها العلمي لعناصر اللُّغة.

كما أن دراسة البنيوية للغات الأخرى؛ تفسح المجال للموازنة بين اللُّغات ومعرفة ما بينها من تشابه واختلاف. وما بين خصائصها من اشتراك أو تباين والضوابط؛ التي تنظمها والأمور التي تنفرد بها.

إن استخدام اللغويين المحدثين لكلمة (تطور) لا يعني تقويم هذا التطور والحكم عليه بالحسن والقبح، بل يعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة التعبير.

كما أن عناصر اللُّغة كلها ليست سواء في سرعة القبول لهذا التطور، إذ إن هناك فروقاً في تطور اللُّغة بين الصوتيات، والصَّرف، والمفردات.

الصوتيات تستقر منذ الطفولة، وسير الحياة. فالإنسان يحتفظ بها حتى آخر حياته بمجموعة منها.

"في نطق أصوات اللُّغة يوجد اتجاه من المتكلمين أن يحاولوا تحقيق حد أعلى من الأثر بحد أدنى من الجهد. وهذا هو السبب في أن المتكلمين، يحاولون

١/ عبد الرحمن أيوب، اللُّغة والتطور: معهد البحوث، جامعة الدول العربية، ١٩٩٩م، ص٧٥-٨٠.

أن يتجنبوا التحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها. وعلى سبيل المثال عند نطق تاءين متتاليين مثل: قامت تفتح الباب، لا ينطق المتكلم التاء الأولى كاملة، بغلق متبوع بانفجار... يحتفظ المتكلم بالغلق الأول ويكون غلقاً مطولاً (تظهر في وسطه حدود مقطعية) وبهذا يوفر خطوتين هما فتح التاء الأولى، وغلق الثانية"(١).

أمَّا التطور في الدرس البنيوي؛ فيعالج القضايا والمسائل اللُّغوية من الناحية التركيبية وصولاً بها إلى الوصفية التاريخية في اختصار الزمن اللُّغوي.

إن اللُّغة العربية لها ظروف خاصة. لَمْ تتوافر لأي لغة من اللُّغات العالمية. وهذا الظرف يجعلنا نرفض ما ينادي به بعض الباحثين(٢) من ترك الحبل على الغارب لهدم الأسس المعيارية بل علينا كشف هذه الأسس عن طريق الدراسة العلمية مثل البنيوية والتوليدية التحويلية والأسلوبية. لتأصيلها في الدرس اللُّغوي الحديث، علماً بأن الدراسة النحوية كانت دراسة نظرية والدراسة اللغوية دراسة تطبيقية، وأن الدرس اللساني العربي في تبنيه اللسانيات الغربية سار على نهج الدراسة الوصفية من خلال تحليله للدراسات اللغوية القديمة.

فتلك إضافة جديدة للغة الإنسانية، وهي: لغة القرآن الكريم.

١/ أحمد مُختار عمر، دراسة الصوت اللُّغوي: جامعة الكويت، ١٩٧٦م، ص٣٧٢-٣٧٣.

٢/ سلامة موسى وآخرون؛ حذف نون وألف المثنى، أنيس فرحة، نحو عربية ميسرة: دار الثقافة، بيروت، د. ت، ص١٢٢.

الخاتمة

في حين تنطوي هذه الدراسة على دعوة إلى تطـــوير البحـــث اللُّغـــوي بمفاهيم ومنهجية متطورة. وتناولت الدراسة إنجازات القدماء. كما تعرضت إلى مفاهيم المحدثين برؤية منهجية علمية على ضوء الدراسات اللُّغوية الحديثة الـــتي تتخذ الموضوعية نهجاً دون تعصب، بل أخذت الحياد التام.

وكشفت الدراسة شتات هذه المفاهيم عند القدماء بمنطق العصر وروحه.

فاللُّغة العربية لغة إنسانية في المقام الأول، وليست معزولة عـــن محـــيط التطور اللُّغوي. كما يظن البعض ويرميها بالتخلف والجمود وعـــدم المواكبـــة. وأنها لغة الآثار الميتة والمتاحف البالية. العربية لغة لها خصائصها، وقوتها الذاتيـــة. هي حافظة للإرث القديم، ومواكِبة للحديث.

فاللُّغة كائن حي وواقع اجتماعي. وقد برهنت لنا الدراسة البنيويـــة أن اللُّغة العربية تستطيع أن تكون لغة علم، وثقافة.

فالدراسة قامت على أساس أصولها التاريخية وتركيبها، في منهج بنيوي.

إن التوجه المعياري لدراسة الوصفية قد مكَّن الدراسة من معرفة الظواهر اللُّغوية.

كما اعتمدت البنيوية على وســـائل الاستكشـــاف للـــدرس اللُّغـــوي بالسميولوجية (علم العلاقات والمعلوماتية).

النتائج:

من خلال هذه الدراسة نخلص للنتائج التالية:

١/ إن دراسة القدماء للأصوات هي في الواقع لأحد مستويات التقطيع الصرفي (مورفيم).

٢/ أمَّا المحدثون فكانت دراستهم للأصوات تحليلية وفقاً لمنهج وصفي ثابت يراعي المخارج والأداء الوظيفي للصوت عند التركيب البنيوي بل دراسة أصغر وحدة صوتية (فونيم).

٣/ القدماء يدرسون الكلمة في شكل بنية كاملة؛ لا تجزيء فيها.

٤/ المحدثون يدرسون الكلمة بدءاً من الصوت وتنظيمه (فونولوجي) ثم هو مقطع ومن ثم مورفيماً.

٥/ القدماء يتناولون الجملة بالتعليل على غرار تعليلهم لبنية الكلمة ولكن الجملة عللوها كما هي في الواقع باعتبار الأشكال المتداولة (فعلية+ اسمية).

٦/ المحدثون يتناولون الجملة باعتبارها جزءاً كاملاً متكاملاً من حيث نظم المفردات وتركيبها مع مراعاة الجانب الوظيفي للمفردة اللفظية والصوت فيها وعلاقات المفردات فيما بينها، وينظرون إليها من مبدأ الثنائية في الدرس البنيوي.

٧/ القدماء بنوا تراكيبهم اللغوية على أساس العوامل المعنوية في بعض المسائل والقضايا النحوية، وتلك قاعدة تفسيرية.

٨/ المحدثون ركزوا على العوامل اللفظية وبحثوا تأثير الاستعمال فيها من حيث الأصوات الصامتة والصائتة في بنيوية الجمل.

٩/ تناول القدماء الإعراب باعتباره علامات عارضة في أواخر الكلم.

١٠/ المحدثون جعلوا الإعراب أساس التركيب، بل جعلوه من ثوابت اللُّغة في تركيبها.

التوصيات:

١/ توصي الدراسة الباحثين بالاهتمام بعلم الأصوات، والأخذ به عن طريق المختبرات الصوتية.

٢/ تحسين وتطوير برنامج الدراسات اللسانية وفتح قنوات بين الجامعات السودانية والعربية والأوربية عن طريق (الإنترنت).

٣/ على السادة العلماء أن ينظروا إلى علم اللسانيات بصورة موضوعية. فهو علم قادر على كشف المزيد من أسرار اللُّغة العربية. وأنه ليس ترفاً علمياً لا جدوى له.

٤/ تشجيع الباحثين وحثهم لدراسة التراث، وربطه بالنظريات، والمدارس اللُّغوية في مجال اللسانيات. فهنالك التوليدية التحويلية والدراسة الأسلوبية والتوزيعية. وذلك بغرض المواكبة والتأصيل.

إن هذا البحث ذو طابع منهجي. بمعنى أنه يفتح الطريق للحصول على المزيد من المعلومات والتفاصيل في البحوث اللاحقة للباحثين. كما أن هذه الدراسة لا تدَّعي الكمال. فالكمال لله وحده، والنقص للبشر. إنما الغاية منها الموضوعية للوصول إلى غايات البحث العلمي، بوصفه ممثلاً لفترة تاريخية مُعيَّنة.

وبهذا تصبح العربية؛ قريبة المنال، طيبة المأخذ، ومواكبة لِحَرَكة التطور.

Abstract

Linguistics have discriminated two principal trends in history of linguistic studies. These trends are the prescriptive and the descriptive trends.

According to the first point of view, there is predisposition. Whereas the second view thinks that it must be posterior. Thus, the structuralism studies followed the historical and comparative linguistic studies. The structuralism studies in this research is considered to be a descriptive analytical study of Traditional Arabic Studies connected with the modern description structural approach.

Modern linguistic studies distinct effort in exploring the scientific approach thinking of traditional and modern linguistics scholars. It is a valid model of study for other aspects.

Arabic Language:

Of the heritage of Arabic and other semiotic language.

This study is in another circle of linguistic studies that adopts the descriptive structural approach.

This study is a description of sentence structure and phrase structure and it considers the semiotic relationship. Structuralism is considered to be the most effective approach of linguistic study as well as social and physical science in the 18th century.

This research has clarified the features of the structuralism

study and its relationship with the prescriptive pedagogical approach.

It then introduced modern linguistic study in 1975 when the transformational generative school was founded. The study shows the features of both the structuralism and the transformational generative school.

This study is a novice addition to the Arabic Language study after investigating the traditional linguistic heritage in the modern. It displays the cohesion of the three units: Phonology, Morphology, and Syntax and of its elements. That is not easily found in contrastive comparative study nor in historical investigation.

The linguistic text has a role in reflecting cohesion and clarity of meaning in language structure.

The pre-structuralism studies eared less about having objective and was cognitive not interested in what the prescriptive of linguistic study should be.

Structuralism is the study of the social language situation.

This study depends upon achieving independent studies of each approach separately in order to approach the cognitive that doctrines the structuralism.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس مصطلحات البحث

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الآية		رقمها	السورة	الصفحة
١/	﴿الٓمٓ﴾.	١	البقرة	٨٧
٢/	﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾.	١٢٤	البقرة	٢١١
٣/	﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾.	٢٦٩	البقرة	٢٧٦
٤/	﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾.	٧٥	النساء	٢٨١
٥/	﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾.	١٠٣	النساء	٢٨٧
٦/	﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ﴾.	١٩	المائدة	٣٠٦
٧/	﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾.	١٨	يوسف	١٠٣
٨/	﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾.	١٨	النحل	ب
٩/	﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾.	٤	مريم	١١١
١٠/	﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ﴾.	٢٠	طه	٢١٤
١١/	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا﴾.	٥١	الشورى	٢١٧

الآية		رقمها	السورة	الصفحة
١٢/	﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾.	٤١	القمر	١٠٠
١٣/	﴿الرَّحْمَـٰنُ﴾.	١	الرحمن	٩٧
١٤/	﴿عَلَّمَ الْقُرْءَانَ﴾.	٢	الرحمن	٩٧
١٥/	﴿خَلَقَ الإِنسَـٰنَ﴾.	٣	الرحمن	٩٧
١٦/	﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.	٤	الرحمن	٩٧
١٧/	﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾.	٥	الرحمن	٩٧
١٨/	﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.	٦	الرحمن	٩٧
١٩/	﴿وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾.	٧	الرحمن	٩٧
٢٠/	﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِى الْمِيزَانِ﴾.	٨	الرحمن	٩٧
٢١/	﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾.	٩	الرحمن	٩٧
٢٢/	﴿مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾.	١٣	نوح	٨٨
٢٣/	﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.	١٤	نوح	٨٨
٢٤/	﴿إِذَا السَّمَآءُ انشَقَّتْ﴾.	١	الانشقاق	٢٠٥
٢٥/	﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾.	١٣	الغاشية	٨٨
٢٦/	﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾	١٤	الغاشية	٨٨

الآية		رقمها	السورة	الصفحة
٢٧/	﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾.	١٥	الغاشية	٨٩
٢٨/	﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.	١٦	الغاشية	٨٩
٢٩/	﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾.	١	العاديات	١٢٨
٣٠/	﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾.	٢	العاديات	١٢٨
٣١/	﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾.	٣	العاديات	١٢٨
٣٢/	﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾.	٤	العاديات	١٢٨
٣٣/	﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾.	٥	العاديات	١٢٨
٣٤/	﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.	٦	العاديات	١٢٨
٣٥/	﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾.	٧	العاديات	١٢٨
٣٦/	﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.	٨	العاديات	١٢٨
٣٧/	﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾.	٩	العاديات	١٢٨، ١٢٩
٣٨/	﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾.	١٠	العاديات	١٢٨
٣٩/	﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.	١١	العاديات	١٢٨
٤٠/	﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.	٣	الإخلاص	٢٠٨

فهرس مصطلحات البحث

فهرس المصادر والمراجع

١/ **القرآن الكريم**.

٢/ **إبراهيم أبو النجا وآخرون**، الموسوعة الطبية: تحقيق إبراهيم أبو النجا وآخرون، دار الجيل، بيروت.

٣/ **إبراهيم أنيس**، الأصوات اللُّغوية: ط٣، مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٦١م.

٤/ **إبراهيم أنيس**، من أسرار اللُّغة: ط٢، مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦م.

٥/ **إبراهيم مصطفى**، إحياء النحو: مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٧م.

٦/ **ابن الأثير**، المثل السائر: تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر، بدون تاريخ.

٧/ **ابن الجزري**، التمهيد في علم التجويد: ط١، الدار التونسية، ١٩٨٢م.

٨/ **ابن الجزري**، النشر في القراءات: تحقيق علي محمد الطباع، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، بدون تاريخ.

٩/ **ابن الحاجب**، كتاب الكافية في النحو: تحقيق عبد العال سالم مكرم، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٠/ **ابن جِنِّي**، الخصائص: تحقيق محمد علي النجار، ط٢، مطبعة دار الهدى، بيروت، بدون تاريخ.

١١/ **ابن جِنّي**، اللمع في العربية: ط٢، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.

١٢/ **ابن جِنّي**، المنصف في التصريف: تحقيق إبراهيم مصطفى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤م.

١٣/ **ابن جنّي**، سر صناعة الإعراب: تحقيق المنداوي، ط١، دار العلم، دمشق، ١٩٨٥م.

١٤/ **ابن سنان الخفاجي**، سر الفصاحة: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

١٥/ **ابن سينا**، أسباب حدوث الحروف: تحقيق أحمد سعيد الدمرداش، مطبعة رسالة العلم، ١٩٦٢م.

١٦/ **ابن سينا**، الطبيعيات السماع الطبيعي: تحقيق سعيد زائد، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٣م.

١٧/ **ابن سينا**، القانون في الطب: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ.

١٨/ **ابن عقيل**، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩م.

١٩/ **ابن قتيبة**، تأويل مشكل القرآن: تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة القاهرة، ١٩٥٤م.

٢٠/ **ابن منظور**، لسان العرب، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بـــدون تاريخ.

٢١/ **ابن هشام الأنصاري**، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: دار الجيـــل، بيروت، بدون تاريخ.

٢٢/ **ابن هشام الأنصاري**، شذور الذهب: ط١، المكتبة العصرية، بـــيروت، ١٩٥٥م.

٢٣/ **ابن هشام الأنصاري**، قطر الندى وبل الصدى: تحقيق محمد محي الدين، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

٢٤/ **أبو البركات البغدادي**، المعتبر في الحكمة: الجزء الأول، دائرة المعارف العمانية، حيدرأباد، ١٣٥٧هـــ.

٢٥/ **أبو العباس**، كتاب الفصيح: ط١، تحقيق عاطف مدكور، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

٢٦/ **أبو حيان الأندلسي**، ارتشاف الضرب: تحقيق مصطفى أحمد النحـــاس، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢٧/ **أبو عبد الله الحسن**، الحجة في القراءات السبع: ط١، تحقيق عبد العـــال مكرم، دار الشروق، بيروت، ١٩٧١م.

٢٨/ **أبو علي الفارسي**، التكملة: ط١، عمادة الطلاب، الرياض، ١٩٨١م.

٢٩/ **أبو منصور الجواليقي**، في التعريب والمعرب: تحقيق إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣٠/ **أبو هلال العسكري**، الصناعتين: ط١، مطبعة عيسى البـــابي الحلـــبي، القاهرة، ١٩٥٢م.

٣١/ **أبو هلال العسكري**، الفروق اللُّغوية: تحقيق حسام الـــدين القدســـي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م.

٣٢/ **أبو يعقوب السكاكي**، مفتاح العلوم: دار الكتب العلميـــة، بـــيروت، ط٢، تحقيق نعيم زورت، ١٩٨٧م.

٣٣/ **أحمد الشايب**، الأسلوب: ط٨، نهضة مصر، ١٩٩٣م.

٣٤/ **أحمد الكراس**، فصول في علم اللُّغة العام: دار المعرفـــة، الإســـكندرية، ١٩٨٥م.

٣٥/ **أحمد حسان**، مباحث في اللسانيات: ط١، المطبعة الجامعيـــة، الجزائـــر، ١٩٩٤م.

٣٦/ **أحمد درويش**، دراسة الأسلوبية بين المعاصرة والتراث: ط١، دار غريب، القاهرة، ١٩٨٨م.

٣٧/ **أحمد سليمان ياقوت**، في علم اللُّغـــة التقـــابلي: ط٢، الإســـكندرية، ١٩٩٢م.

٣٨/ **أحمد قدورة**، مبادئ اللسانيات: م دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.

٣٩/ **أحمد مُختار عمر**، البحث اللُّغوي عند العرب: ط٦، عـــالم الكتـــب، القاهرة، ١٩٨٨م.

٤٠/ **الأزهري**، تهذيب اللُّغة: تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.

٤١/ **أشواق النجار**، دلالة اللواصق التصريفية في العربية: ط١، عمان، ٢٠٠٦م.

٤٢/ **إميل بديع يعقوب**، فقه اللُّغة وخصائصها: ط١، دار الملايين، بيروت، ١٩٨٢م.

٤٣/ **بكري محمد الحاج**، أثر البناء الظاهر للجملة في التفسير الدلالي: م الجامعة الإسلامية، السودان، ١٩٨٨م.

٤٤/ **تمام حسان**، الأصول- دراسة سمولوجية: مطبعة دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٤٥/ **تمام حسان**، اللُّغة العربية معناها ومبناها: ط٣، عالم الكتب، ١٩٩٨م.

٤٦/ **تمام حسان**، اللُّغة بين المعيارية والوصفية: ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٤٧/ **تمام حسان**، مناهج البحث في اللُّغة: ط١، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

٤٨/ **توفيق محمد شاهين**، علم اللُّغة العام: ط١، دار التضامن، القاهرة، ١٩٨٠م.

٤٩/ **جان كانتيو**، دروس في علم الأصوات العربية: ترجمة صالح القرمادي، مطبعة البحوث، تونس، ١٩٦٦م.

٥٠/ **جعفر ميرغني**، الجرس اللسان الصوتي: مطبعة المنظمة العربيـــة للثقافـــة والعلوم، معهد الخرطوم الدولي، ١٩٨٥م.

٥١/ **جفري سامون**، مدارس اللسانيات الحديثة: ط١، بيروت، ١٩٨٥م.

٥٢/ **جورج لايكون**، الاستعارة: ترجمة عبد المجيد خنجعة، ط١، دار تويفال، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.

٥٣/ **جورج موتين**، علم اللُّغة في القرن العشرين: ترجمة د. غزاوي، سوريا، دمشق، ١٩٧٢م.

٥٤/ **الجويني**، البلاغة والنقدية: ط١، مطبعـــة دار النجـــاح، الإســـكندرية، ١٩٧٥م.

٥٥/ **حبيب جاتا**، العلوم التطبيقية والدراسة البنيوية: الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

٥٦/ **حسن عون**، التطور اللُّغوي: جامعة الدول العربية، ١٩٦٩م.

٥٧/ **حسن عون**، تطور الدرس النحوي: جامعة الدول العربية، ١٩٦٠م.

٥٨/ **حسن عون**، دراسات في اللُّغة والنحو: جامعة الدول العربية، ١٩٦٩م.

٥٩/ **حلمي خليل**، العربية علم اللُّغة البنيوي دراسة الفكر اللُّغـــوي العـــربي الحديث: مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٨٨م.

٦٠/ **حلمي خليل**، مقدمة لدراســـة فقـــه اللُّغـــة: دار المعرفـــة الجامعيـــة، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٨م.

٦١/ **الحملاوي**، شذا العرف في فن الصَّرف: البابي الحلبي، بدون تاريخ.

٦٢/ **حنفي محمد شرف**، الصور البيانية بين النظرية والتطبيق، ط١، مطبعة النهضة، مصر، ١٩٦٥م.

٦٣/ **الخطيب القزويني**، الإيضاح: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

٦٤/ **خليل أحمد عمايرة**، العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه: ط١، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٦٥/ **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، كتاب العين: دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦٦/ **الرماني**، الحدود في النَّحو: تحقيق مصطفى جواد، مؤسسة الصحافة، بغداد، ١٩٦٩م.

٦٧/ **رمضان عبد التواب**، التطوراللغوي: مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.

٦٨/ **رمضان عبد التواب**، المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللغوي: ط٣، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.

٦٩/ **رمضان عبد التواب**، مقالات في اللُّغة: مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م.

٧٠/ **الزجاج**، الإيضاح في علل النحو: تحقيق مازن المبارك، ط٢، بيروت، ١٩٧٣م.

٧١/ **زكريا إبراهيم**، البنية- أضواء على البنيوية: ط١، دار الطباعة، القاهرة، مصر، ١٩٧٦م.

٧٢/ **الزمخشري**، شرح المفصل: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٤٨م.

٧٣/ **سلمان حسن العاني**، التشكيل الصوتي في العربية: ترجمة ياسر الملاح، جامعة إنديانا، ١٩٨١م.

٧٤/ **سمير شريف**، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج: عالم الكتب الحديثة، الأردن، ٢٠٠٥م.

٧٥/ **سنجور**، الثقافة الفرنسية واللغات: ترجمة حبيب جاتا، دكار، ١٩٦٢م.

٧٦/ **سيبويه**، الكتاب: تحقيق إميل بديع يعقوب، منشور الكتب، بيروت، ١٩٩٩م.

٧٧/ **سيبويه**، الكتاب: تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.

٧٨/ **سيد قطب إبراهيم**، النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ط٧، دار الشروق، القاهرة، ١٩٦٣م.

٧٩/ **سيد قطب**، التصوير الفني في القرآن الكريم، مطبعة القاهرة، ١٩٦٦م.

٨٠/ **السيوطي**، الاقتراع في علم أصول النحو: القاهرة، ١٣٣٧هـ.

٨١/ **صلاح الدين مصطفى**، النحو الوظيفي: دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.

٨٢/ **صلاح عبد الفتاح الخالدي**، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ط١، مطبعة حطين، الأردن، ١٩٨٣م.

٨٣/ **صلاح فضل**، علم الأسلوب: ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥م.

٨٤/ **صلاح فضل**، نظرية البنائيــة في النقــد الأدبي: ط١، دار الشــروق، القاهرة، ١٩٩٨م.

٨٥/ **عباس حسن**، النَّحو الوافي: ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.

٨٦/ **عباس محمود العقاد**، أشتات مجتمعات في اللُّغة والأدب: دار المعــارف، ١٩٦٣م.

٨٧/ **عباس محمود العقاد**، اللُّغة الشاعرة: مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠م.

٨٨/ **عبد الحميد الهادي**، الدراسات الصوتية عنــد علمــاء العربيــة: ط١، الجماهيرية العربية، طرابلس، ١٩٩٢م.

٨٩/ **عبد الرءوف مخلوف**، الباقلاني وإعجاز القرآن: مطبعة الحياة، بيروت، ١٩٧٨م.

٩٠/ **عبد الرحمن أيوب**، الكلام إنتاجــه وتحليلــه: دار الفكــر، بــيروت، ١٩٨٩م.

٩١/ **عبد الرحمن أيوب**، اللُّغة والتطور: معهد البحــوث، جامعــة الــدول العربية، ١٩٩٩م.

٩٢/ **عبد السلام المسدّي**، قضايا التعليم اللُّغوي: ط١، دار التونسية، بدون تاريخ.

٩٣/ **عبد السلام المسدّي**، قضية البنيوية: ط١، دار أمية، تونس، ١٩٩١م.

٩٤/ **عبد الصبور شاهين**، المنهج الصوتي للبنية العربية: ط٢، مطبعة الرســالة بيروت، ١٩٨٠م.

٩٥/ **عبد الصبور شاهين**، دراسات لغوية: ط٢، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

٩٦/ **عبد الصبور شاهين**، في علم اللُّغة العام: ط٧، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

٩٧/ **عبد العزيز الصبغ**، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٠م.

٩٨/ **عبد الغفار حامد هلال**، العربية خصائصها وسماتها: ط٥، مكتبة وهبة القاهرة، ٢٠٠٤م.

٩٩/ **عبد القادر عبد الجليل**، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ط١، دار الصفاء، عمان، ٢٠٠٢م.

١٠٠/ **عبد القادر عبد الجليل**، علم اللسانيات الحديث: ط١، دار الصفاء، عمان، ٢٠٠٢م.

١٠١/ **عبد القاهر الجرجاني**، أسرار البلاغة: ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٦م.

١٠٢/ **عبد القاهر الجرجاني**، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد سيد رضا، ط١، دار ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٠٣/ **عبد الكريم درويش**، بيروقراطية الحكم: دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.

١٠٤/ **عبد الوهاب جعفر**، البنيوية بين العلم والفلسفة: ط١، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

١٠٥/ **عثمان موافي**، منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنـــهج الأدبي: ط١، جامعة الإسكندرية، بدون تاريخ.

١٠٦/ **علي النجدي**، سيبويه إمام النحاة: ط١، النهضة، مصر، ١٩٦٢م.

١٠٧/ **علي عبد الواحد وافي**، علم اللُّغة، ط النهضة، مصر، ١٩٦٢م.

١٠٨/ **عوض المرسي**، ظاهرة البنيوية: ط١، الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٠٩/ **فاضل صالح السامرائي**، الجملة العربية تأليفهـــا وأقســـامها: ط١، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٢م.

١١٠/ **فتح الله أحمد سليمان**، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ط١، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٩٠م.

١١١/ **فخر الدين الرازي**، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: تحقيق بكري شيخ الأمين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م.

١١٢/ **فرنان دمون**: الأيديولوجيات: نقله للعربية وجيه أسعد، منشور الثقافـــة والإرشاد، سوريا، ١٩٧٧م.

١١٣/ **فكتور كل**، وسعد أحمد علي، صناعة الكتابـــة: ط٤، دار الســـؤال، دمشق، ١٩٨١م.

١١٤/ **فوزي الشايب**، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمـــة: عـــالم الكتـــب الحديث، الأردن، ٢٠٠٤م.

١١٥/ **كارل بروكلمان**، فقه اللغات السامية: ترجمة رمضان عبد التـــواب، م جامعة الرباط، ١٩٧٧م.

١١٦/ **كمال إبراهيم بدري**، علم اللُّغة المبرمج: ط١، عمادة جامعة الرياض، ١٩٨٢م.

١١٧/ **كمال بشر**، التفكير اللُّغوي بين القديم والجديد: مطبعة الشباب، القاهرة، بدون تاريخ.

١١٨/ **كمال بشر**، علم اللُّغة الاجتماعي: ط٣، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٧م.

١١٩/ **كمال محمد بشر**، علم الأصوات العربية: ط١، دار غريب، ١٩٩٠م.

١٢٠/ **مازن المبارك**، نحو وعي لغوي: مطبعة الرسالة، الأردن، ١٩٧٩م.

١٢١/ **مالك يوسف المطلبي**، الزمن اللُّغوي: ط١، مطبعة الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦م.

١٢٢/ **المبرِّد**، المقتضب: تحقيق محمد عبد الخالق، ط١، الستون الإسلامية والأوقاف، مصر، ١٩٩٤م.

١٢٣/ **محجوب العبيد طه**، فيزيائية الصوت: جامعة الرياض، ١٩٨٦م.

١٢٤/ **محمد الفاسي**، العامل بين الاقتصاد والتطبيق: الدار البيضاء، ١٩٩٨م.

١٢٥/ **محمد المبارك عبد القادر**، دراسة أدبية لنصوص القرآن: ط٤، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م.

١٢٦/ **محمد المبارك عبد القادر**، فقه اللُّغة وخصائص العربية: ط دار الفكر، دمشق.

١٢٧/ **محمد حسن عبد العزيز**، التعريب في القديم والحديث، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٢٨/ **محمد حماسة عبد اللطيف**، العلامة الإعرابية في الجملة: دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٢٩/ **محمد زكي العشماوي**، قضايا النقد الأدبي القديم والحديث، ط١، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٤م.

١٣٠/ **محمد صلاح الدين الشريف**، الشرط والإنشاء النحو الكوني: ط١، جامعة تونس، ٢٠٠٢م.

١٣١/ **محمد علي الخولي**، مدخل علم اللُّغة: دار فلاح، الأردن، ٢٠٠٠م.

١٣٢/ **محمد محمد أبو موسى**، دلالات التراكيب: ط٢، مطبعة هبة، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٣٣/ **محمد منصف القماطي**، الأصوات ووظائفها: مطبعة جامعة الفاتح، طرابلس، ١٩٨٦م.

١٣٤/ **محمود السعران**، علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربي: مطبعة الفجالة، مصر، ١٩٦٢م.

١٣٥/ **محمود السيد مجدي**، الاستعارة ونشأها وتطورها: ط٣، م الكليات الأزهرية، ١٩٨٤م.

١٣٦/ **محمود عكاشة**، أصوات اللُّغة: م الأكاديمية للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٣٧/ **محمود فهمي حجازي**، علم اللُّغة في ضوء التراث واللغـــات الســـامية دراسة مقارنة: ط١، دار نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٣٨/ **محي الدين الدرويش**، إعراب القرآن وبيانه: ط٣، اليمامة، ١٩٨٨م.

١٣٩/ **محي الدين رمضان**، في صوتيات العربية: مطبعـــة الرســـالة، عمـــان، ١٩٧٩م.

١٤٠/ **منى إلياس**، القياس في النَّحو: ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.

١٤١/ **منير عامر**، الأعمال الكاملة للشيخ الشعراوي من فيض الرحمن في تربية الإنسان: مطبعة روز اليوسف، بدون تاريخ.

١٤٢/ **نعمان بوقرة**، اللسانيات المعاصـــرة: ط١، مكتبـــة الآداب، القـــاهرة، ٢٠٠٣م.

١٤٣/ **نهاد الموسى**، نظرية النحو العربي: ط٢، دار النشر، عمان، ١٩٨٧م.

١٤٤/ **نوال محمد عطية**، علم النفس اللُّغوي: ط٣، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

١٤٥/ **وفاء محمد البيه**، أطلس أصوات اللُّغة العربيـــة، ط١، الهيئـــة المصـــرية للكتاب، ١٩٩٤م.

١٤٦/ **وليد محمد مراد**، نظرية النظم عند عبـــد القـــاهر: ط١، دار الفكـــر، دمشق، ١٩٨٣م.

١٤٧/ **يحيى حمزة اليمني**، الطراز المتضمن لأسرار البلاغـــة وعلـــوم حقـــائق الإعجاز: البابي الحلبي، بدون تاريخ.

المصادر الأجنبية:

١٤٨/ *David Gryial, Dictionary of Linguistics and Phonetics, New York, 1966.*

١٤٩/ *J. F. Wall Work, Language and Linguistics, London.*

١٥٠/ *J. F., Sense and Sews Development: R. A. Waldron, London, 1967.*

١٥١/ *J. Kat, The Astrictive of Semantic Theory.*

١٥٢/ *Le Yans, Introduction to Theoretical Linguistics: Cambridge University press, 1970.*

١٥٣/ *F. Northorn, the Stublorn Structure essay an criticism and Society, 1971.*

١٥٤/ *H. A. W. K, E, Sterece Structuralism semfontus, London, 1974.*

الدوريات:

١/ **مجلة الآداب**: الموضوع أسلوبية السؤال، جامعة المنوفية، عدد يناير ١٩٩٧م.

٢/ **مجلة الثقافة الأجنبية**: الموضوع الإرث المنهجي للسلافية، ترجمة أحمد مدني، دار الجاحظ، بغداد ١٩٨٢م.

٣/ **مجلة العربي**: الموضوع الأسلوب والتعبير، ديسمبر ١٩٧٧م.

٤/ **مجلة اللسان العربي**: الموضوع التجارب الفيزيائية، العدد ٢٢، ١٩٧٥م.

فهرس المحتويات

الموضوع | صفحة

الموضوع	صفحة

الفصل الثالث